تأليف
وفيق صفوت مختار

الأسرة

وأساليب تربية الطفل



دار العلم والثقافة

للنشر والتوزيع

٦١ ش الشيخ محمد النادى - المنطقة السادسة

مدينة نصر - القاهرة

تليفون : ٢٧٥٨٢٥٢ فاكس : ٢٧٥٨٢٥١

الإهداء

إلى ...

زوجتى قدريـة أميرهـم

شكراً جزيلاً لما قدمتيـه

من تضحيات...

وفيــق

قبـــل أن تقـــرأ...

" قـليلون ولـدوا لـيؤدوا الأعـمال الـكـبيـرة فـى الـعـالـم،
لـكـن الـعـمـل الـذى يـسـتـطيع الجـميع عـمـلـه هـو جـعـل
البيـت الـصـغـيـر أكـثـر جـمـالاً واشـراقـاً."

چـورچ إلـيـوت

المقدمـة

الكاتب.. لمن يكتب؟ ولماذا يكتب ؟ .. أسئلة مباغتة تطل من حين إلى آخر لكل من أمسك بالقلم متخذاً وسيلة للإبداع والتثقيف.. يقيناً فإن الكاتب فى مجال العلوم الإنسانية - التربوية منها والنفسية - يكتب لجمهور عريض من الآباء والأمهات، المعلمين والمعلمات، الأكاديميين والأكاديميات، الدارسين والدارسات، على اختلاف مشاربهم وأيديولوجياتهم وتوجهاتهم وجنسياتهم.. وهو يكتب القطع ليسهم بشكل فاعل ومؤثر فى إحداث تغيرات ما ، أو ليبشر بظهور اتجاهات تربوية حداثية من شأنها أن تسهم بشكل أو بآخر فى إثراء الفكر الإنسانى بصفة عامة، والفكر التربوى بصفة خاصة، هو يكتب وهدفه الذى يتوجه نحوه دوماً أن يبلغ رسالة بعينها تحمل مقاصد ودلالات، بحيث يمكنها أن تحلق فى فضاء المجتمع لتنشر غطاءً كثيفاً من «التنوير» و«التطوير» .. لاسيما والكاتب يحمل على عاتقه مهمة «التربية» أعظم مهمة عرفتها الإنسانية قاطبة على مدار تاريخها الطويل الضارب بجذوره فى عمق الزمن.. وإلى مشاء الله.

إن سعادة الكاتب الحقيقية هى أن تصل «كلمته» المغموسة بطعم المعاناة إلى أكبر قدر من أفراد المجتمع الذى يعيش بكنفه، أما مسرته الأكبر فهى أن تخترق «كلمته» هذه حدود مجتمعه المحلى الصغير، إلى مجتمعه الإنسانى الكبير متخطية معوقات جغرافيا الكون، لتصل بسلام، فيصبح أطفال هذا العالم أكثر سعادة «وحيوية» وإشراقاً.. ، يغمرهم إحساس التفوق والإنجاز، ويحدوهم الأمل فى مزيد من الصحة النفسية.

بالقطع، تحققت سعادتى الغامرة - وإن كانت غير مكتملة - حينما تيقنت عملياً بأن كتاباتى السابقة فى هذا المجال قد اجتذبت شرائح متميزة من

المجتمع على الصعيدين المصرى والعربى، من كتَّاب فى مجال أدب الطفولة، ورؤساء تحرير، وصحافيين، وباحثين، ودارسين.. وإن كنت مازلت أرنوبشوق إلى تحقيق مزيد من الجذب لفئات الآباء والأمهات الذين أكتب إليهم على وجه الخصوص.

عموماً.. الكتاب يحمل عنوان «الأسرة وأساليب تربية الطفل» وقد قسم إلى بابين كبيرين، وكل باب ينقسم إلى مجموعة من الفصول ، وكل فصل بدوره يتشعب إلى مجموعة من الأقسام.

الباب الأول: تطرقنا فيه لعدة قضايا أسرية قمنا بمعالجتها حسب أحدث الدراسات والنظريات التربوية والنفسية، تطرقنا فى البداية لموضوع الأمومة ، أوضحنا مكانتها فى الدين والأدب، وكيف يمكننا الإعداد للأمومة، ولماذا يتعلق الطفل بأمه، كذلك دورها فى تربية الطفل على كافة المستويات. ثم انتقلنا إلى معالجة موضوع الأبوة، بيَّنا مكانة الأب فى الأدب، وأهمية وجوده النفسى داخل كيان الأسرة، وأوضحنا أدواره ومسؤولياته، وناقشنا قضية غياب الأب عن الأسرة ومدى تأثيره السلبى. بعدها تطرقنا لقضية الخلافات الزوجية : أسبابها ، والنتائج المترتبة عليها، ومتى يحدث الطلاق بين الزوجين ، وكيف يعيش الطفل فى عائلات ربيبة أو بديلة، ثم اختتمنا هذا الباب بتقديم عدة مقترحات للحيلولة دون تفاقم المشكلات الزوجية.

أما الباب الثانى: فقد خصصناه لمدارسة ومعالجة بعض الاتجاهات الوالدية السلبية كالتدليل، وفرط الحماية، والقسوة، والتساهل والإهمال، والنقد والسخرية، والتذبذب.. إلخ، وقد انتهجنا فى هذا الباب نهجاً علمياً موضوعياً يتبلور فى تحديد ماهية هذه الاتجاهات تحديداً دقيقاً، ثم تبيان أسبابها، ومظاهرها، وآثارها، مع تقديم حلول متعددة فى محاولة للقضاء أو الحد من تلك الاتجاهات السلبية.

تبقى بعد ذلك كلمة وحيدة أريد أن أوجهها إلى كل الذين يعتبرون القراءة

التربوية والنفسية ضرباً من ضروب الرفاهية، فى ظل ظروف اقتصادية متردية. نحن نسلم بأن أسعار الكتب قد ارتفعت فى الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ لظروف نعرفها ونخبرها جميعاً، ولكن.. إذا كنا مجبرين أن نعيش الحياة حتى مع غلوها والتهاب أسعارها أفلا ينبغى أن يكون للكتاب مكاناً خاصاً فى حياتنا ؟! فإذا امتنع الأب مثلاً عن تدخين بضع علب من التبغ شهرياً أفلا يمكنه شراء كتاباً واحداً، جذاباً ومفيداً !!، وإذا تنازلت الأم مثلاً عن شراء حذاءاً أفلا يمنها شراء حذاءاً جديداً أفلا يمكنها شراء عدة كتب تضيف إلى رصيدها الفكرى والتربوى الشئ الكثير !!.. يبدو أن المشكلة تكمن فى تلاشى الوعى الحقيقى لقيمة الكتاب، وأهمية القراءة، وهذه قضية كل الشعوب النامية.

يقول أديبنا الكبير «عباس محمود العقاد»: أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفى»، ويقول «هنرى ثورو» : «الكتب هى ثروة العالم المخزونة، والإرث الثمين للأجيال القادمة».

وأختتم هذه المقدمة ، بمقولتى التى أدركتها منذ زمن بعيد، ونقشتها فى ذاكرتى حتى لا تنمحى ما بقيت على قيد الحياة : «فتشوا الكتب علها تعلمكم الحكمة»

هذا وبالله التوفيق،

وفيق صفوت مختار

البــاب الأول

الطفل والأسرة

الفصل الأول

الأمومة وصناعة الحياة

القسم الأول

الأم فى الدين والأدب

تمهيد:

تظل الأمم متربعة على عرش القلوب، ترنم إليها الأبصار ، وتلهج باسمها الألسن، وتغفو على صدرها الحنون هامات الجبابرة والأبطال والعظماء، تتعلم منها الأبجدية الحب والحنان، ويستقى منها الأدب سر الخلود

يرجح علماء الألسنيات والأنثروبولوجيا أن ما فطر عليه الطفل البشرى فى أى مكان من عالمنا الكبير من خلال مناغاته بكلمة «ماما» أو ما شابه ذلك، إنما هو أصل تسمية الأم على ذلك الكائن الإنسانى، على مر العصور، وعلى اختلاف الأمكنة والأزمنة. فالأم فى اللغة تعنى فيما تعنيه الأصل والأحساس والجذر والمنبت والمنشأ، ففى العصور الموغلة فى القدم كانت الأم فى الجماعات البدائية هى قوام الأسرة وعمادها، وقد ظل البشر دهوراً طويلة ينتسبون لأمهاتهم دون آبائهم ، وذلك لاعتبار هذا الولاء أصرح نسباً وأوضح انتماءً فاللغة الأم مثلا يراد أو يقصد بها اللغة الأصلية، إذ لم يقولوا اللغة الأب، وذلك لافتقار هذه العبارة إلى الدقة، لأن الأصالة الحقيقية إنما تسرى إلى الطفل من خلال أمه لأنه هو مولود من رحمها، وملتصق بها، وملازم إياها فى طور تكوينه ونموه، فكأن المرء فى طفولته يرضع اللغة من فم أمه مع رضاعة اللبن من ثدييها سواء بسواء.

ومن هنا يتردد على الألسن تعبير «الوطن الأم» ، أى الوطن الأول والأساس، حتى وإن تعددت بعد ذلك الأوطان وبالطبع يقصد بذلك المولد والمنبت والمنشأ، وعلى هذا الغرار توسع الناس فى استعمال لفظ الأم إذ يعنون به دائماً الأصل والجذر، فالمرأة التى تتولى عملاً مهماً فى أية إدارة كانت فى البلدان الغربية يطلقون عليها اسم الأم، بل إن لفظ الأم يطلق على كل امرأة مسنة بوجه عام، وهذا من قبيل الاحترام والتقدير لما تنطوى عليه كلمة الأم من هالة محببة عميقة لدى كل إنسان، وربما للسبب نفسه يطلق فى

بعض لغات الغرب اسم «الأم الكبيرة» على ما تسميه العرب مثلاً الجدة إذ لا وجود لمرادف هذا اللفظ فى غالبية معاجمهم.

ويمكننا أن نذكر أن هناك جملة من العبارات التى تنطوى على كلمة الأم وتدور على الألسنة ومثال ذلك «المؤسسة الأم» أى المؤسسة الكبرى تمييزاً لها عن سائر الفروع الأخرى، و«الينبوع الأم» أى الأغزر، وكذلك يقال: «أمهات الكتب» أو «الفكرة الأم» بالنسبة إلى دراسة ما.

الأم فى الدين:

فى الفكر الإسلامى ذاع تعبير «أم الكتاب» أى سورة الفاتحة لأنها تتصدر آيات الله البينات فى مستهل القرآن الكريم، كذلك عرفت مكة فى لسان العرب وعقيدتهم وتاريخهم بأنها «أم القرى» أى سيدة المدن ورائدة البلدان، وذلك لما انطوت عليه من قداسة وعراقة . كما غلب على تراث العرب المسلمين لقب «أم المؤمنين» على السيدة خديجة بينت خويلد زوج النبى ﷺ، فهى فضلاً عن كونها أولى نسائه فقد حدث فى عهدها الانعطاف الكبير فى حياة الرسول ﷺ حيث بدأ فى نشر رسالته فإذا هى تشجعه وتسانده وتؤيده وتغدو بذلك أول امرأة فى التاريخ تعتنق الإسلام، والمرأة الأولى التى جعلها المسلمون بمثابة أم للمؤمنين.

وكذلك الأمر بالنسبة للسيدة مريم العذراء أم السيد المسيح عليه السلام والتى تبوأت مقاماً عالياً فى عقيدة المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وقد خصها القران الكريم كما خص السيد المسيح بكثير من آيات الاحترام والتبجيل ، فضلاً أن سورة خاصة فى القرآن سميت بـ « سورة مريم» وقد غدت السيدة العذراء على مر العصور الملهمة الأولى لقرائح المبدعين فى العالم إذ حفزتهم على خلق روائع فى الفن الرفيع على صعيد الأدب والموسيقى والنحت والتصوير.

والأمر نفسه ينطبق على بقية الديانات الأخرى التى تعتبر الأم أصل

الخصوبة والإنجاب ومنبع الخير والبركة حيث حضت على احترامها وتقديرها وطاعاتها لأنها هى وحدها تمثل مكانة عظيمة فى القلوب لا يستطيع أحد أن يتبوأها حاضرة أم غائبة، فلها وحدها تعتلج القلوب وتختلج الصدور وتنتفض المشاعر.

الأم فى الأدب:

أ - فى الأدب الجاهلى :

احتلت الأم دورًا كبيرًا وجانباً مهمًا فى حياة المرء الاجتماعية، وقد تجلى ذلك منذ العصور القبلية والمجتمعات العشائرية، وتعاظم هذا الجانب على نحو ما نرى عند شعراء الجاهلية، حيث اهتم العرب بهذه المسألة، وراحوا يتفاخرون بنسبهم لأمهم، فيفاخرون بها إذا ارتفعت ويتقاذفون بها إذا تدنت. وهذا ما نجده عند «الشنفرى» الذى يفاخر بنسب أمه قائلاً :

أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصباً

وأمى ابنة الأحرار لو تعرفينها

وكذلك يقول فى - لاميته المشهورة - لامية العرب :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم

فإننى إلى قوم سواكم لأميل

وفى هذا ما يشير إلى الاعتداد بالأم، عندما خاطب الشاعر قومه ناسباً إياهم لأمه، حيث كان عاراً على من يفرط باححترامها لأنه سيصبح عرضة للألسن، وذلك على غرار ما حدث مع بنى عامر الذين ألحقوا العار بأمهم، فهجاهم «الأسدى» مفتدياً أمهم «سلمى» ومستهزئاً بهم بقوله :

فدى لسلمى نوايا إذا دنس

القوم وإذا يد سمون ما دسموا

أنتم بنى المرأة إذا زعم الناس

عليها فى الغى ما زعموا

إذاً احترام الأم فى ذلك العصر كان واجباً على كل ابن، كما واجب عليه أن يحميها ويدافع عنها ضد كل مظاهر الإهانة، ومهما بلغ الثمن.

ب - فى الأدب الحديث والمعاصر:

تألقت الأم على صفحات الشعر والأدب العربى الحديث، ونقول الحديث لأن المتصفح لدواوين الشعر العربى التى تشكل بطبيعة الحال شطراً كبيراً من جملة نتاجنا الأدبى، سيجد القليل الذى لا يشفى الغليل تجاه الأم، وذلك بالمقارنة مع الركام الرائع من أشعار العرب فى سائر الموضوعات الأخرى، حيث إن الأم وللأسف تغيب بشكل أو بآخر عند الشعر العربى القديم على الرغم من غزارته وغنى موضوعاته.

ولولا فئة قليلة من الشعراء الذين ساروا فى هذا المجال وأبدعوا فيه أمثال «أبو فراس» و«أبو العلاء» و«الشريف الرضى» و«ابن سناء الملك» لهممنا أن نصم غالبية الشعراء بالعقوق وتبلد الشعور، حتى كأنهم لم ينبثقوا من رحم، ولم يتغذوا من ثدى، ولم يرتعوا فى حضن، ولذلك قلنا إن صورة المرأة فى الشعر العربى أماً وزوجاً ، لم تتألق على الوجه المنشود إلا فى العصور الحديثة، فلقد بكى أمير الشعراء «أحمد شوقى» أمه بلوعة وحسرة وقال عنها فى إحدى قصائده :

قم ابن الأمهات على أساس

ولا تبن الحصون ولا القلاعا

فهن يلدن للقصب المذاكى

وهن يلدن للغاب السباعا

وجدت معانى الأخلاق شتى

جمعن فكن فى اللفظ الرضاعا

كما يرى شاعر النيل «حافظ إبراهيم» الأم أستاذة تبنى المجتمع ، إن هى تعلمت وتثقفت، وتوجهه نحو الأفضل وتصنع الشعوب والرجال وتبنى صرح الوطن، وذلك بقوله :

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم أستاذة الأساتذة الأولى

شغلت مآثرهم مدى الآفاق

أما الشاعرة السورية المعاصرة «هند هارون» فتقول بلسان الأم موضحة لهفتها على ولدها وماتقدمه له :

رفيق الحب ياولدى

حنان الأم فى الكبد

زرعت النور فى عينى

زرعت الخوف فى سهدى

تذكر أننى الجذر

الذى أنماك ياولدى

وعلى نفس الاتجاه برع فى موضوع الأمومة أيضاً «معروف الرصافى» ، و«إبراهمى المنذر»، و«إلياس فياض»، و«صالح الشرنوبى» ، و«أبو القاسم الشابى»، و«فدوى طوقان»، ثم «بدر شاكر السبباب»، و«نازك الملائكة»، و«سليمان العيسى» ، و«محمود درويش» وغيرهم.

وقد أصبحنا نجد وللمرة الأولى فى تاريخ أدبنا العربى دواوين خص بها بعض الشعراء الأوفياء ومثال على ذلك مطولة ملحمة الأمومة للشاعر «عمر

بهاء الدين» ، كما أصبح لدينا فى الوقت نفسه وعلى صعيد مشابه دواوين شعرية أفردها بعض الشعراء المفجوعين لزوجاتهم أوبناتهم أمثال : «عبدالرحمن صدقى» ، و« عزيز أباظة» ، و«عبدالمعين ملوحى»، وفضلاً عن ذلك تجلى العطاء الصادق الدافق للأم والأمومة عند أدباء المهجر أيضاً ، يقول الشاعر «نعمت قازان» متذكراً أمه :

تذكــرت حتى همــت دمعـة

فشاهــدت أمــى فى دمعـــتى

ولاحــت لعـينـى فى هالـــة

عموداً من الشـعـر فى غرفـتى

كما يقول الشاعر إلياس فرحات» متذكراً أمه من خلال رؤيته للثلج :

يا ثلــج قــد ذكرتنــى أمـى

أيام تقضى الليل فى همى

مشغوفـة تحار فى ضمى

تحنــو على مخافـة البـرد

وفى رثاء الأم يبدع الشاعر «بدر توفيق» قصيدة ملتهبة يصف فيها رحلة الألم والعذاب فيقول :

دمها كان ينزف

أمى التى أضناها المرض

كنت فى العاشرة

كنت أمسك معصمها فى يدى وأبكى،

لعل الدماء تكف عن النزف من فهما المنفرجة

* *

ذلك الخيط من دمها لم يزل نازفا،
وأنا لم أزل - بعد أن صرت فى الخمسين -
طفلها ، ممسكاً يدها،
أتشبث بالدمع عل البكاء يفيد
هل تغير لون الدماء فصار بلون البكاء،
أم تحول فى داخلى الكهل طفلا،
وأنا الآن أنزف دمعاً بلون الدماء؟

وعن الحنين إلى الأم بعد الرحيل وما يكابده المرء من آلام الفقد والحرمان يقول الشاعرالفلسطينى «محمود درويش»:

أحن إلى خبز أمى..
وقهوة أمى.. ولمسة أمى..
وتكبر فى الطفولة.. يوماً على صدر يوم
وأعشق عمرى لأنى .. إذا مت ، أخجل من دمع أمى.

أما الصديق الشاعر «عادل البطوسى» فقد عانى هو الآخر مرارة الحزن حينما فقد أمه على أثر أصابتها بالداء الخبيث، فقرر أن ينشر لها ديواناً كاملاً بعنوان «رحيل السيدة الورد».

يقول «البطوسى» فى قصيدة «صرخة» :

فى مقبرة العائلة الشرهة،
أصرخ أمى..
يأتينى صدى صوتى : أ

م

ى

تشربنى صرخات الساقية الظمأى فى حقل الدم

أصرخ.. أمى

تنداح الصرخات إلى

منحدر الرمس الملغوم بأنفاس الأم

أصرخ : أمى

والمقبرة الثكلى فى رئتى

تنضح بالصبار المذبوحة

...وبالجميز المجروح

فأحتضر - من الحزن - أموت

فتصرخ أمى :

... ... قم !!

ومثلما أبدع هؤلاء فى شعر الأمومة، كذلك أبدع آخرون غيرهم ، أمثال: «جبران خليل جبران»، و«ميخايل نعيمة» ، و«إيليا أبو ماضى» ، و«زكى قنصل»، و«القروى» وغيرهم ممن أبدع فى هذا المجال، ورفع من شأن الأم فى أدبنا العربى، ومنحها ولو جزءاً من كبير فضائلها التى لاتتقدر بثمن.

القسم الثانى

الإعداد للأمومة

الأم أفضل مربى :

لاشك فإن الأم هى أول وأفضل من يربى أطفالها، ويتفق علماء الاجتماع والتربية والنفس على أن الأم هى أول وسيط للتنشئة الأسرية والاجتماعية للطفل، فهى أول من يتلقاه بالعناية والرعاية والاهتمام ، وهى التى تبدأ فى تنبيه العواطف والرموز التى تعطى الطفل الطبيعة الإنسانية، كما تمكنه من أن يصبح عضواً مشاركاً بصورة إيجابية فى المجتمع.

وفى المراحل الأولى من حياة الطفل يتضح دورها بصورة حاسمة، حيث ينمو دماغ الطفل بشكل متسارع، وذلك فى الثمانية عشر شهراً الأولى بعد الولادة، ينمو بسرعة لن يبلغها فيما بعد، فالمثيرات المتنوعة التى يتعرض لها الصغير تؤثر تأثيراً مهماً للغاية فى تنشيط هذا النمو وإثرائه، وتكون الأم فى أثناء هذه المرحلة النمائية المصدر الأساسى لهذه المثيرات، وأصبح من الواضح أن كل ما تفعله الأم فى المراحل الأولى من حياة الطفل يؤثر تأثيراً مهماً فى نموه وتطوره، فالأم هى أهم شخصية فى حياة الطفل، ولما كانت عواطفه مرتبطة بها، ترتب على ذلك أن كلماتها وأعمالها وعاداتها ومعتقداتها وأفكارها أهم عنده بما لا يقاس بغيرها، مما يصدر عن شخص آخر، قد يؤثر فيه أناس آخرون غيرها ، ولكنه لا يستطيع التخلص من تأثيرها إلا بقدر، فهى أول من يلقنه القانون، وهى أول مرشد له ومعلم، لذلك فهى مانحة الطفل صحته النفسية وسواء سلوكه، أو علته النفسية واعوجاج سلوكه.

ويأخذ التفاعل بكل أشكاله بين الطفل والأم أهمية خاصة فى نمو قدرات الطفل وتطوره، فالتفاعل اللمسى والتواصل البصرى، والشمى ، والصوتى يؤثر تأثيراً فى نمو الطفل من مختلف الجوانب، الجسدية والمعرفية والاجتماعية والانفعالية.

الإعداد للأمومة :

إن إعداد الأم لهذا الدور التربوى، وتنمية قدراتها والارتقاء بمهاراتها

الفكرية والثقافية والاجتماعية، يعنى الارتقاء بأدائها فى تنشئة جيل سوى مستنير، وذلك يستوجب إدراك المجتمع بمختلف مؤسساته الرسمية والشعبية لأهمية هذا الدور، ويستوجب أيضاً توفير الخطط والإمكانات لتحقيق أفضل الشروط لإعداد الأم إعداداً مناسباً، و لأن البناء التربوى السليم فى المراحل اللاحقة يستند إلى المراحل السابقة أى مرحلة الطفولة المبكرة، ولكى يكون البناء سليماً لابد أن يكون الأساس سليماً أيضا.

ولاتبدو هذه الصورة مشرقة فى العالم العربى على حد قول الدكتور «فايز نايف القنطار»، فبالرغم من أهمية دور الأم فى الثقافة العربية وما تحظى به من احترام وعرفان وتقدير، فإنها لا تحظى بالكثير قبل أن تصبح أماً، إذ تتراوح نسبة الأمية بين النساء فوق سن ٢٥ سنة فى العديد من البلدان العربية بين ٧٨٪ و٩٦,٦٪، وكما يبين تقرير اليونيسيف أن أوضاع الأطفال فى العالم لعام ٢٠٠٠ م أن أكثر من ٦٥ مليوناً من الأطفال فى المنطقة العربية يعانون من الأمية، وغالبيتهم من الإناث.

إن هذا القصور فى عدم توفير فرص النمو للأطفال والإناث خاصة سيترك آثاراً سلبية خطيرة على الدور التربوى الذى ستقوم به الأم نحو الأجيال القادمة، وذلك يؤسس لمشكلات مزمنة بعيدة المدى فى مختلف ميادين الحياة الاقتصادية والتربوية والثقافية والاجتماعية.

كما يعد الزواج المبكر للفتاة، الواسع الانتشار فى المجتمعات العربية ، من المشكلات المهمة التى تعرقل المهمة التربوية للأم، فكثيرا ما يتم تزويج الفتاة الصغيرة عندما لا تكون فى مرحلة من النضج المعرفى والانفعالى بحيث لاتتمكن من تحمل مسؤولية إنجاب الأطفال وتربيتهم.

إن أهمية الدور التربوى للأم، وتأثيره الخطير فى نمو الطفل من مختلف الجوانب العقلية والاجتماعية والانفعالية، يجب أن يحملنا على التفكير فى وضع الفتاة العربية أم المستقبل والمربية الأول، إذ تأخذ هذه المسألة فى الوطن

العربى بعداً خطيراً، فعدد الأميات يرتفع عاماً بعد عاما، مما يشكل مخاطر جسيمة على وضع الأسرة العربية وكفاءتها ومدى قدرتها على توفير الشروط المناسبة لنمو الطفل وتربيته، إن خطورة التقصير فى الرعاية الصحية والتعليمية لأطفال اليوم ، والتأثير السلبى للأمية التى تطال الإناث بشكل خاص، سيترك آثاره فى العقود القادمة، ويهدد بتقويض الجهود المبذولة فى ميدان العمل التربوى فى مختلف مراحل التعليم، ويحد من قدرة المجتمعات العربية على مواجهة تحديات المستقبل.

ارتباط وثيق:

علاقة الأم بطفلها تشكل دعامة جوهرية لنباء شخصية الإنسان المتنامى، ولاستتاب صحة البالغ الذهنية التى تنبنى تدريجياً طوال السنوات طويلة يجتازها منذ الولادة وصولاً إلى سن الرشد.

والأم عند كل منعطف من منعطفات الحياة البشرية نجدها جديرة بهذا الدور الربانى الذى منحها إياها الله سبحانه وتعالى، فهى التى تحمل الطفل فى أحشائها خلال تسعة أشهر حيث تتحول حياتها بشكل أو بآخر، مما يجعلها تتقبل العديد من المهمات التى كانت تثير تقززها واشمئزازها من قبل- كفتاة- كما أنها تتعرض لتحولات متعددة، بدءاً من مظهرها الخارجى وصولاً إلى شتى الأحاسيس التى تتغلغل فى داخلها تجاه الجنين الذى يتحرك بداخلها ويحول اهتمامها برمته من الخارج إلى الداخل، أى إلى ذلك الجنين الذى تحتضنه فى رحمها فتمتلئ شعوراً بالفرح والسرور.

والولادة تشكل علامة فاصلة فى مصير العلاقة البشرية القائمة بين «الأم والطفل»، فالطفل يحتاج بعد مشاركته الأم معركة آلام الوضع التى هو مصدرها، وبعد تركه عالم الرحم الدافئ، والمغذى والمطمئن حيث كان يحيا حياة طفيلية تكافلية تامة على حد تعبير الدكتورة «كريستين نصار» لمناخ ينبغى أن يكون قدر الإمكان مماثلاً لذلك الجو الذى تركه (فى الرحم)، والأم بالطبع

هى أفضل من يؤمن له هذا المناخ، لأنها هى الشخص الأقرب له والذى يعرفه المولود ويرتاح لملامساته واهتماماته به كشخص.

على أن الاهتمامات الأمومية من تغذيه، ونظافة، . . تشكل وسائل اتصال تعمق معرفة الأثنين أحدهما بالآخر، وذلك عن طريق تعبير الرضيع عن مشاعره المتنوعة لكن بشكل فطرى، أى عبر سلوكات ظاهرية لا يدرك معناها سوى الأم المرافقة لنموه، منذ ولادته.

مساندة الأب:

يمكننا أن نركز على أهمية مساعدة الأب لزوجته لتتمكن من التفرغ للطفل الذى يكون ارتباطه بأمه، خلال الفترة الأولى من حياته، مهماً جداً ، بحيث لا يجب ألا تهتم بأحد غيره، هذا إلى جانب إحساسها بالسعادة والارتياح لدعم الأب لها فينعكس هذان الشعوران، وبشكل مباشر، على ارتباطها برضيعها.

الحيوية والانفتاح:

تجدر الإشارة إلى أن نمو الرضيع لايرتبط بالأم وحدها، رغم أهمية دورها إلى جانبه، بل ينطلق أساساً من طاقته الذاتية، أى من مبدأ «الحيوية والانفتاح» المسير لنمو كل طفل، المترسخ فى داخله والدافع له للانفتاح على الحياة وعلى العالم الخارجى، وقد سمى هذا المبدأ «الانطلاق الفطرى نحو الحياة»، وهو طاقة كامنة يولد الكائن البشرى مزوداً بها ، لا تخلقها الأم أو الوسط بل تقدم الأم المناخ الملائم لبلورتها.

إذا الطفل يحمل برعم الحياة والنمو بداخل أعماقه، وهذا البرعم يتوق للتفتح عبر تبلور مختلف الاستعدادات الكامنة بالقوة داخل كل كائن بشرى، يصعب، بالتالى، إطفاء شعلة التفتح هذه عن الطفل، بل على العكس، يكفى أن تمتلك الأم الحد الأدنى من الوعى لمميزات نموه (حاجاته وحقوقه)

لتقدم له المناخ الملائم لنموه وتطوره على نحو سوى، إذ يكفى أن تتمتع بأشكال العناية التى تقدمها له لتؤمن هذا المناخ.

فى الختام لابد أن نؤكد على أن دراسة العلاقة بين الطفل والأم تطرح نفسها بشدة فى المجتمعات العربية ، خصوصاً فى بلدان الخليج العربى، إذ تتعرض العلاقات الأسرية لتغيرات عميقة، فكثيراً ما تتنازل الأم عن دورها فى الرعاية والعناية والتغذية، وتقوم الخادمة بهذا الدور معظم الوقت، مما يؤدى إلى حرمان الطفل من الفرص حيث التفاعل مع الأهل خصوصاً مع الأم، وهذا يحمل على الافتراض بأن تقليص فرص التفاعل مع الطفل يمكن أن يؤدى إلى عرقلة نمو هذا الأخير من مختلف الجوانب المعرفية واللغوية والاجتماعية والانفعالية والأخلاقية.

القسم الثالث

التعلق بالأم، أو الحرمان منها

التعلق بالأم:

ساهمت البحوث العديدة الحديثة المتعلقة بالسلوك فى إعداة النظر فى طبيعة العلاقة بين الأم والطفل، لقد نظر علماء النفس - وإلى وقت قريب - إلى هذه العلاقة على أنها تنشأ وتنمو على هامش الدوافع الأولية ، فالطفل يتعلق بالأم لأنها تشبع حاجاته الفسيولوجية خصوصاً حاجاته إلى الغذاء، وهكذا يتعلم الطفل أن الأم مصدر منح وعطاء ومصدر إشباع الحاجات.

إلا أن البحوث والدراسات الحديثة أدت إلى مراجعة نظرية التعلق التقليدية مراجعة جوهرية، إذا أوضحت أن التعلق حاجة أساس من حاجات النمو، حاجة قائمة بذاتها ومستقلة عن الحاجات الأخرى، حيث يظهر سلوك التعلق Attachment Behaviour ، ويتطور بمعزل عن إشباع الحاجات الفسيولوجية الأخرى، وينظر إلى التعلق الآن على أنه دافع أولى - كغيره من الدوافع الأساس - يتمتع بوظيفة بيولوجية نفسية مهمة.

ويعد التعلق - من وجهة النظر هذه - حاجة أساس، تمكن الطفل من النمو نمواً سويًا من النواحى البيولوجية والعاطفية والاجتماعية، وتمكن الأم من تحقيق ذاتها عبر ممارسة الأمومة.

وقد أوضح «أريكسون» Arikson أن تكون الشعور بالأمن عند الطفل يبدأ منذ العام الأول، فيما أسماه «الإحساس بالثقة» أو «التصديق» sense of trust. وهذا الإحساس يعتمد على أن الطفل يجد ما يتوقعه، فإذا توقع الطعام وجد ثدى الأم الذى يقضى به على آلام الجوع الذى قد يقوده إلى القلق ومن ثم الاضطراب، وعندئذ تكون البيئة المنزلية والمتمثلة فى رعياة الأم محل ثقته، فيمكن للطفل الاعتماد عليها للإشباع الملائم كلما احتاج إليه، وهذا الإحساس هو الأساس فى تكوين الشعور بالأمن. وكلما كبر الطفل أصبح مجال أهميتها أوسع من مجرد إشباع الحاجات البيولوجية ، فهو يتعلم منها الحب، لأنها هى التى أحبته أولاً.

الحرمان من الأم :

أصبح من الواضح أن خصائص تعلق الطفل بأمه تؤثر تأثيراً عميقاً فى سلوكه ونموه وتطوره، فالعلاقة المتبادلة بين الطفل وأمه تتطلب الثبات والاستقرار، لأن تجربة الانفصال عن الأم قبل أن يبلغ الطفل السنوات الثلاث ربما كانت من أقسى التجارب التى يمكن أن يعيشها الطفل، فيجب ألا يحدث هذا الانفصال إلا فى حالات الضرورة القصوى، وعند حدوثه، يجب أن يعرف الطفل أين هى أمه، ويتأكد أنه سيشاهدها بعد حين، وأن انفصالهما مسألة مؤقته.

والقاعدة النفسية الاجتماعية تقول : إن تعكر صفو العلاقات الاجتماعية المبكرة يمثل القاعدة لظهور أشكال الأمراض السلوكية الخطرة. ويفترض علماء النفس على وجه الخصوص بأن مخاوف الرضيع من فقدان الحب أو ما يعرف بقلق الانفصال، يرتبط مباشرة بالانغلاق على الذات أو الاسترسال فى أحلام اليقظة هروباً من الواقع، وفى الحالات المتطرفة يرتبط بالذهان.

وتظهر أعراض الحرمان من الأمومة بوضوح فى حالات التفكك العائلى، وتعتبر عاملاً رئيساً فى اضطراب نمو الطفل النفسى مادام تأثير خبرات الطفل فى مراحل نموه الأولى يمتد عبر مسار حياته، فكل وجه من أوجه شخصية الطفل قد تتأثر بفقدان الاهتمام والعطف الأمومى، يدخل فى ذلك ردود فعله الوجدانية ونظرته لنفسه وعلاقاته بالآخرين من حوله، وكذا نموه العقلى وحالته البدنية.

وجاء فى دراسة - تتبعت الظروف المؤدية إلى الاضطراب النفسى فى الطفولة المبكرة - أن نقص اتصال الوليد بأمه قد صاحبته أعراض شبيهة بالمرض النفسى، ونقصان ميل الطفل إلى اللعب العادى، وخاصة ذلك اللعب الذى ينشأ بين الطفل وأمه، وما جاء أيضاً عن دراسة آثار عزل الوليد عن أمه - لسبب من الأسباب - على قابليته للتعلم والاستجابة للمثيرات الجديدة

واحتمال الضغط النفسى، فوجدت الدراسة نقصاً واضحاً فى تلك النواحى جميعاً عند الوليد الذى حرم من الاتصال بالأم بعد ولادته.

ولأن الأم هى أول شخصى يبدأ معه الطفل إتصاله الشفهى بالآخرين، فإن علاقتها مع الطفل تظل أساسية. ومن ثم، فالانفصال والغياب الطويل المدى يولد مخاوف الفقدان لمصدر التعلق وهو الأم، ويجعل الطفل معرضاً بشدة للغضب والإحباط وتوقف النمو، والإنسحابية عند الرضع ، ومحدودية العلاقات الاجتماعية عن الكبار من الأطفال.

والدراسات التى تناولت صغار الأطفال ممن عوملو بنمط آلى، بارد، وحرموا من الاهتمام الشخصى والدفء الوجدانى والانتباه المنفرد انتهت إلى وجود تأثيرات سلبية عميقة لهذا الأسلوب فى التعامل كالشعور بالعزلة والوحدة، وانخفاض الروح المعنوية للطفل فى حالات الحرمان من التشجيع والاستشارات العقلية والاجتماعية والوجدانية اللازمة ، والتى عادة لاتتأتى إلا بتوفر قدر مناسب من الاتصال بالآخرين خاصة أقربهم له وجدانياً وهى الأم.

وانقطاع العلاقة بين الطفل وأمه لسبب أو لآخر من شأنه أن يصيب الطفل بهزة نفسية عنيفة، فقد ثبت أنه عند انفصال الأم عن طفلها، فإن هذا الاتصال يؤدى إلى توقف النمو الجسمى للطفل، وقد تتخلف مهاراته الحركية إذا ما قورن بالأطفال الذين يظلون فى رعاية أمهاتهم، حتى وإن كان يلقى رعاية جسمية أوفر من الأخرين.

وثبت أيضاً أنه وحتى مع وجود الأم بشخصها إذا لم تتوفر لديها القدرة على الوفاء بمطالب الأمومة التى يحتاجها الطفل فإن ذلك سوف يقود لتأثيرات غير محمودة، لقد وجد مثلاً أن الرفض وعدم التقبل للطفل من قبل الأم فى سنيه المبكرة قد تقوده إلى عدم الارتياح والحساسية المفرطة والسلبية والعناد والإحباط، خلافاً لتأثيراته السلبية على النمو الطبيعى للطفل فى

مراحله المبكرة المتعلقة بالإدراك والذاكرة والتقليد والنمو الاجتماعى والمشى والكلام والتغذية الذاتية وكذلك الإعاقات العقلية.

كما أن البرود العاطفى يقود إلى إشكاليات فى التغذية والنوم والعدوانية وعدم الارتياح، علاوة على أن الحرمان من عطف الأم واهتمامها له تأثيره على نمو الطفل اللغوى وقدرته على التعلق بالآخرين، والتحكم ببواعثه الآنية ومطالبته بالإشباع المباشر لحاجاته، وبحثه عما يهتم به، واللامبالاة أو الفتور فى الشعور والقلق وصعوبة التركيز فى التفكير.

الحذر من المبالغة:

ينبغى أن ننبه بأن ظهور مثل هذه الأعراض التى ذكرناها آنفاً، محكوم بعدة متغيرات منها : الطبيعة البيولوجية لتكوين الطفل نفسه وتأثيراتها الوجدانية، ومرحلته العمرية، ومعطيات الوسط المحيط به ثقافية كانت أم بشرية من أساليب تعامل وفرص تفاعل ، ومدى توفر بدائل مناسبة تحل محل الأم الأصلية حال تقصيرها أو فقدانها. إذ إن الأمومة تشير إلى علاقات مع الطفل لاسلوك معين لشخص بعينه دون غيره، مما يشير إلى أن البديل قديفى بالطلب متى توفرت فيه شروط الأمومة.

لذا... يجب ألا نبالغ فى تقدير التأثيرات السلبية للانفصال عن الأم، وأن ندرك بأن تأثير الانفصال يتوقف على طبيعة المعاملة التى كان يتلقاها الطفل قبل المعاملة التى بدأ فى تلقيها عند الإنفصال، هذا ما يؤكده المبحث النفسى الاجتماعى، فالعلاقات الاجتماعية التى يشرع الطفل فى بنائها تتوقف على ما الذى اعتادت أمه أن تفعله وليس على انفصالها عنه من عدمه. أى نوعية التفاعل الذى يتعرض له الطفل مع أمه تحكم نوعية التأثير المتوقع للانفصال . كما أن القبول والتقبل من الآخرين يسهل عملية تكيفه للوسط الجديد. نلحظ ذلك أحياناً فى ميل الطفل لغير أمه، أو تعلقه به على الرغم من وجود أمه.

وفى المقابل، قد يكون التعلق الشديد سبباً فى قلق الانفصال إذ أن الطفل شديد الالتصاق بأمه، لايستطيع تحمل الانفصال نظراً لتعلقه الوجدانى الشديد بها. ولقد لوحظ بأن أطفال الثقافات التى يتبادل فيها الأفراد العناية بالطفل، أقدر على تحمل مواقف الانفصال. وللعمر تأثيره أيضاً فى تحديد نوعية المعاناة من الانفصال، فالأطفال الكبار أكثر غضباً من الصغار لانفصالهم عن أمهاتهم. ولعل ما تتسم به العلاقات الاجتماعية لعائلاتنا المصرية والعربية من تلاحم وتواصل وانعكاساتها من دفء وشفقة وعطف وتواد وتراحم ما يحد من ظهور الآثار السلبية للانفصال بين الأم والأب ويجعل فيها تعويضاً لما قد يفتقر إليه الطفل.

ونؤكد أيضاً أن بعض الدراسات قد أثبتت فى هذا الصدد أن عزل الطفل بعيداً عن أمه مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، فإنه سرعان ما يسترد قدرته على مبادلتها عواطفها، فيعود بذلك إلى مظاهر نموه الطبيعى، فإذا امتد الحرمان العاطفى خمسة أشهر أخرى، فإن النمو العاطفى للطفل ما يلبث أن يتخلف بشكل ملحوظ عن النمو العاطفى لأقرانه ومن هم فى سنه، والأطفال الذين يحرمون نهائياً من أمهاتهم نتيجة الوفاة أو الطلاق مثل أطفال الملاجئ، فإنهم يتغلبون إلى حد ما على هذا الحرمان العاطفى القاسى إذا كان لديهم بدائل للأمهات، يقمن بمثل وظائف الأمهات ويبادلنهم الحب والعطف، مثل هؤلاء يبدون أحسن حظًا فى سرعة نموهم من أقرانهم الذين لايجدون بدائل لأمهاتهم.

عموماً.. الآثار ليست مطلقة، والأبحاث الحديثة تؤكد الاستنتاج القائل بأن بعض الأطفال ممن تربوا فى أوساط بديلة تمكنوا فى مستقبلهم من الاندماج فى المجتمع بكل ثقة. وهذا يشير إلى احتمالية تلاشى الانفصال فى حالة وجود البديل الذى تتوفر فيه شروط الحضانة من حسن عناية بالطفل واهتمام بإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية.

وقد يكون فى هذا تأويل الحكمة الشرعية فى حصر الحضانة لسنوات الطفولة المبكرة بالأم عند الأطفال بين الزوجين، وسقوط حقها فى الحضانة فى السنوات المتقدمة أو عند ثبوت عدم أهليتها فى الحضانة لقصور فيها، نظراً لما قد يتعرض له الطفل من معاملة سيئة من قبل زوج أمه، أو أن أمه فى مثل هذا الموقف قد تقصر فى حقه، وإذا عرفنا أن ذات الطفل تتشكل من خلال تفاعله الاجتماعى مع من حوله، فإن تعرضه لسوء المعاملة من قبل الآخرين (كمشاعر الضيق والتذمر أو النفور وعدم التقبل) سوف يترك أثره على انطباعاته عن ذاته مما يقود إلى تعثر فى نموه وصحة سلوكياته ولاشك أن لهذا الأمر خطورته على نموه السوى حاضراً ومستقبلاً.

التبصر والتريث:

لعل الوعى بالحاجة لرابطة الأمومة والآثار السلبية للحرمان منها فرصة للتبصر و التريث قبل الإقدام على قرار يرتبط بعلاقات الزوجية من شأنه أن يقود لمثل هذه الآثار السلبية، ويفسح الطريق أمامنا التفكير سليم ينجم عنه قرار حكيم فيه حماية لنا ولأبنائنا ولمجتمعاتنا التى طالما عانت من عقوق أبنائنا.

إن الكثير من مظاهر السلوك الضار اجتماعياً - فى بعض جوانبها - ما هى إلا أثر لغياب رابطة الأمومة أو الحرمان منها.

القسم الرابع

دور الأم فى تربية الطفل

قبل أن نعرض لدور الأم فى تربية أطفالها سوف نتوقف قليلاً لنبين طبيعة العلاقة التى تربط بين الطفل وأمه:

* العلاقة التى تربط الأم وطفلها هى علاقة ربانية لا وساطة فيها، فالأم تستطيع أن تفهم طفلها حدسياً(*)، كما يفهما هو أيضاً بالطريقة ذاتها، فى حين تعجز كل الوسائل الأخرى فى التواصل مع الطفل كما يحدث مع الأم. ولقد دلت بعض الأبحاث التجريبية الحديثة أن الطفل بإمكانه أن يميز دقات قلب أمه عندما تسجل، ثم يعاد إسماعه إياها، وهو لايزال فى أسابيعه الأولى. ومن البحوث ما يؤكد أيضاً أن الأم تدرك الفروق الدقيقة التى يتميز بها طفلها عن غيره من الأطفال سواء الغرباء أم الأشقاء.

* الخصوصية الشديدة فى العلاقة بين الطفل وأمه، فالعلاقة بينهما علاقة خاصة جداً، نموذج مثالى، قد يكون الأوحد الذى يكون فيه فردان وكأنهما فرد واحد. فى هذه العلاقة تسقط حدود «الأنا» و«الأنت»، وفى هذه الثنائية المتحدة - بين الأم ووليدها - نجد كلاً من الوجوديين يتعامل مع الآخر تعاملاً كلياً.

* هناك أيضاً علاقة تبادلية بين الطفل وأمه، وهى التبادلية فى التعامل والتفاعل، فالاستثارات والاستجابات دائماً استثارات واستجابات متبادلة. ويمكننا القول بأن إيجابية الأم - فى جانب كبير منها - تتحدد بإيجابية الطفل نفسه، وبمدى ما يدعوها إلى الملاحظة والمداعبة أو مجرد وجودها إلى جواره للاستئناس والاطمئنان.

* العلاقة بين الطفل وأمه علاقة مستمرة وموصولة، هذه الاستمرارية هى الضمان الوحيد لسويته، وصحته النفسية، وسلامته للتدرج والارتقاء والنمو،

* الحدس Intuition هو المعرفة الناشئة دون إدراك لطرق وظروف تلقيها، ويفسر علي أنه قدرة خاصة، وفهم متكامل لظروف موقف مشكل (حدسي فكري). ومن مفهوماته أيضاً أنه السبب الأولي للفعل الإبداعي الغائر في أعمال اللاشعور.

ضرورية أيضاً لضمان التدفق الوجدانى المتصل، لتيار الثقة والأمن والطمأنينة حتى يستطيع الطفل فيما بعد أن يواجه الحياة، ويواجه نفسه بثقة وحب وتفهم.

دور الأم:

فى البداية نود أن نؤكد على دور الأم الحاسم فى تربية الأطفال وإعدادهم ليكونوا ماهياتهم استعداداتهم وطاقاتهم الشخصية راشدين يتمتعون بشخصيات مستقلة وقادرة على المساهمة بشكل فاعل فى بناء مجتمعهم والسير به فى ركاب التقدم.

والأسرة المكونة أصلاً بفضل تعاضد الأب والأم للقيام بأدوارهما ووظائفهما المتنوعة والمتكاملة فى نفس الوقت هى المرجع الأساس : النفس والعاطفى والاجتماعى والعقلى والخلقى والتكوينى والمادى.. الذى تتبلور شخصية الإنسان المتنامى ضمن إطاره وذلك بفضل التبادلات العلائقية متنوعة الأطر والقائمة بينهما (بين الطفل وأسرته)، فهى المنظمة والمحددة لمجموع تصرفاته وإدراكاته وقدراته بحيث نستثير الإمكانات والطاقات التى يولد مزوداً بها الطفل فتدفعها فى طريق التطور السليم والسوى.

لذا.. سنحاول توضيح تلك الأدوار التى تقوم بها الأم نحو طفلها بشئ من الإيجاز :

* على المستوى الفسيولوجى :

تبين الدراسات الحديثة تأثير الإرضاع الطبيعى فى نمو الذكاء عند الطفل، وأهمية التغذية المتوازنة المناسبة لهذا النمو، وذلك يرتبط بالمستوى التعليمى والثقافى للأم.

وتكمن أهمية الإرضاع الطبيعى أيضاً، فى كونها تسهل عملية الإخراج (التعويد على النظافة) والهضم والفطام.. ولكها فى غاية الأهمية فى بناء

الشخصية المتكاملة الأبعاد. والإرضاع الطبيعى فيه كثير من الفوائد للطفل نذكر منها.

* درجة حرارة اللبن الطبيعى تماثل درجة حرارة الجسم طوال مدة الرضاعة مما لا يحدث أضراراً تنجم عن تغير درجة حرارة الغذاء إلى معدة الطفل الأمر الذى لا يمكن الوصول إليه فى حالة الرضاعة الصناعية والتى إن أمكن فرضاً، أن تتلاءم فى بدء الإرضاع فلا يمكن أن تتلاءم فى نهايته.

* لبن الأم مزود بعوامل المناعة ضد الأمراض التى يكتسبها الطفل بالرضاعة الطبيعية والتى لايمكن بل يستحيل توفرها فى الرضاعة الخارجية، بالإضافة إلى كونه معقماً بالخلقة الأمر الذى لا يتوفر فى اللبن الخارجى، مهما حرصنا على النظافة.

* مكونات لبن الأم تتغير يومياً وفقا لاحتياجات الرضيع والتى يعلمها الله سبحانه وتعالى، من حيث أنواع المعادن كالكالسيوم، والماغنسيوم، والحديد وما إلى ذلك، أو من أنواع الفيتامينات ، وغيرها التى تتلاءم مع نمو الطفل وبروز الأسنان وغيرها.

* بقاء الطفل مدة تسعة أشهر فى بطن الأم يتغذى بغذاء مهضوم من خلال الحبل السرى لا ينتج عنه فضلات تخرج من القبل أو الدبر يتطلب أن يكون أول ما يدخل معدته عن طريق الفم متلائماً مع جهازه الهضمى وبمواصفات محددة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

* التقام الرضيع لثدى أمه بالإلهام الفطرى الذى وهبه له الله عزو جل، وامتصاصه اللبن بفمه مع الضغط على الثدى بيديه وإرجاع رأسه إلى الخلف مع كل مصة يمصها أمر يدعو إلى التأمل والتفكير.. ففيه بذل للمجهود الذى قد يكون نوعاً من الرياضة التى تفيد العضلات والفقرات العنقية بالإضافة إلى مساعدته على الهضم، كما أنه يغرس فى نفس الطفل منذ نعومة أظفارده أن الحصول على الطعام يستلزم بذل المجهود الأمر الذى لا

يتوفر فى الرضاعة الخارجية من خلال زجاجة يتدفق الغذاء منها دون بذل لأى مجهود.

* الأم التى تقوم بإرضاع طفلها من ثديها تزرع فيه الحنان والأمن فإن شب عن الطوق شب باراً بها غير جاحد.

* استخدام الأم لثديها فيما خلق له حفظ وصيانة والتى تمتنع عن إرضاع طفها خوفاً على شكل ثديها هى أم جاهلة لأن الوسيلة الوحيدة للحفاظ على النعم هو استخدامها فيما خلقت له.

هذا التنويه بالنسبة لوجوب أن تقوم الأم بإرضاع طفلها رضاعة طبيعية من ثديها بدلاً من اعتماد التغذية بالرضاعة الصناعية يعزز عند بعض الأمهات الإحساس بالتقصير تجاه أطفالهن ويغذى بالتالى الشعور بالذنب عندهن، كما يؤثر سلباً على العلاقة التى يقمنها معه، لذلك نحن نتوجه إلى هؤلاء الأمهات بقولنا : من الأفضل تغذية الطفل من الثدى نظراً لبعض الفوائد التى ذكرناها أنفاً إن كان باستطاعة الأم فعل ذلك، لكن فى حال تعذر عليها تأمين ذلك لأسباب قاهرة تخرج عن إرادتها، فإن ذلك لا يعنى أنها عاجزة عن توفير مناخ التغذية الملائم لنموه السليم، فلقد تبين فى ضوء نتائج العديد من الدراسات المحققة فى هذا المضمار، أن لكيفية تقديم الثدى (أو الرضاعة الخارجية) أهمية مماثلة ، إن لم تتجاوزه : وبالفعل ، إن لم تتفرغ الأم للطفل الذى يمص الثدى فتناغيه وتداعبه وتوجه إليه شتى الرسائل الدالة (من الابتسام له ، والنظر إليه، ومداعبته، . . . .) وهذا ما يمكن تأمينه أيضاً عند إعطائه الرضاعة الخارجية، لن تؤدى عملية الغذية مهامها المتنوعة ، فللابتسامة، ومختلف الأنشطة المتبادلة بين الرضيع وأمه، خلال عملية مص الثدى، أهمية قصوى فى تفعيل طاقات الطفل الكامنة (والتى يولد مزوداً بها منذ الولادة) وتنميتها، وقد جس عالم النفس «جان بياجيه» ذلك عبر الصورة التالية : تبتسم الأم للرضيع فيرد الابتسامة التى تفرح قلب الأم فتبتسم من

جديد ، ويتوقف الرضيع غالباً عن المص ليداعب بيديه وجه الأم الحانى عليه والمبتسم له، وهكذا. . وهذه الرسائل المتبادلة بين الرضيع وأمه تبدو بمنزلة العالم الأساس المسؤول عن اكتساب عملية الرضاعة التى ذكرناها.

و من أدوار الأم الفسيولوجية أيضاً تعويد طفلها على النظافة ، هذا التعويد الذى فضلاً عن كونه أحد مقومات دور الأم، إنما يشكل أيضاً أحد عناصر التكيف الاجتماعى المميز للإنسان السوى شرط ألا تلجأ الأم لتحقيقه إلى وسائل عدوانية وشرط ألا يتم قبل أن يتقبل الطفل العالم الخارجى، ولو بشكل بدائى.

ثم إن عملية التعويد على النظافة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية الهضم التى تتم، فى البداية، بشكل آلى لكنها سرعان ما تصبح رمزية إذ يحس الطفل بأهمية فضلاه بالنسبة للمحيط (الأم بوجه خاص) فيتخذ من هذه الفضلات (بشكل لاواعى بالطبع) وسيلة تعبير عن رضاه تجاه الأم فيكافئها بقبول تلبية رغبتها فى إخراج هذه الفضلات بالطرق المقبولة أو المعروفة، أو على العكس حينما يعبر عن انزعاجه فيها فيرفض تلبية رغبتها هذه .

وأيضاً النظافة فى المأكل والمشرب والملبس لحماية المولود من الأمراض، وأخذ الحيطة والحذر والوقاية من الأمراض خصوصاً المعدية التى تنتقل عبر وسائط مختلفة. ثم نجد العناية بالنوم وقضاء الحاجة فى أوقاتها من ضروريات أدوار الأم التربوية فى جانبها الفسيولوجى.

٭ على المستوى العقلى :

يتجلى دور الأم على هذا المستوى فى تعليم الأطفال ومتابعتهم لما أنجزوه فى دور الحضانة أو فى المدرسة الابتدائية ، ومساعدتهم على إنجاز الواجبات المنزلية، وتتميم ما نقص عندهم من معرفة إما بالتلقين أو بالإرشاد إلى مصادرها ككتب التاريخ والعلوم والرياضيات واللغة. . إلخ، ومحاولة تقريب المفاهيم إليهم ومناقشتهم فى أفكارهم، وتدريبهم على التفكير العلمى

والمطالعة الواعية.

هذا .. وتوضح بعض البحوث الحديثة أهمية دور الأم فى النمو اللغوى، المعرفى للطفل، حيث يعد التفاعل بين الأم والطفل فى المراحل الأولى من حياة الصغير نقطة انطلاق مهمة فى تطور التواصل اللاكامى بينهما، إذ يستند هذا التواصل على الإرشارات الجسدية، كالتعابير الوجهية المتنوعة، والإصدارات الصوتية، والتبادل البصرى والشمى . ويرى الكثير من الباحثين أن هذه المرحلة تمهد لاكتساب اللغة الكلامية، وأن السياق الإبداعى الذى يؤدى إلى التفاهم والتفاعل بين الأم والطفل، يشكل حجر الزاوية فى تطور الطفل اللغوى والمعرفى.

وتقوم الأم من خلال التفاعل مع الصغير، بتحضيره فى أثناء السنة الأولى ليتمكن من تطوير عناصر مهمة وضرورية لتعلم اللغة، ويأخذ التواصل الكلامى أهمية خاصة بين الأم والطفل فى عامه الثانى، إذ يتم اكتساب اللغة فى إطار التفاعل والحوار واللعب ، وتصدر الأم المثيرات اللغوية بما يتناسب ومراحل تطور الطفل الذى تتاح له الفرصة، كى يعبر عن ذاته ويظهر كفاءته، ويضع موضع التطبيق ثروته اللغوية التى اكتسبها يوماً بعد يوم، عبر تفاعله مع الأم.

كما تشير بعض البحوث إلى وجود علاقة قوية بين النمو اللغوى عند الطفل ونسبة المحادثة بين الطفل والأم التى تظهر فى أثناء النشاطات المشتركة بينهما، ويرجع النمو السريع عن الطفل الأول (البكر) إلى وفرة فرص النشاطات المشتركة بين الأم والطفل الوحيد، كما أن المستوى التعليمى الثقافى للأم يؤثر فى تنشيط النمو اللغوى والمعرفى عند الطفل.

*** على المستوى الحسى :**

الإثارة الحسية يجب أن تحيى وتنمى كل أنماط الخبرات الحسية للصغير من تحسس ولمس وسمع وإبصار وذوق وشم وتوازن وحركة. وما الحديث مع

الطفل والضحك والدندنة والهمهمة ومشاركته لعبه وتزويده بأدوات اللعب من كافة الأشكال والأصناف والألوان وتدريبة عليها إلا مظهراً من مظاهر العناية بنموه الحسى. وبحكم الروابط الوجدانية المتميزة بين الطفل وأمه، تلعب الأم - دون غيرها - دوراً مشهوداً فى نمو الطفل الحسى لقدرتها على تحمله وتقبله. والأبحاث المعاصرة حول الحرمان الحسى تشير لأهمية التحفيز والحث والتنبيه كجزء من العلاقة بين الأم والطفل. ولا يخالجنا شك بأن لامصدر يوازى الأم، مصدراً للحنان والشفقة والعطف.

لذا... لا يكتمل دور الأم أو عملها فى رعاية أطفالها إلا بالتنبيه والاستجابة، فهى تنبه حواس الطفل، وتنبه استجاباته للمؤثرات والمثيرات الاجتماعية. والتنبيه على هذا النحو من جانب الأم، على درجة كبيرة من الأهمية ، بحيث إذا لم يتم هذا التنبيه فقد يؤثر تأثيراً سالباً على سلامة التكوين الأساسى له.

والأم حينما تنبه الطفل، فإنها تفعل ذلك لتصدر من الطفل استجابة فهى حين تصدر صوتاً، فإنها تترقب من الطفل أن يصدر هو الآخر صوتاً مماثلاً. وفى دراسة تجريبية ميدانية تم تسليط الضوء حول أهمية هذا الدور الاستثارى للأم، فلقد أجريت دراسة على الأطفال الذين يولدون قبل موعدهم المحسوب، وهؤلاء الأطفال يتعرضون للحرمان من الاستثارة الحسية التى يحظى بها الجنين بينما هو فى رحم الأم، ذلك لأن بيئة «ما قبل الولادة» تزود الجنين بتشكيلة من الخبرات تكاد تشبه «التدليك» و«التربيت» الأمر الذى يعد جوهرياً للنمو السوى، ومن ثم، فإن الطفل المولود قبل موعده يبدأ حياته بنوع من الإعاقة من حيث نموه فى المستقبل. وقد تصدت العالمة «روث رايس» لهذا الأمر فى محاولة للإجابة على السؤال التالى : ماالذى يحدث لو أن أمهات أولئك الأطفال المولودين قبل موعدهم عوضن - بجهد مقصود - ماحرم منه أطفالهن من استثارة حسية ؟ لذلك اختارت خمسة عشر رضيعاً

جعلتهم «المجموعة التجريبية»، واختارات أربعة عشر رضيعاً آخرين جعلتهم «المجموعة الضابطة»،وكان جميع الأطفال ممن ولدوا قبل الميعاد (أى ولادة مبكرة)، ثم جرى تدريب أمهات «المجموعة التجريبية» ، وتعليمهن إعطاء استثارة خاصة لمدة خمس عشرة دقيقة، أربع مرات فى اليوم ، ولمدة شهر، بدءاً من اليوم الذى يعود فيه الرضيع إلى بيته، وكان أطفال هذه المجموعة يدلكون ويربت عليهم، وبعد ذلك كانت الأم تؤرجح الطفل ثم تضمه إليها خمس دقائق مرة أخرى، هذا بينما أمهات أطفال «المجموعة الضابطة» لم يكلفن بأى من هذه المهام، وبالتالى لم يحظ أطفال هذه المجموعة بما حظى به أطفال «المجموعة التجريبية». وبعد أربعة أشهر أحضر أطفال المجموعتين لإجراء الاختبارات عليهم، فأظهرت الآتى : المجموعة التى حظيت بالإستثارة اللمسية الحركية Tactile - Kinestnetic تقدمت تقدماً مميزاً فى الوزن، وفى اختفاء الانعكاسات التى تختفى عادة عند هذا العمر، ولكنها لم تختف بعد عن أطفال «المجموعة الضابطة».

*** على المستوى الوجدانى :**

لقد ثبت أن الأم المتنبهة لإشارات الصغير والملبية لحاجاته بانتظام، والحاضرة بأحاسيها وعواطفها فى استجابتها للصغير تهيئ له الشروط المناسبة لتنمية سلوك التعلق الآمن Secure Sttachment وتعزز لديه الثقة بالكبار، فالطفل يعمم هذه الثقة فى علاقاته مع الآخرين، بينما يتسم التعلق بالقلق عندما لا تتنبه الأم لإشارات الصغير ولا تكترث بما يصدر عنه، ولاتظهر استجاباتها نحوه فى الوقت المناسب، وهذا ما يؤدى إلى القلق والغموض وعدم ثقة الطفل فى الكبار، ويظهر الخوف والهلع عندما يرى شخصاً غريباً للمرة الأولى.

لقد أوضحت بعض البحوث المتعلقة بملاحظة الأطفال مع أقران اللعب أن

درجة الأمن والطمأنينة فى العلاقة مع الأم ، تؤثر فى درجة التفاعل مع الأقران، فدخول الطفل فى علاقات اجتماعية وتفاعلات متعددة مع الأتراب، يرتبط بدرجة شعوره بالأمن فى علاقته مع الأم.

ويرى بعض الباحثين أن مظاهر الخوف المفرط (phobia) التى يعانى منها الطفل تكون نتيجة لاضطراب التعلق بينه وبين الأم، ويظهر هذا الخوف فى حالات متعددة :

الخوف من الظلمة، أو الخوف من وقوع مكروه للأم، أو الخوف من الحيوانات، أو الخوف من الذهاب إلى الروضة أو المدرسة. وتترافق هذه المظاهر ببعض الاضطرابات العضوية الوظيفية خصوصاً عندما تتسم العلاقات السائدة بالوسط الأسرى بالاضطراب والتوتر والمشاجرة.

والحب الذى تقدمه الأم لطفلها يعد أحد ركائز الطمأنينة الثلاث : الحب والثبات والتقبل، الضرورية لنمو الطفل العاطفى والنفسى بخاصة، وأن كل علاقات هذا الطفل تتمحور حوله : علاقاته بالأم بادئ ذى بدء، علاقاته بالأب (سنوضحه فى الفصل الثانى من هذا الباب)، ثم بباقى أفراد الأسرة، ومن ثم علاقته بالمجتمع الأكبر. لكن ينبغى أن يكون هذا الحب مطعماً بالسلطة وحب الأم يعنى العطف والحنان والتفهم العفوى (الحدسى) الذى يشعر الطفل بأنه مقبول لذاته لا كلما يشاؤه الآخرون، وهذا الحب ليس غاية فى حد ذاته بل وسيلة تتحدد، من خلالها حياة الطفل الانفعالية المستقبلية إذ يدوم إلى ما لا نهاية فى نفسية الراشد . وفى الحقيقة، شكل واقع إحساس الطفل بانعدام تقبل الأهل له لذاته أحد أهم العوامل المثيرة لحدوث مختلف الاضطرابات النفسية عنده، هذا ما كشفت عنه نتائج البحوث الميدانية العديدة.

أما منح الأم ما يعرف باسم «الدفء الوجدانى» فهو عبارة عن خليط غير متكلف من العاطفة والملاحظة مع التشجيع والإعجاب وإدخال الطمأنينة إلى

نفسه، بمعنى آخر أنها تشتمل على كل ما يجعل الرضيع يشعر بأنه محبوب ومقبول ومطلوب. إنها المكونات الأساس التى تسبق المظاهر الأخرى للأمومة.

إن الأم عليها مسؤولية فى غرس صفات وتوازنات نفسية فى طفلها منها : الجرأة، والشعور بالعزة، والشجاعة ، والكمال ، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب وذلك بتمالك الأعصاب. كما عليها تجنيبه وتحريره من صفات غير سوية مثل : الخجل والخوف والشعور بالنقص والتدنى أمام الغير والحسد والبغض وغيرها من نواقص النفس.

*** على المستوى الاجتماعى :**

تضطلع الأم بدور أساسى فى تنشئة الطفل، فالتنشئة القائمة على المحبة والديمقراطية والتسامح تعزز شعور الطفل بالأمان والثقة بالعالم، ونمو الطفل فى جو مفعم بالمحبة والحنان يفعل فعله فى تنمية ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة تبعات الحياة، الهينة والقاسية على حد سواء، بينما تؤدى معاملة الطفل بتشدد ونفور وكراهية إلى التعاسة والشقاء ، وتجعله ينظر إلى العالم نظرة قاتمة متشائمة.

وعلى الأم أيضاً أن تربى طفلها على التعاون والتعارف والصفح والجرأة فى حدود اللياقة والأصول، ومراعاة حقوق الآخرين كيفما كانوا، والالتزام بآداب الطريق، واحترام ارشادات المرور، إن ذلك يكون الإنسان المتزن اجتماعاً، الذى يؤمن بقضايا أمته ويدافع عنها، ويظهر فى المجتمع بمظهر الرقيق، البشوش ، المتزن، العاقل، العطوف. . .إلخ.

*** على المستوى الخلقى :**

على الأم تنمية الجوانب الأخلاقية فى شخصية طفلها، باطلاعه عن طريق الممارسة والتنظير على الأخلاق الحميدة التى نادت بها كافة الأديان السماوية

بوصاياها وتعاليمها. كذلك يقع على الأم مسؤولية تربية الطفل منذ الصغر على الصدق والأمانة والاستقامة والإيثار وإغاثة المحتاج واحترام الكبير وإكرام الضيف والإحسان إلى الجار ومحبة الآخرين.

والأم مسؤولة أيضاً عن تنزيه لسان طفلها من السباب والتلفظ بالألفاظ النابية، وعن كل ماينبئ عن فساد الخلق وسوء التربية. ومسؤولة عن ترفع ابنها أو ابنتها عن دنايا الأمور وقبح العادات واعوجاج السلوك وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة. كذلك تعويد الطفل على تنمية مشاعره الإنسانية الكريمة، وأحاسيسه العاطفية النبيلة كالإحسان إلى الفقراء والمعوزين، والعطف على اليتامى والأرامل، وغيرها من المسؤوليات الكبيرة الشاملة التى تتصل بالتهذيب وترتبط بالأخلاق.

⋆ على المستوى الإيمانى :

على الأم أن تربى طفلها على الإيمان بالله سبحانه وتعالى والاتكال عليه، وأن تعوده على ممارسة سائر العبادات كالصلاة والصوم والصدقة بشكل ميسر، واصطحابه إلى دور العبادة لتأدية شعائره الدينية، وغرس قيم الإيمان الصادق إلى قلبه. والقدرة فى كل ذلك هى الأم التى تمرر التربية الدينية والإيمانية إلى طفلها ، وهى تعلم علم اليقين أن الإيمان الحقيقى له مكانة عظمى فى حياة الإنسان من حيث استقراره النفسى والعقلى والوجدانى، وكذلك انسجام رغباته وأهوائه مع المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه، فالإيمان يوفق بين هذه الرغبات والمحيط ، ويخلق توازناً فى شخصية الإنسان.

⋆ على المستوى الجنسى :

وفيه تعلم الأم أطفالها وتوعيهم وتصارحهم عندما يصلوا لمرحلة التعقل بالقضايا التى تتعلق بالجنس والغرائز والزواج.. حتى يعلموا ما يحل لهم،

وما يحرم عليهم، ويستقيم سلوكهم وفق آداب وتعاليم الأديان السماوية، فيتعلموا كيف ينشغلون بطلب العلم والعبادة عن تلبية الرغبات الغريزية الجنسية بالزنا والفسق.

والمنحى الجنسى طغى فى تلك الآونة طغياناً شديداً، وأصبح هاجس الشباب والشابات، لما فقدوه من تربية صحيحة سليمة ، بل لما فقدته الأسرة والطريق العام من ضوابط التربية الصحيحة، ولما دخل كل بيت من بيوتنا تلك الوسائل التكنولوجية الفضائية التى تبث الإثارة الجنسية بكافة صورها وأشكالها المقززة المقيتة.

وعلى الأم أيضاً تربية أولادها وبناتها على آداب النظر والاستئذان والمجالسة أو المخالطة فى حدود ما سمحت به تعاليم الأديان السماوية والقوانين الأخلاقية وبالقدر المطلوب، حتى تجنبهم آفات هذا العصر.

الفصل الثانى

الأبوة .. واكتمال دورة الحياة

ام ..

القسم الأول

الأبوة والأدب

إذا كانت الأمومة قد حظيت بمكانة مرموقة فى ذاكرة الأدب العربى كما ذكرنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب، وهى مكانة - بالطبع - تستحقها، فالأبوة أيضاً حظيت بنفس المكانة، فرسالة الآباء تتمم رسالة الأمهات وتدعمها وتسموبها. وكما أن الأمومة ليست عملاً على الإطلاق، فالأبوة أيضاً، فالطفل فى أطوار نموه يكتسب العديد من اتجاهاته وسلوكياته ومرجعياته بل ونظرته المجملة للحياة من النموذج الذى يحتذيه دائماً ألا وهو الأب، من هذا المنطلق لابد أن نؤمن أن الحياة الصحيحة، السليمة، لاتستقيم ولاتستكمل دورتها بانسيابية ونجاح إلا بتمازج وتناغم رسالة الأم والأب على حد سواء، كلاهما يشكلان الطفل فى أرقى صورة ممكنة، ثم يقدمانه للحياة: شاباً، فرجلاً، فكهلاً، يلعب نفس الأدوار، بل يتخطَّاها، يقول كاتبنا الكبير «توفيق الحكيم» : «الأبوة تحقق رسالتها عندما يوجد أبناء يتجاوزونها ويتفوقون عليها.».

وإذا كان الشعر كما يقول «جورج إليوت» : «خلاصة المعرفة الإنسانية، واكتشاف حقائق الوجود عبر أداة تفوق أداة العلم والتاريخ، تلك الأداة هى رؤية الشاعر الثاقبة النادرة»، فإننا سنتوقف قليلاً أمام بعض الشعراء والشاعرات الذين لمسوا الأبوة فى أسمى معانيها فراحوا يعبرون عنها فى قصائد صادقة، ستظل باقية ما بقيت عاطفة الأبوة على مر السنين.

الشاعر العربى الكبير «أبو القاسم الشابى» فى إحدى قصائده المؤثرة راح يذكر كيف علمه والده معانى الرحمة والخير والحق كأول درس من دروس الحياة، ويذكر كيف أن رحيل هذا الأب جعله يشعر بالظمأ والخوف والشجن، لكن الشاعر يستجمع فى النهاية قوته، ويعود إلى رشده، إلى ما علمه له الأدب، فيتذكر أن الإنسان لابد أن يكابد أحزانه حتى مع رحيل الأب، فيتصالح مع الحياة متسلحاً بما تربى عليه، فيحيا بالصدق والإيمان كى تعود الحياة إلى دورتها المعتادة . يقول الشاعر :

أبى أفهمنى معانى الرحمة والحنان
وعلمنى أن الحق خير ما فى العالم
وأقـــدس مـــا فـــى الوجـــود
ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى
ومشاعـــرى عميـــاء بالأحـــزان
أنى سأظمـــأ للحـــياة واحتـــسى
مـــن نهرهـــا المتوهـــج النشوان
وأعـــود للدنـــيا بقلـــب خافـــق
للحـــب والأفـــراح والألحـــان
ولكل ما فى الكون من صدور المنى
وغرائـــب الأهـــواء والأشجـــان
حتى تحركـــت السنـــون، وأقبلـــت
فـتن الحيـــاة بسحـــرها الفتان
فإذا أنـــا مازلـــت طفـــلاً مولـــعاً
بتعقـــب الأضـــواء والألـــوان
وإذا التشـــاؤم بالحيـــاة ورفـضها
ضـــرب مـــن البهـــتان والهذيـــان
إن ابـــن آدم فى قـــرارة نفســه
عبـــد الحيـــاة الصـــادق الإيمـــان

أما الشاعر الكبير « أحمد عبدالمعطى حجازى» فإنه يذكر فى مرثيته الرقيقة كيف أن أبيه تحمل آلامه وأوجاعه وحده دون أن يشاركه فيها أحد، تعذب فى صمت، حتى أنه رحل فى صمت أيضاً. افترق الشاعر عن والده إلى الأبد، ولكن.. هل غابت صورة الأب الجميلة عن مخيلة الشاعر رغم إيقاع الحياة المتسارع !؟ أبداً، الشاعر ما يزال يرى صورة أبيه نابضة بالحياة ، وابتسامته الرائعة التى ما فتأت تضئ له ظلمة الحياة وتنير له مسالكها المتشعبة أيضاً، وتفرش طريقه بالسلام.. أبى ...

وكان أن ذهبت دون أن أودعك
حملت لحظة الفراق كلها معك
حملت آلام النهاية، احتبست أدمعك
أخفيت موجعك
فوجهك الحمول كان آخر الذى حملته معى
يوم افترقنا .. لايزال مضجعى
يراك.. حينما أراك.. بسمة على الظلام
تنير لى مسالك الأيام
وتفرش الطريق بالسلام.. السلام

وحينما نهم بقراءة ديوان الشاعر «فاروق شوشة» : «يقول الدم العربى » فى قصيدته الرائعة «رسالة إلى أبى» نراه يناجى الأب الذى رحل وغاب، وهو يطل منه بإلحاح مستميت أن يمنحه تلك الأشياء التى لم يجدها فى الحياة بعد هذا الرحيل الدامى، يمنحه السكنة والدعة ، الصفاء والنقاء، القناعة والصبر، الرضا والشكر، الشاعر يلوذ بأبوته المفقودة، يشكو لها انكساره فى تلك الحياة الصاخبة، يشكو شعوره المتأجج المكتوى بنار الغربة، ولهيب الوحدة، مازال هناك توق من الابن لينهل من الأبوة فى أجمل وأرق

معانيها وتجلياتها، تلك الأبوة التى يصفها الشاعر بأنها عبارة عن مزيج متناغم مجاناً بلا مقابل ، هذا العطاء المتمثل فى البصيرة المتقدة، والنور الذى يضئ فى الظلمة، والعون ساعة لا يجد المرء من يغيثه، ليعبر طريق الحياة بسلام وأمان، لذا . . فإن شاعرنا الكبير يرجو أبيه - متوسلاً - أن يأخذ هو بيده حتى وإن كل هذا الأب لم يعد له وجوداً ملموساً . . يقول الشاعر :

أبى..

تراك فى مكانك الأثير ما نحى سكينتك

وقد فرغت من رغائب الحياة

فانسكبت شيخوختك

على مدارج الصفاء والرضا

وصار قوس الدائرة

أقرب ما يكون لاكتمالها الفريد

هأنذا ألوذ بك

أنا المحارب الذى عرفته ، المفتون بالنزال

وابنك...

حينما يفاخر الآباء بالبنوة الرجال

منكسراً أعدو إليك

أشكو سراب رحلتى

وغربتى

ووحدتى

محتمياً بما لديك من أبوتى

ولم يزل فى صدرك الرحيب متسع

وفى نفاذ الضوء من بصيرتك

فامدد يديك للذى قد غاله الطريق..

وفى ديوان بعنوان : «حبيبتى لا ترحلى» للشاعر الرقيق «فاروق جويدة»، وفى قصيدته المؤثرة «بالرغم مناقد نضيع »، فإن الشاعر يتذكر وصايا الأب حين يهم الابن بالرحيل من القرية الصغيرة إلى المدينة الكبيرة، تلك الوصايا التى تشكل جسراً من التواصل الفريد بين الكائن الصغير الذى يرحل إلى عالم يعج بالأسرار المبهمة ، وبين الكائن الكبير الذى اعترك الحياة وخبرها، وكون فى النهاية رؤية عميقة الدلالة ، الأب يصف للابن الصغير ما سوف يلاقيه فى المدينة الصاخبة، التى تعج بالغربة، والبؤس، والاكتئاب، والزحام، والامتهان ، والهموم، والضيق، الأب يدعوه أن يقاوم المدينة بأمضى سلاح عرفته البشرية، سلاح الإيمان . . يقول الشاعر :

قد قال لى يوماً أبى

إن جئت يا ولدى المدينة

كالغريب..

وغدوت تلعق من ثراها البؤس

فى الليل الكيب..

قد تشتهى فيها الصديق

أو الحبيب

إن صرت ياولدى غريباً

فى الزحام

أوصارت الدنيا

امتهاناً.. فى امتهان

أو جئت تطلب عزة الإنسان

فى دنيا الهوان

إن ضاقت الدنيا عليك

فخذ همومك فى يديك

واذهب إلى قبر الحسين

وهناك صل .. ركعتين...

شاعرة خليجية لها صوت شعرى متميز ومتدفق، هى الشاعرة «جنة القرينى»، لها أيضاً مرثية رائعة ، وبكائية شجية، تصب فيها همومها وآحزانها بعد رحيل الأب، الذى كان كل شئ فى حياتها، تعلن عن شوقها وحنينها إليه، تخبره بأن الفراديس تحولت إلى عذابات ، والأعراس انقلبت إلى أحزان ودمعات. . تنادى الشاعرة وتكرر النداء، فكم كان الأب يملأ دنياها سعادة وحنين ، يضئ بوجوده عتمتها وظلمتها، يحتضنها دوماً بابتسامات لاتغيب ولا تنمحى ، هى تعلن بإصرار كبير رغبتها فى اللقاء به حتى وإن رحلت إليه، تقول الشاعرة فى مرثيتها :

أبى ياأبى ياأبى ياأبى

تعبت ، يناديك موج حنينى : تعالى إلىّ

أدق عليك نوافذ صمت الدجى

لا تجيب

أدق سحاب الكون

بجنح الشروق، فلا تستجيب

وكنت تشق ستار السحاب

وتشعل فوق متون الظلام
شموع اللقاء
فأحضن لون ابتسامات صوتك
وعينيك فى جفن شوقى إليك



أبى لن أقول بأنى أحبك
تعلم كم أتشهى لقاك
صداك
عناقك
لثم يديك
وتعلم كم أتمنى الرحيل إليك، إليك.....

القسم الثانى

الوجود النفسى للأب

كان من الضرورى - فى مرحلة الطفولة - أن يمنح الطفل الإحساس بذلك الرباط الوثيق الذى يربط بينه وبين أمه. والأم بدورها لاتدخر وسعاً فى أن تشعره بذلك كلما لبت له إشباع حاجاته البيولوجية من طعام وشراب ونظافة، وحاجاته السيكولوجية، من حب وحنان وأمن وانتماء. .إلخ، على أنه كلما تقدم به العمر، يجب أن نعلم الطفل كيف يمنح حبه للآخرين، كما يمنحه لأمه المنوطة بإشباع حاجاته الضرورية. ولعل الأب هو أول من يدخل تلك الدائرة السحرية التى تربط الطفل بأمه، ليكون العضو الثالث فيها.

وقد كان فى السابق ينظر إلى الأب باعتباره العضو الذى يقوم بإنزال العقاب على الأطفال كلما أخطأوا، أوحادوا عن الطريق القويم المرسوم لهم، ولكن مع تقدم الأساليب التربوية الحديثة، والاهتمام بتطبيق نظريات علم النفس الأكثر تطوراً وإلماماً بحاجات الأطفال وقواعد تنشئتهم ورعايتهم، نستطيع القول بأن وجود الأب فى حياة الطفل قد أخذ اهتماماً أكبر وأعمق من كونه يقوم بعمليات العقاب، أو من كونه المتولى شؤون الإنفاق على الأسرة وبالأخص على أطفاله.

مظاهر سلبية:

يقرر عالم النفس الشهير «فيليس هوسلر» بأنه قد تنتاب الطفل بعض المظاهر السلبية أوالعدائية تجاه أبيه، فالوليد الذى مازال يحمل على ذراعى أمه قد يبدى عجزاً ملحوظاً فى تقدير والده، وحينما يصل الطفل إلى مرحلة أعلى فى النمو قد يظهر عداءه لوالده، وحينما يصل الطفل إلى مرحلة أعلى فى النمو فقد يظهر عداءه لوالده باللفظ، حينما يقول له : «ابتعد» ، وقد يطلب من أمه أن تحمله، عندما يشعر بأن أباه يقترب من أمه !! حتى أنه - فى بعض الأحيان - يصر أن ينام فى فراشها.

وقد تتدخل الأم فى محاولة منها لمنع هذه العداوة المتزايدة، حينما تحاول إفهام الطفل بقولها : «لا يصح ذلك . . يجب أن تحب أبيك». أو تستطرد - وهى تحاول استرضاءه - بقولها : «هو الذى أحضر لك الحلوى التى تحبها !! وعموماً . . فإن هذه المحاولات وغيرها قد تبؤ بالفشل، ولايكتب لها النجاح - فى أغلب الأحيان - فلا قيمة لحب الأب وعطفه ورعايته للطفل مادام الأب قد يتسبب بشكل أو بآخر فى بعد أمه عنه.

على أنه إذا دققنا النظر فى البحث - الهادئ المتزن - عن الأسباب التى تكمن وراء هذه المظاهر السلبية تجاه الأب، لوجدنا أن الأم قد تتحمل بعض التبعات - حال نمو طفلها إلى الحد الذى يجعله يستطيع أن يفهم ما يقال له ويستوعبه، فعندما تقول الأم لطفلها : «عليك أن تكون هادئا وإلا فإن والدك سيغضب». أو حتى تهدده بقوله : «سوف أقول لكل ما يحدث منك لأبيك حتى يعاقبك»، كل هذه العبارات تكون فى عقل الطفل فكرة سلبية عن والده بوصفه شخصاً غير مستقر، غضوباً عصبى المزاج، يقوم بالعقاب البدنى أوالعضوى أو كليهما. وعلى هذا فقد يخادع الطفل والده ويعامله بلطف ورقة، ولكن فى داخله هو مفتقد الثقة به!!

ونستطيع القول فى هذا الصدد بأن الفكرة التى يكونها الطفل عن والده ليس تصحيحها بالشئ السهل، لأن الوالد ليس معه غالباً - كما الأم - لكى يحدث عن نفسه ، شارحاً مميزاته وحسناته ، عندها تكون الخسارة كبيرة - بلا شك - فقد يحرم الطفل من التمتع ببهجة الأب وثقته فيما بعد، وخاصة إذا كان الطفل ذكراً، لأن تنمية صفات الرجولة فيه، تعتمد إلى حد كبير على انطباعاته الأولى، حيث يشكل نفسه على غرار والده بطريقة لاواعية.

على أن هناك مظاهر أخرى أصدق تصويراً للأبوة، يمكن أن نكشف عنها للطفل لينشربها دون تردد أوارتياب، فعندما يشارك الأب فى رؤيته وإبداء رأيه

فى الأشياء الجديدة التى تم جلبها للطفل فى وجوده وعلى مقربة منه، وعندما يشارك الطفل أمه فى إعداد الشاى أو القهوة لوالده، أو عندما تطلب منه الأم أن يقوم بإصلاح بعض الأشياء التالفة فى المنزل بمشاركة الطفل نفسه، فإن مداومة هذا السلوك فى مثل هذه الاتجاهات أو المسارات من شأنها أن تخفف من قلق الطفل نحو والده، وتجعله قريباً منه، متحمساً للبحث عنه أينما ذهب. إذاً لابد أن نسلم بمكانة الأب فى حياة الطفل، وبكافة حقوقه على هذا النحو، حتى نضمن نمو الطفل نمواً عاطفياً ونفسياً على نحو صحى وسوى.

الأب.. المثل الأعلى:

وجود الأب بين أطفاله فى البيت شىء جوهرى، إذا كنا نبغى تربية سوية لأطفالنا، لأنه من خلال هذا التواجد يتعرف الصغار على صفاته ومميزاته وثقافاته وخبراته، لأن الأطفال بطبيعة الحال يأخذون عن والدهم الشئ الكثير الذى يعينهم فى مستقبل حياتهم على مواجهة الحياة بثبات وقوة وعزيمة. وحينما يهم الأب بإبراز صفاته الإيجابية داخل المنزل ، فإنه لايفرضها على أطفاله فرضاً، لكنه يحاول إقناعهم بها، بل والعمل على خلق مناخ أسرى صحى وملائم، لأن هذا المناخ المثالى الذى يحاول الأب أن يهيئه لجميع أفراد أسرته يكون فى حقيقة الأمر خليقاً بتنشئة الأطفال تنشئة سوية وقويمة.

والأبناء بالقطع ينظرون إلى والدهم على أنه المثل الأعلى والقدوة الصالحة، بل ويأخذ بعض الصغار كلام الأب على أنه كلاماً مصدقاً لا يقبل النقاش، وينفذونه كما لو كان قانوناً.

والأبناء يكونون أيضاً صورة مثالية عن الأب تفتح لهم آفاقاً واسعة من الخيال يدعم شعورهم بالطمأنينة والثقة بالنفس. والأب الذى له وجود واضح وسليم فى الأسرة، يمكنه أن يجنب أطفاله كثيراً من معوقات النمو، لاسيما

وهم يحترمون آراءه حد التقديس، لأنه كما قلنا : الأب هو المثل الأعلى والقدوة الصالحة.

أما عن غياب الأب عن الأسرة، فإن الأبناء فى هذه الحالة يكونون صورة خيالية وغير سليمة عنه، تلك الصورة التى لا تتوافق بطبيعة الحال مع واقع خبرات الحياة الفعلية، فإذا كبروا اصطدموا بما يواجهونه فعلياً من نقائصه أو عيوبه مقارنه مع ما تمثلوه فى خيالهم بكماله وخلوه من العثرات أو السلبيات، فيؤدى هذا الاصطدام بين الخيال والواقع ربما إلى حالات من اليأس قد تصيب الأبناء، بعدها يقعون فريسة إما للاستسلام والخنوع أو إلى التمرد والعصيان. إن وجود الأب الحقيقى فى الأسرة هو الدعامة الأساسية لسوية الأطفال بلا شك ، هذا التواجد الحيوى والفاعل.

الأب.. ممثل السلطة :

نستطيع القول بأن معاملة الأب لأطفاله معاملة يسودها الحب والعطف والحنان هى معاملة سوية لا غبار عليها، ولكن هناك بعض المواقف التى تستدعى من الأب أن يقف منها موقفاً حازماً قوياً، فيمكنه اللجوء إلى كلمة «لا» كلما دعت الحاجة إلى ذلك . وليكن الأب على استعداد أن يشرح الأسباب وخلفيات المعارضة أو الامتناع أو النهى. يجب أن يعلم الطفل أن الأب جاد فيما يقول. وهذه السلطة يستحسن تدعيمها بالثواب والعقاب.

ويمكننا القول أيضاً أن الطفل فى مراحل نموه المختلفة يخشى الأب ويهابه، والطفل على أيه حال يحتاج نفسياً ووجدانياً إلى هذه السلطة حتى يستطيع أن يتبين المواقف التى تحظى بتأييد الأب وتنال ثناءه، والأخرى التى ينهى عنها ويمنعها. كذلك فإن السلطة الأبوية تساعد الطفل على تشرب القيم الأخلاقية والمفاهيم الاجتماعية، وهى السلطة التى تجعله يكف عن

انطلاقه وراء نزواته الطفولية، كما تساعده على اكتساب التنظيم الداخلى اللازم لعمليات التكيف الاجتماعى .

وعدم وجود هذه السلطة أو ممارستها زيادة أو نقصاً بطرق خاطئة من أهم العوامل التى تبعد الطفل عن الطمأنينة، وتبذر فى نفسه بذور الفزع والخوف.

ولعلنا نذكر فى هذا الصدد أن غياب الأب عن المنزل لشهور أو لسنوات طويلة، هو السبب الرئيسى وراء انحرافات الأطفال وشذوذهم عن المألوف من السلوك، أو فشلهم فى الدراسة، أو هروبهم من البيت، وغيرها من المشكلات الخطيرة، وهو ما سنعرض له بالتفصيل فى فصلنا التالى.

القسم الثالث

أدوار الأب ومسؤولياته

مشاركاً فى التربية:

صار من المؤكد فى مجالات الدراسات التربوية والنفسية الخاصة بتنشئة الأطفال ومراعاة صحتهم النفسية، أن علاقة الطفل بأمه - فى السنوات الأولى من العمر - المتوطدة على أساس من الحنان والرعاية وإشباع حاجاته البيولوجية والسيكولوجية (النفسية) وغيرها، تمهد السبيل لثقته بنفسه، والتعرف على ذاته، وتحقيق الشعور بالانتماء والطمأنينة. وهى الأسس التى يراها الطب النفسى ضرورية كى ينعم الفرد بصحة نفسية تهيئ له فرص التطور والارتقاء وحسن التكيف.

وعلى هذا، فقد نسلم بأن مهمة الأطفال فى سنيهم الأولى، مهمة تقع على عاتق الأم أكثر مما تقع على عاتق الأب، لكن أساليب التنشئة الحديثة ترى أنه لابد من مشاركة الأب فى مثل هذه التربية. وطبيعى أن يختلف دور الأب عن دور الأم كما وكيفاً وفقاً لمراحل النمو التى يمر بها الطفل، ولكنه يظل دوراً حيوياً مهماً بلاشك.

إن مشاركة الزوج زوجته بشأن تربية الأطفال - سواء كانت الزوجة تعمل أو لا تعمل - هى فى المقام الأول ضمان لصحة الطفل النفسية. فرعاية لأبنائهم تجعلهم يحسون بمتعة شديدة، لأن وجود الأب وسط أولاده يهيئ دفئاً عاطفيًا حميماً ، ومن شأنه أن يدعم مفهوم المشاركة من أجل خلق مناخ صحى وسليم فى العلاقات بين أفراد الأسرة جميعاً. وفى مثل هذا المناخ سوف يكون للأب دوره الفاعل والمؤثرة فى مساعدة أبنائه على تحقيق أهداف التنشئة السليمة، وهى تنمى مالديهم من إمكانات ذهنية ووجدانية إلى أقصى حد ممكن.

ونستطيع القول أن مشاركة الأب منذ البداية فى رعاية الطفل، وعلى الأخص رعايته الجسدية، يهيئ له فرصاً لا حصر لها من توثيق الروابط بينه وبين الطفل، فالطفل سوف يميز شخصاً آخر غير أمه بصحبه ليبدل له ثيابه

المتسخة، لذلك سوف يتقبل الطفل وجود الأب بسرعة، بل وسيبحث عنه إذا غاب، وهذا كله نتيجة مساهمة الأب فى العناية بطفله، لأن هذه العناية هى التعبير الوحيد عن الحب الذى يستطيع الطفل فهمه فى بادئ الأمر. إن الأب بإمكانه أن يجعل من نفسه ركناً مهماً فى حياة الطفل، فهو مثلاً يشارك الطفل فى عدة ألعاب خاصة كألعاب الصيد، أو الألعاب الهادئة التى تزاول بصحبة الأم. وقد يعهد الأب لطفله أن يعاونه فى أعمال أخرى كمساعدته فى تنسيق حاجياته الخاصة، أو رى أحواض النباتات أو الزهور، وبعد ذلك يستطيع الأب أن يصحب طفله فى رحلات كزيارة الأماكن الأثرية أو المتاحف أو المعارض، ومع نمو الطفل ونضجه لا مانع من أن يسمح الأب لطفله أن يستخدم الأدوات التى تستعمل فى إصلاح الكهرباء مثلاً، فيعطى الدرس الأول لأولاده فى الإلمام بشتى الأعمال اليدوية ما أمكن . إن مثل هذه الأعمال المشتركة بين الأب وأطفاله (أولاد وبنات) تقيم صلة من نوع خاص بينه وبينهم، وتقضى على أية فكرة سيئة قد يعتقدها الطفل عن أبيه، كأنه مخيف أو مرهوب أو عديم النفع.

حقًا.. ما أسعد الآباء الذين يستطيعون اجتذاب أطفالهم إليهم، بحيث يقول لهم أطفالهم دائماً : ألن تلعب معى يا أبى؟ هل أستطيع أن آتى معك؟، ألا ترينى كيف يدور هذا القطار؟. ألا تساعدنى فى حل هذا اللغز؟

متفاهماً مع الأم:

ليس من المستغرب فى شئ إذا قلنا أنه ينبغى على الأب أن يوفر لزوجته الفرصة لتحقيق الصحة والسعادة والهناء، لاوفاء بحقها فحسب، ولكن من أجل صحة أطفاله النفسية أيضاً.

والطفل كائن شديد الحساسية، يستطيع أن يستكشف عن كثب ودراية بما يجرى بين والديه، فإذا لمس من هذه العلاقة علامات الحب والتعاون والإيثار، كساه شعور فريد بالرضا والاطمئنان ، وإذا لمس عكس ذلك كساه

شعور بخيبة الأمل والقلق وافتقاد الأمن.

ليس هذا مانبغيه فحسب، بل لابد أن يتعاون كل من الأب والأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، وهذا يعنى أن يكون هناك سلوك معين يثاب من أجله الطفل، وسلوك آخر يعاقب عليه، كما يتضمن هذا التعاون عدم التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم فى تنشئة الطفل، كأن يلبى أحدهما طلبات معينة والآخر يرفضها، الأب يعاقب طفله عند إقدامه على سلوك ما، والأم تثيبه على السلوك نفسه، عملاً بالمثل الشعبى الذى يقول : «هذا يكسر وذاك يصلح» ، هنا يقع الطفل فى قلق وحيرة وتخبط.

إذاً . . على الوالدين أن يشكلا جبهة واحدة فيما يرسيانه من قواعد، وما يمنحانه من هدايا وامتيازات، وما يريدانه من عقاب، يقول أحد الآباء من أصحاب الخبرة فى تربية الأطفال : «إذا لم تكن موافقاً على ما يقوله شريكك فلا تبد ذلك أمام الطفل بل انتظر وكلمه فى وقت لاحق».

إن الازدواجية فى التربية أو التذبذب فى المعاملة ، قد تخلق طفلاً متقلب المزاج ذا شخصية منقسمة على نفسها، ولا يخفى على أحد أن الطفل إذا أدرك وجود اختلاف بشأن قواعد التربية المطبقة عليه بين والده ووالدته، فقد يحفزه ذلك على محاولة الانحياز لأحدهما دون الآخر، واللعب على وتر هذا الاختلاف أو التذبذب لتحقيق رغبته. وعموماً. . فإن الأطفال فى مجملهم يتميزون بهذه البراعة لدرجة قد تدهش الآباء وتفوق تصور الكبار.

لذلك. . فلا غرو أن نؤكد على أهمية تعاون الأب مع زوجته تعاوناً تاماً غير منقوص، لتسير حياة الطفل فى سلام وأمان.

مقدراً زوجته :

من الواضح أن ميلاد الطفل الأول يؤدى إلى تغيير واضح فى تشكيل خريطة الحياة الأسرية والروتين اليومى. إن الحمل والولادة يجب ألا يضعا

نهاية لواجبات كل من الزوجين تجاه الآخر. . يجب أن تظل الزوجة هى أهم امرأة فى حياة زوجها ، ومما يساعد على هذا أن يتحدث كل منهما للآخر عن مشاعره، وأن يتأكدا من أن الطفل الجديد يعنى مرحلة جديدة فى مسيرة الزواج، ولايعتبر بحال من الأحوال إعلاناً عن نهايته ، لقد كانا هما الزوجين قبل أن يأتى الطفل، وهما اللذان سيبقيان بعد أن يكبر الأبناء ويشقوا طريقهم فى الحياة.

مستعداً لتبعات الأبوة:

يجب أن يكون الأب مستعداً لتبعات الأبوة، فيتسلح بالقراءات الواسعة فى مجال تربية الأطفال، والبحث عن خبرات وحكمة الآخرين، وعليه أن يكون متفتح الذهن، مستعداً لتقبل المواقف الصعبة. فى الفترة المبكرة التى تلى ميلاد الطفل الأول على وجه الخصوص يجب على أى من الزوجين أن يستفيد من خبرة الشريك الآخر، أو الأبوين، أو الجيران، أو المعارف. ويرى الآباء الذين لهم خبرة فى ذلك أن دور الأب حيوى، وعليه أن يكون مشاركاً ونشطاً ومسؤولاً، ولايكتفى بدور المفتش أو الموجه.

على الوالدين إذاً أن يعملا كشريكين فى فريق واحد منذ البداية. . إن الرعاية تكون فى أحسن صورها إذا أخذت طابع الفريق المحب المكون من كلا الوالدين حيث ينصح كل طرف بأغلى ما عنده من معلومات ومهارات. هذه المشاركة المبكرة تؤهل للمشاركة بعيدة المدى فى التخطيط للمستقبل.

مراعياً فلسفة النمو:

عرف الدكتور «فؤاد البهى السيد» النمو بأنه : سلسلة متتابعة متماسكة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة محددة، هى اكتمال النضج ومدى استمراره وبدء انحداره. فالنمو المعنى لا يحدث بطريقة عشوائية، بل يتطور بانتظام خطوة سابقة تليها خطوة أخرى.

كما أكد أرنلدجزل على أن النمو أو التطور ليس تجريداً جوفاً، بل هو سلسلة من الأحداث تحكمها قوانين وقوى، لاتقل فى حقيقتها فعلاً عن القوانين التى تنطبق على ماكينة الاحتراق الداخلى، والنمو السيكولوجى للطفل إن هو إلا سلسلة مدهشة من الأحداث المنمطة potterned التى تظهر فى السلوك ظهوراً خارجياً، والجهاز العصبى هو الجزء الحيوى فى مجموعة الآلات التى تجعل الأحداث ممكنة، وهى تنسج فى دخيلة ذاتها نسيجاً معقداً مستمراً يتمشى معها كلما نضجت، نسيجاً ينكشف للأعين فى أعمال الطفل واتجاهاته وشخصيته، وينقطع النمو عن أن يكون مجرد بطاقة تجريدية أو عديمة النفع، إذا نحن فكرنا فى التطور على أنه عملية نسج تمنح العقل شكلاً وبنياناً.

وعلى ذلك فإن شخصية الطفل إنما هى ثمرة حية لنمو تدريجى متمهل، والجهز العصبى للطفل ينضج على مراحل، وفى تسلسلات طبيعية، فهو يجلس قبل أن يقف، ويناغى قبل أن يتكلم، ويقول «لا » قبل أن يقول «نعم»، ويختلق قبل أن يقول الصدق، ويرسم دائرة قبل أن يرسم مربعاً وهو أنانى محب لذاته قبل أن يكون مؤثراً عليها يحب الخير للغير، وهو يعتمد على الآخرين قبل أن يعتمد على نفسه، فجميع قدراته بما فى ذلك أخلاقياته خاضعة لقوانين النمو. وليس المقصود بمهمة رعاية الطفل أن يصب من الناحية السلوكية فى قالب مجهز له سلفاً، وإنما المقصود بها مساعدته خطوة خطوة، وتوجيه نموه فى الاتجاه الصحيح، وهى مهمة تقع فى جانب كبير منها على الآباء.

مانحاً الحب:

الحب هو أهم ما يستطيع الأب أن يمنحه لأبنائه، الحب غير المشروط، والمتسم بالكرم، والمقترن بالتضحية . كرر كثير من الآباء الذين استطاعوا أن يربوا أولادهم تربية ناجحة عبارات مثل : «دع أولادك يشعرون بمدى حبك

لهم، لتكن هذه رسالة يومية منك إليهم..»، «يجب أن تعلم أيها الأب أن الحب هو الإجابة الأكيدة لأى موقف قد يعترض الأسرة ويكون محاطاً بالغموض والريبة».

كما يجب الحرص على تأكيد الإحساس بالأمان والاستقرار بحيث يتأكد الطفل أن حب والده له لن يتأثر إذا أتى سلوكاً غير مرض، وغالباً ما ينجح الوالدان فى خلق هذا الجو العام عن طريق التعبير عن هذه المشاعر الفياضة بالإيماءات التى تنضح بها ملامح الوجه، والقبلات، والأحضان، التى يرى الخبراء أنها من العادات التربوية المحببة والمرغوبة.

متسماً بالمرح والهدوء:

لابد أن ينحو الوالدان، وخصوصاً الأب إلى المرح وخفة الظل، فلا يجدر بالوالدين أن يعاملا نفسيهما وأولادهما بصرامة وجدية شديدة، فمن المفضل أن يغلب طابع المرح على بعض أوقات اليوم ، يقول أحد الآباء : «حاول أيها الأب أن تبقى هادئاً وتذكر باستمرار أن للصواب عدة طرق وليس طريقة واحدة فقط»، وقال آخر : «النصيحة الذهبية هى أن يثق الشخص فى فطرته ويغفر لنفسه هفواته».، وغيره يقول : «لاتكن خائفاً من ارتكاب أى خطأ لأنك عندما تحب ابنك حقيقة لن تفعل أى شئ يؤذيه ، لكل واحد أخطاؤه وهذا سببه ببساطة أن البشر خطاءون».

وإذا كانت بعض السمات أو الآراء الشخصية للآباء يحتج عليها الأبناء فيجب أن يكون لسان حال الأب : «أنا هو أنا.. بالتأكيد يمكن أن أُخطئ، ويمكن أن أعيد نفس الأخطاء مرة ثانية ، ولكننى متأكد أننى سأحصل منكم على تقدير ممتاز بالنسبة للمجهود الذى بذلته، لأن الله يعلم أننى حاولت، وحاولت بكل ما أملك من جهد أن أسعدكم».

معتدلاً فى تطبيق الثواب والعقاب:

فى بعض الأحيان نجد الوالدين.. وخصوصاً الأب - يقوم باستخدام

أساليب العقاب للسيطرة على الطفل، أو للتعديل من سلوكياته، وهو فى ذلك يتبع أساليب العقاب البدنية كالضرب، أو أساليب العقاب المعنوية كالتأنيب واللوم والتشهير.

ونحن نعلم أن العقاب له أثره فى توجيه السلوك وتدعيمه، وفى ردع الفرد عن القيام بسلوك معين لا يرضى عنه الآباء والأمهات، ولكن الذى يحدث أن بعض الآباء يغالون فى استخدامه فيواجهون كل سلوك غير مرغوب فيه من جانب أطفالهم بالعقاب. ظناً منهم أن العقاب سيعمل على كف هذا السلوك وردعه. فالعقاب قد لا يؤدى دائماً إلى منع السلوك الشاذ، وأحياناً يكون هذا المنع مؤقتاً. وأحياناً قد يؤدى العقاب إلى تأكيد هذا السلوك الشاذ وتجسيمه ، فالسلوك العدوانى Aggressive behavior من جانب الطفل قد يواجه بالعقاب ، وقد يتوقف الطفل عن سلوكه هذا فترة معينة كرد فعل للعقاب ، ولكنه يعود إلى هذا السلوك مرة أخرى بصورة أشد، فالدافع للعدوان دائماً يكون من أهم أسبابه إحساس الطفل بالإحباط*، فإذا تم عقاب الطفل، فإننا نسبب له إحباطاً إضافياً، وبالتالى يزداد اندفاعه نحو العدوان.

والواقع أن المغالاة فى استخدام العقاب، وخاصة العقاب البدنى يؤدى إلى الجبن والخوف والقلق، أو يخلق أحياناً أطفالاً متبلدين لا يحركهم إلا العقاب أو الخوف منه.

فى المقابل نجد بعض الآباء يتبعون أساليب الثواب مع أطفالهم كأن يغدقوا عليهم الهدايا، أو يمطرونهم بعبارات الثناء والمديح كلما نجحوا فى مهمة ما ، أو إذا استجابو للتعليمات أو التوجيهات، فأبدوا من السلوك ما يرضى عنه الآباء.

والثواب ،على الرغم من آثاره الإيجابية على شخصية الطفل، إلا أن الإسراف فيه يخلق منهم فى المستقبل أفراداً ما بين، لايقومون بأى عمل من الأعمال إلا من أجل المقابل المادى، كما أن الثواب قد يفقد أثره كحافز إذا

كان هناك مغالاة فى استخدامه.

وينبغى أن نؤكد أيضاً أنه ينبغى للآباء والأمهات على حد سواء الإكثار من استخدام أساليب الثواب، حيث ثبت من نتائج التجارب المتعددة فى هذا المجال أن أساليب الثواب هى الأساليب الأنفع والأجدى فى تعديل السلوكيات غير المرغوب فيها، على أن يكون ذلك فى الظروف والمواقف التى تستدعى ذلك، لأن الإفراط فى الثواب يؤدى إلى الاعتياد عليه ومن ثم يفقد تأثيره. كما ننوه بأنه يتحتم الإقلال - قدر المستطاع - من العقاب، وخاصة العقاب البدنى المؤلم أو التشهير أو المعايرة، وكل مامن شأنه أن يضعف ثقة الطفل بنفسه، لذلك.. لابد أن يكون الثواب أو العقاب على قدر عمل الطفل، أو على قدر أفعاله والنتائج المترتبة على ذلك، على أنه إذا كان هناك قرار بتوقيع عقاب ما على الطفل، فلابد من ينفذ فوراً دون تأجيل أو إبطاء.

وأخيراً.. نحن نرى أن التربية بإتباع أساليب الثواب والعقاب لابد أن تنبع من والدين ناضجين انفعاليًا وعاطفياً، وراجحين عقلياً وفكرياً، قادرين على تقبل المسؤولية، ومجابهة المشكلات بطريق واقعية وموضوعية.

مؤسساً للديمقراطية:

التربية الديمقراطية تنتج للطفل بكل تأكيد المناخ المثالى للنمو الإزدهار، وعلى خلاف ذلك، فإن السيطرة والديكتاتورية من شأنهما أن يحققا عملية استلاب شاملة للطفل.

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والتربوية أن النجاح والتفوق كانا على الدوام من نصيب الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية تتميز بسيادة

* الاحباط frustration يعني إعاقة الفرد عن بلوغ هدف ما، وسد الطريق التي يسلكها نحو الوصول إلي هدفه. وتطلق لفظة الاحباط مجازاً علي كل نوع من العراقيل التي تحول دون تحقيق الهدف المنشود أو الاقتراب منه.

العلاقات الديمقراطية، وبينت الدراسات أيضاً أن الإبداع والابتكار مرهونان بدرجة الحرية التى تمنع للأطفال فى حركتهم وفى تلبية احتياجاتهم.

والعلماء يقررون أنه فى السن الصغيرة ليس من الضرورى أن يسهب الأب فى الشرح والتفسير، فقبل سن السادسة تصبح الديمقراطية الكاملة سابقة لأوانها، لأنه إذا أتاح الأب أمام الطفل اختيارات عدة، وفتح له المجال لتعليقات كثيرة على نوعية المأكل والملبس مثلاً، فإنه بذلك يخلق طفلاً شرهاً ونهماً فى المستقبل.. ليس معنى ذلك أن تسود الديكتاتورية البيئة المنزلية، ولكن لكل سن قدرها المناسب من الديمقراطية والحرية.

مؤمناً بجدوى المشاركة:

من واجبات الأب تجاه أطفاله هو سعيه لإقامة حوار معهم، فى مشاركة حميمة، بحيث تكون حياته مسخرة لهم، يشاركونه فيها بكل الحب والود والصراحة، فلا تكون حياته منغلقة، أو منطقة ممنوعة ، أو محاطة بسياج من الأسلاك الشائكة.

والمشاركة - من وجهة نظرنا - تعنى أن يكون هناك تبادل وجدانى وفكرى ما بين الأب وأطفاله، يشاطرهم أفراحهم وأحزانهم ، ويشاطرونه أيضاً أفراحه وأحزانه، هى صداقة من نوع خاص، فيما تبادل ثرى بين قيمتى الأخذ والعطاء، فيما يقدمه الأب لأبنائه ، وفيما يقدمه الآبناء لأبيهم ، تبادل لا أنانية فيه، فالأنانية تعاسة وشقاء. تبادل يعلو بقيمة التعاون القائم على الإيثار والتضحية وإنكار الذات.

كثير من الآباء لا يكترثون بأهمية المشاركة بينهم وبين أبنائهم ، وكثير منهم أيضاً يهضمون هذا الحق، فهم منشغلون - دائماً - بمطالب الحياة وتبعاتها، يعملون ليل نهار لكسب قوتهم اليومى، حتى تمتلئ البطون،بطون أطفالهم، وتكتسى أجسادهم، ولكننا نقول : أيها الآباء الوجبة ناقصة ، والرعاية مبتسرة، فمازال هناك خواء معنوي وفكري ، لذلك .. نحن نرى ضرورة

قصوى فى أن يجلس الأب مع أطفاله، كلما أمكن، وعلى قدر ماتسمح به ظروفه المعيشية، من حين إلى آخر. وليس بالضرورة دائماً، أن يسامرهم، ويتجاذب معهم أطراف الحديث، ويحدثهم بتلقائيه وبساطة وصراحة عما حققه من إنجازات، وما كان يود أن يحققه، أو عن نجاحاته وإخفاقاته أيضاً، أو مشكلاته فى الحياة وكيف تغلب عليها. وهنا نطالب الآباء بتوخى الحذر من الغلو والتطرف، الغلو فى إظهار المحاسن على طول الخط، والتطرف فى دمغ الحياة بالقسوة والجبروت على طول الخط أيضاً، نطالبهم بالصراحة والأمانة والالتزام بهما، فلا كذب ولامداورة ولا نفاق، لا نريد للأب أن يظهر دائماً بمظهر المنتصر، القوى، القديس، إنما نريده أباً صريحاً ، يعلم أطفاله أن هناك أخطاء وعثرات وإخفاقات ، وعليهم فى المستقبل تحاشيها.

إن فى حديث الصراحة والأمانة تعليم حياتى تتجسد فيه القيم غير المحسوسة، إلى قيم حقيقية محسوسة وملموسة، قيم من لحم ودم، لا يجب لأن يتعلم الأطفال النفاق كأول درس من دروس الحياة، لأن مواجهة النفس بالحقيقة - وإن انطوت على الخطأ والضعف - فى أمانة وشجاعة، لنحسبها توثيقاً قوياً يربط بين الآباء والأبناء ، لأنهم سيشعرون أن الكبار يخطئون أيضاً، ويفشلون أحياناً ، ولكنهم صرحاء دائماً، هذه هى المشاركة التى نبغيها من كل أب حقاً.

مهيئاً بعض الوقت للاستمتاع:

يجب أن يحظى كل طفل باهتمام كاف وفردى من والده أو والدته، وهذا ما يشكل مشكلة حقيقية فى عصرنا الحالى، الذى يلهث فيه الآباء وراء توفير قوتهم اليومى، فلا يتبقى لهم من الوقت غير النذر اليسير كى يقضوه مع أبنائهم، وهنا تأتى أهمية الاستعاضة عن الكم بالكيف.

ويبدو أن السبب الرئيسى وراء التركيز على أهمية هذا الوقت هو الاعتقاد بأن من يقدمون على تربية النشء ومن يحيط بهم ويتولون رعايتهم يعتبرون

هم البيئة الأولية اللصيقة التى يستقى منها الطفل قيمه وتقاليده سواء بطريقة ظاهرة، أم بطريقة غير مباشرة ومستترة، إنهم الوسط الذى تتزين فيه قيم الأخذ والعطاء، أهمية الصدق، قيمة التضحية. .

من المفيد أن يشارك الآباء أطفالهم فى اللعب واللهو، فى أنشطتهم وهواياته، وما أكثر ما تحين الفرصة السانحة فى لحظة من الوقت عندما يشترك الأب أو الأم مع طفلهما فى قراءة قصة قصيرة ، أو لعبة مشتركة يتنافسان فيها على مستوى من الندية.

وهناك فى الحقيقة عدة اقتراحات نقدمها للآباء فى هذا الصدد:

* اقرأ للطفل - كجزء من الروتين اليومى - لك وللطفل - وليكن قبل النوم مثلاً. سوف يشعر كل من الطفل والأب بحالة من الراحة والاسترخاء بعد ذلك.

* صاحب الطفل فى جولات فى الأماكن التى تتميز بجمال الطبيعة بعيداً عن الألعاب الألكترونية والأماكن المغلقة، لكى تتعود عينيه على الجمال الطبيعى الفطرى.

* لا يفوت الوالد الذكى أن يحرص على أن تشترك الأسرة فى نشاط ما فى بعض المناسبات مثل : حضور النشاط الرياضى بالمدرسة، أو أن تجلس الأسرة معاً فى وقت معين من اليوم خاصة بعد العشاء حتى يصبح هذا اللقاء موعداً مهماً يشارك كل واحد منهم الآخر اهتمامته.

منصتاً جيداً:

الانصات الجيد هو أداة شديدة القيمة والفائدة لفهم مشاعر الطفل والتعرف على أحاسيسه،لذا يتوجب على الوالدين أن يوفروا لأطفالهم الظروف المواتية التى تسمح لهم بالتفريغ النفسى لما يعتمل فى دواخلهم، وهو ما نسيمه بلغتنا الدارجة «الفضفضة»، فلندع الطفل ليعبر عن اهتماماته وهمومه وطرح

تساؤلاته مهما كانت صغيرة أو كبيرة، لذا فمن المستحسن أن يجد الأب الوقت الذى يسمح فيه لأبنائه بأن يتكلموا دون تأجيل أو إبطاء.

لو استطاع الأب أن يكسب ثقة الطفل وهو مايزال فى سن مبكرة وصغيرة، فإن هذا يجعل من التواصل أمراً سهلاً فى المستقبل، وليتيقن كل أب أنه لا حاجة للعجلة فى اتخاذ القرار أو إسداء النصح لأنه دائماً وأبداً يوجد الوقت المناسب والكافى للتصحيح والتعليم ولإعادة تقييم الخبرة والمشاعر. أحد الآباء يقول : «خصص وقتاً تستمع فيه لابنك حتى يشعر بأهميته ولتزداد ثقته بك وليكون عنده الاستعداد ليشركك فيما يدور فى ذهنه».

إذا كان من المطلوب أن يشعر الطفل بذاتيته وتلقائيته ، وبأن هناك أمور معينة فى حياته يجب أن يعملها دون تدخل من الأبوين فإن الوالد الذكى يستطيع أن يكون ملماً بما يجرى حوله، عالماً بما يصنعه الأولاد، وبما يشغل بالهم.

هناك دائماً مجال لأن يأخذ الأب دوراً إيجابياً ونشطاً لتلقين أولاده قيمه وتقاليده حتى يتمكنوا من شتى طريقهم فى الحياة، تكمن الحكمة فى أن يصوغ الوالد قيمه وحكمته فى الحياة لغوياً، ليفصح عنها مباشرة ويناقشها مع أولاده، والأهم من ذلك أن تكون سلوكياته مطابقة لما يعلن أنه يتمسك به من قيم. يقول أحد خبراء التربية : «حاول أن تكون أيها الأب مثالاً طيباً، لا تأمر بشئ وتفعل ضده، ولاتسألهم شيئاً من الصعب عليك أن تمارسه».

إن عملية نقل القيم والمبادئ من أهم الأدوار التى يناط بالآباء أداؤها كى يتهيأ الجيل الناشئ للنجاح والتكيف الإيجابى، وهناك خطوط عامة ينصح الآباء الذين لهم خبرة فى تربية الأطفال وتنشئتهم باتباعها وهى كالتالى :

* تحديد المسؤوليات والأدوار فى المنزل، حيث يجب أن يعرف كل فرد دوره بمن فيهم الأطفال.

* التأكيد على الانتماء الدينى وما يؤدى إليه من معاملات تتسم بحسن الأخلاق والاحترام والأمانة.

* ممارسة آداب المائدة، وتثبيت أوقات تناول الوجبات وغيرها من الأنشطة الأخرى المهمة فى المنزل.

* تشجيع العمل، جزء من الوقت، خارج البيت فى السن التى تسمح بذلك.

محترماً لذاتية الطفل:

بالطبع يجب أن تؤخذ الأمور بالتدريج، بمرور الوقت يصبح من الملائم أن يمنح الأطفال مناسباً من الحرية ومساحة من اتخاذ القرار الحر فيما يخص أمورهم الشخصية، لأن إحساس الطفل بذاتيته على درجة عالية من الأهمية، إذ إنه يؤدى - ليس فقط - إلى كسب حبهم ومودتهم ، ولكنه يؤدى أيضاً إلى الاحترام المتبادل. والتدرج فى إعطاء الحق فى الاختيار والقرار يجب أن يسير بالتوازى مع تحميلهم بعض المسؤوليات. كل من الاستقلالية والمسؤولية مرهون بدرجة النضج وبالقدرات النفسية أو البدنية. إذا تأكدت هذه الأمور فى حياة الطفل الناشئ فإنه سوف يشعر بالفخر والزهو لإنجازاته وبقدرته على تنظيم اليسير من أموره، وينطبق على هذا العنصر التربوى المثل الصينى الذى يقول : «لاتعط ابنك سمكة ولكن علمه كيف يصطادها».

يستجيب الأطفال استجابات جيدة لاحترام وثقة الوالدين، «ثق فى حكم طفلك على بعض المواقف عندما يكون هو - أو هى - عنده القدرة على الحكم الجيد». إنها ملكة على الأب أن يسعى باستمرار لتنميتها. يركز أحد الآباء على ضرورة احترام ابنه كشخص مستقل فيقول : «إنه هو صاحب الشخصية ، له عقله الخاص ومشاعره الخاصة، إنه فى حوزة والديه فقط لمدة محددة وصغيرة، ولكنه سرعان ما يتجاوز هذه المرحلة ليصبح هو نفسه».

مشجعاً وعادلاً:

تشجيع الأب وتقديره يعد أحد الأسس المهمة فى بناء صرح الصحة النفسية للأطفال، حتى ينعموا بحياة هادئة مطمئنة. إن الحب العملى الذى يمكن أن يقدمه الأب هو أن يثنى على أطفاله فى حنو ومودة، هذا الثناء الذى يبعث فيهم الدفء، ويفتق بداخلهم ينابيع الخير، ويضئ لهم طريق الحياة الذى يبدأ بالحماس ولا ينتهى ، لأن كلمات التشجيع أو الثناء متى أعطيت للأطفال فى حينها، جعلتهم يحسون بقيمتهم الذاتية وبتقديرهم لأنفسهم فكلمات التشجيع تنمى قدرات الطفل وتدفعها إلى الأمام، وإذا كان الأب مسؤولاً عن أن يسود جو الأسرة الحب والاحترام المتبادل، فهو المسؤول أيضاً عن تجنب كل ما يسئ إلى الطفل، ويقلل من قيمته الذاتية، ويثبط عزيمته، وخصوصاً أولئك الآباء الذين يتوجهون بالنقد الجارح لكل خطأ يرتكبه الطفل عن عمد أحياناً، وبحسن النية أحياناً أخرى، أو لجهلهم وعدم درايتهم، متناسين أن هناك قوانين للتعلم تحكمها المحاولة والخطأ.

وإذا كنا إلى عهد قريب نمر بمحنة اجتماعية قوامها إيثار الذكور على الإناث، فإننا الآن نجد أن هذه الظاهرة المخيبة للآمال على وشك الزوال، إن لم تكن قد زالت بالفعل، ولكن مازلنا نذكر أن هذا التمييز من شأنه أن يجعل جو الأسرة مشحوناً بالصراعات بين الجنسين، يمور بالعداء والكراهية.

نعم، هناك أطفال يتميزون بصفاء السريرة، وحسن المعاشرة، وغيرهم يتصفون بالمشاكسة والعناد والعصبية، ولكن لا ننسى مبدأ على درجة كبيرة من الأهمية من مبادئ التربية القويمة ألا وهو مبدأ «الفروق الفردية» Individual difference الذى يتحتم علينا مراعاته عند التربية . كما أن أسلوب التمييز بين طفل وآخر لا يصلح لاستخدامه وسيلة من وسائل التقويم أو التأديب لتعديل السلوك إلى الوجهة المطلوبة، لأنه من منظورنا لا يحل المشكلة بل يجعلها تتفاقم.

عموماً . فإن المعاملة الحكيمة تتطلب معالجة أى نقص يظهر فى سلوكيات الأطفال، أو تصرفاتهم بروية وحب واحتضان. ما أحوج الأسرة المصرية والعربية إلى التخلى عن التحيز والتزمت والتخلى بالتسامح وسعة الصدر والأفق وكذلك المرونة والعدالة.

مدعماً لكرامة الطفل:

إن اعتزاز الطفل بذاته وبقيمته الشخصية شئ بالغ الأهمية، لذلك على الأب أن يكافئه ويشجعه، وعليه أن يحاول باستمرار أن يكون إلى جواره بحيث يستطيع الطفل أن يجد أباه كلما احتاج إليه. وعلى الأب أن يكون كريماً فى الدعم وفى الحب لأن الإحساس بالكرامة الذاتية أساس للنمو النفسى للطفل. هناك من خبرة الآباء المجربين بعض الخطوط العامة التى ينبغى الالتفات إليها بعين الاعتبار :

* كلما سمحت الظروف دعم قرار ابنك.

* اظهر اهتماماً صادقاً بالبرامج المدرسية، وشجع الأنشطة غير الدراسية، واهتم بهوايات أطفالك ومواهبهم، فيمكنك أن تسمح مثلاً بأن تغطى لوحاتهم الفنية جدران حجرتهم الخاصة، وحاول أن تقضى أوقاتاً وافرة فى متابعتهم، ومشاهدة مبارياتهم التى يلعبونها.

* لاتسفه الطفل أبداً، ولا تحرجه إطلاقاً، ولا تكن شديد النقد لما ينجزه، انقل إليه إحساسك بالرضا وحاول أن تشعره بأنه بذل أقصى مجهود ممكن، اعطة الثقة لأنك إن لم تعطه أنت الثقة فلن يستطيع أى فرد آخر يعطيها له.

منتقياً الأصدقاء:

لابد للأب أن يتدخل من أجل انتقاء الأصدقاء ، وأن يرشد أبناءه ، لا أن يفرض عليهم أصدقاء بعينهم ، فإذا رأى أن أطفاله ينخرطون فى علاقات

سيئة وجب التدخل بكل حزم لمنع أولاده من الاختلاط بهؤلاء، مع شرح وتفسير ذلك.

والواقع أن هذا يتطلب أيضاً أن يضرب الآباء المثل والقدوة بهذا الخصوص، فلا يجب أن تخلتط الأم مثلاً بجارة سيئة السمعة أو السلوك ، وكذلك الأب لايجب أن يخالط أصدقاء يحتسون الخمر، أو يدمنون المخدرات ، أو يلعبون الميسر، حتى لا تكون أقوالنا متناقضة مع أفعالنا.

الفصل الثالث

الأب بين الحضور والغياب

القسم الأول

صورة الأب

تمهيد

نستطيع القول بأن البيئة الأسرية هى البيئة الوحيدة القادرة على توفير أسباب الأمن والاطمئنان لابنائها ، وبالتالى تسهم بدرجة كبيرة فى تحقيق الصحة النفسية لكل أفرادها، فالأسرة هى المنوطة بإشباع حاجات الطفل، تلك الحاجات اتى نعتبرها حجر الزاوية فى بناء الشخصية السوية.

وغياب الأب على وجه الخصوص يشكل عائقاً كبيراً لنمو الأطفال على نحو سوى، كما أن غياب الأم يمثل نفس العائق. هذا. . وقد يغيب الأب عن أسرته لعدة أسباب منها : إذا كان مريضاً مرضاً نفسياً أو عقلياً مما يستدعى احتجازه فى إحدى المصحات ، أو إذا كان يقضى عقوبة السجن نتيجة لجريمة قد يكون ارتكبها أو شارك فى ارتكابها، أو قد يكون مطلقاً مما يجعله يعيش بعيداً عن أسرته القديمة، أو قد يكون مهاجراً لإحدى الأقطار العربية أو الأوربية بحثاً وراء المال ، أو قد يكون غيابه بسبب الوفاة.

الذى نريد توضيحه أن خطورة غياب الأب تكمن بشكل رئيس فى حال غيابه لسبب من الأسباب وهو مايزال على قيد الحياة هذا أولاً، ثانياً أن غياب الأب بحثاً عن المال هو النموذج الذى نراه سيئاً بالنسبة لسائر أنواع الغيابات الأخرى، لذلك سوف نتناوله كمثلاً حياً ونحن نتكلم عن غياب الأب والآثار السيئة المترتبة على هذا الغياب.

قبل أن نخوض فى عرض تفاصيل وحقائق موضوع غياب الأب بحثاً وراء المال نتيجة لتغيرات بيئية عديدة، نود أن نطرح عدة تساؤلات مهمة، ثم سنحاول الإجابة عليها والتساؤلات هى :

* هل هناك جدوى حقيقية لوجود الأب داخل الأسرة؟

* هل يكفى وجود الأم لتمارس المسؤوليات والوظائف التى كان من المحتم أن يقوم بها الأب حال وجوده داخل الأسرة؟

* هل يمكن للأم وحدها أن تعوض غياب الأب؟

* هل ينشأ الأطفال نشأة سوية خالية من الاضطرابات أو الأمراض النفسية فى ظل غياب الأب؟

* هل تستطيع الأم أن تمارس السلطة العقابية على أطفالها بنفس الدرجة والمقدار التى يمكن للأب أن يمارسها؟

* هل يستطيع الأبناء - وخاصة الذكور منهم «التوحد»* على نحو سوى فى ظل غياب الأب؟.

صورة الأب:

بداخل كل منا صورة أو مفهوماً للأب، وقد تكون صورة الأب هذه لها أهمية ودلالة نفسية أكثر من الأب الفعلى أو الحقيقى (اللحم والدم والنفس) وبرغم أن مفهوم الأب هو تابع لوجود الأب الفعلى. فإن هذا ليس حتماً وبالضرورة، فقد يولد طفل ما ولا يرى أباً فعلياً نتيجة الوفاة مثلاً، فيكون هذا الابن صورة أو مفهوم ما عن الأب.

هذه الصورة الأبوية مستقاة من الآباء الآخرين، أو ممن يمثلون الآباء : كالعم أو الخال أو المعلم أو رجل الدين. .إلخ، كل هذا يصب فى النهاية ليكون الأب «الصورة» هذه الصورة فى نظر البعض هى أهم نفسياً من الأب الفعلى أو الحقيقى . فالأب «الصورة» أو «المعنى» هو ما يتصوره الطفل عن الأب الفعلى، ربما تكون تصورات هذا الطفل قريبة أو بعيدة عن الحقيقة،

* ونحن نقصد بالتوحد Identification العملية التى تجعل الطفل يتحد مع فرد آخر أو جماعة أخرى على أساس رابطة عاطفية قائمة ، وكذلك إدماج قواعدة أو قيمه أو معاييره باعتبارها نفس قواعد وقيم ومعايير هذا الطفل. والشخص أو الجماعة التى يتوحد معها الطفل تسمى بـ « النموذج» . وفى النمو السوى يتوحد الطفل مع أبيه، والطفلة مع أمها، والتوحد هنا يشمل اعتناق قيم «النموذج» واتجاهاته والإعجاب به.

وغالباً ما تكون قريبة مع محو النقائض وإضافة هالة من القدسية.

غالباً ما يحدث هذا الخلط والتحوير فى مراحل الطفولة، حيث تقديس الأب، وتكوين «صورة» أكثر هيبة وروعة عن حقيقة الأب، ولذلك أثره الرائع فى تشكيل نفسية الطفل، ويمكننا ملاحظة الموروث الشعبى والثقافى متحدثاً عن الأوطان والبلدان مستخدماً لفظ «الأم» تأكيداً لمفهوم الاحتواء والحنان. ويستخدم هذا الموروث لفظ «الأب» مع كل ما هو «سلطوى».

القسم الثانى

جدوى وجود الأب

جدوى وجود الأب:

نستطيع - بكل تأكيد - أن نعتبر وجود الأب داخل كيان الأسرة هو تواجد ضرورى وحيوى، فهو الذى يمارس مهام ووظائف تعجز الأم عن القيام بها، وعليه فلا يمكن للأم أن تعوض غياب الأب، من هذه المهام ما نقدمه على الصفحات التالية :

الأب.. محور الدفاع:

الأب كما يراه الطفل هو نظام دفاعى جاهز للعمل فى أية لحظة، وهذا الدفاع يختلف كثيراً عن دفاع الأم، فالأب يدافع بمهاجمة الآخرين وقت الخطر لحماية أطفاله وزوجته أيضاً،لذا يمكن أن نسميه «الذودعن»، بينما يمكن تسمية ما تصنعه الأم فى موقف مماثل هو «الهروب من» ، أى أنها تقوم بوسائل دفاعية هروبية يتمثل فى الابتعاد عن مكمن الخطر، ونحن نعتبر أن كلا الشكلين من الدفاع ضرورى، غير أن صورة الأب ووسائل دفاعه فى هذا الخصوص تصنع نوعاً من الأمان لدى الطفل.

الأب.. واضع الحدود:

إذا كان الحد لغوياً هو «الحاجز» بين شيئين ، أو هو نهاية شئ ليبدأ آخر، فلكل شئ تقريباً حد، والأهم هنا أن للنفس حداً نسميها «حدود الذات» أى «حدود النفس».

. . يمكننا على ضوء ما تقدم اعتبار أن الأب هو واضع «الحدود» للأبناء، فهو الذى يعاقب طفله إذا ما تخطى «الحدود» فى سلوك ما يغر مرغوب، أى أنه «السلطة» فى البيت. والأب جسدياً ونفسياً هو الأقرب لتمثيل السلطة «العقابية» أكثر من الأم التى هى فى الغالب متسامحة أكثر منه لعاطفتها وحنانها الغالبين عليها. لقد رأيت بنفسى عدد كبير من الأولاد يدخنون «التبغ» أمام أمهاتهم، فى حين لايتجرأوا على فعل هذا السلوك فى وجود

أبائهم . إذاً ، للأب علاقة وثيقة بإرساء حدود السلوكيات عند أولاده، وبسببه يتعلم هؤلاء الأولاد أول مفاهيم «الحدود».

هذه إذاً «حدود» السلوكيات، أما «الحدود» الداخلية للنفس فهى تمثل الحد الفاصل بين الأشياء ، بين الحقيقة والخيال، بين ما يحدث داخل العقل وخارجه، بين المرض والسواء ولهذه الحدود ثلاثة أشكال هى :

* **الشكل الأول** : تكون الحدود الداخلية الذات أو النفس قوية لاتسمح بالاختراق أو النفاذ، فيقهر الإنسان نفسه، ويحرم من تبادل الحوار والخبرات نتيجة إغلاق مسام هذه الحدود وعدم السماح بالاختراق أو النفاذية، وهذا الشكل غالباً ما يكون انعكاساً لأب قاهر، جائر على الأبناء، وربما هذا أقرب للتربية الشرقية المتزمتة.

* **الشكل الثانى** : هو التميع والاختراقية الشديدة، مما لا يسمح بالاحتفاظ بالخبرات فينتج شخصية غير متماسكة متميعة فى مواقفها.

* **الشكل الثالث** : هو أقرب إلى المثالية فى السماح والاختراقية أو النفاذية، وفى نفس الوقت التماسك والقوة، فيحوى إيجابيات الالتزام والتماسك من ناحية ، وتبادل الخبرات والعلاقة بالآخر من جهة أخرى.

الأب..والحفاظ على المسافات :

لابد أن نعترف أن هناك مسافة بين الأب والأبناء، قد تتزايد هذه المسافة فى العلاقة فتصبح علاقة شبه رسمية، عن بعد ، وهى تمثل الأب شديد الهيبة مع الابن الخائف ، وهى سمة تنشئة الجيل الأسبق.

وقد تتناقض هذه المسافة وتزوب فتتزايد وتتناقص فى ظروف غير مناسبة مما يربك الأبناء. وفى تزايد المسافة إرساء لحدود قاسية، وفى تناقصها إلغاء للحدود أو تعديلها وتخطيها.

وتتسم المسافة البعيدة بتقديس الأب بما يستتبع ذلك من إحساس بالأمان والاحترام وما يستتبعه من الالتزام بالحدود، ولكن قد يتحول الإحساس بالهيبة إلى خوف من العقاب وتزايد الإحساس بالمسافة إلى درجة الشعور بعدم وجود الأب عند اللزوم ويتولد القهر واللاتلقائية، وربما توجد هذه السمات كثيراً فى المجتمعات الشرقية.

وفى تناقص المسافة يمنح الطفل مزيداً من الحرية، وما ينتج عنها من الاستقلالية والإبداع. أو قد تتحول سلباً إلى عدم احترام الحدود والتسيب أو الفساد أو التدليل ، وقد يكون هذا النموذج فى التربية ، هو أيضاً الأقرب إلى الجيل الحالى مقارنة بالأجيال السابقة.

ولاشك أن هناك مسافة أيضاً بين الأم والأبناء غير أنها فى أغلب الأحوال أقرب من مسافة الأب. فطبيعة الرجل وما يتميز به من خشونة وتحكم وسيطرة وجدية وواقعية، أقرب إلى خلق مسافة أكبر مما تخلقه الأم نتيجة عاطفتها ورقتها ورحمتها وتسامحها وكلاهما لازم.

الأب.. جوهر الصحة النفسية:

ارتباك الأم يؤدى إلى التأثير فى طفلها مما يخلق منه نفسية غير سوية، أما الأب فيرتبط بإمكان تفجير أبدع ما فى الابن، فالأب يقف كحاجز للتحدى فى وجه أبنائه، من استطاع أن يتجاوزه مخترقاً حدود ومسافات وقيود هذا الأب كاسراً إياه داخله استطاع أن يمر بمرحلة نمو تليها أخرى، وهكذا ، أى أن الأب هو محرض على النمو تكاملياً سواء بوجوده القوى المتحدى، أو بوجوده السامح بالحرية.

أما علاقة الأب بالمرض فهى علاقة غير مباشرة، فعندما يغيب الأب لأى سبب من الأسباب، يحاول أحد أفراد الأسرة القيام بمهامه أو أخذ دوره، غالباً تكون الأم، ولأنها غير مهيأة للقيام بأدوار ذكرية ترتبك أو تبالغ فى هذا

الدور وهى تعيش ماليس منها ولا فيها فهنا تؤثر فى الأبناء بشكل باعث على اللاسواء النفسى.

لقد حاولنا الإجابة على بعض التساؤلات التى طرحناها فى مقدمة هذا الفصل، وسنحاول الإجابة على البعض الآخر على صفحات القسم الثالث من هذا الفصل، عموماً، نستطيع القول: إن غياب الأب يعرض الأسرة للأخطار، كما يعرض الأبناء لتجاوز الحدود السلوكية المرغوبة وعدم الاكتراث بها.

القسم الثالث

هجرة الآباء.. وضياع الأبناء

الآباء..ورحلة البحث عن المال:

نؤكد أن مهمة الآباء صارت اليوم تتمركز أو كادت فى تهيئة جانب واحد فقط من الجوانب التى تسهم فى عملية النمو، ألا وهو توفير الأمن الاقتصادى للأطفال، مع إهمال بقية الجوانب الأخرى التى تسهم فى عملية النمو تلك، وخاصة ما يرتبط بالجوانب النفسية والوجدانية والخلقية والروحية .. إلخ، وهذا ما يؤكد أن ثمة خللاً بدأ يعترى كيان الأسرة مما يهدد بتفتتها وانعدام دورها الحيوى، فالكثير من الآباء يظنون أن توفير الجانب المادى بات يشكل ضرورة أساسية وملحة لتحقيق التربية السوية ، لذلك.. تكالب الآباء على جمع المال بشتى الطرق والوسائل ، ظناً منهم أن المال قد أصبح كل شئ!!.

وقد نسلم بأن الجانب المادى على قدر من الأهمية لأنه يحقق الأمان الاقتصادى للأبناء، إلا أنه لا يمكننا أن نعتمد عليه وحده، لأن المال بمفرده لا يحقق أو يتمم عملية التكوين النفسى السليم للإنسان، فضلاً عن أن طريقة الإشباع للجانب المادى على ضوء المبالغة فى الاهتمام بهذا الجانب دون مراعاة الاهتمام بإشباع الجوانب الأخرى، لاتساعد إطلاقاً على تحقيق الأهداف المرجوة للصحة النفسية. كما أنه لا يمكن أن يتم الاتزان الانفعالى والسواء النفسى لأطفالنا بمعزل عن إشباع بقية الحاجات الأخرى، كالحاجة إلى الححب، والأمن، وإثبات الذات... إلخ، لأن إشباع مثل هذه الحاجات يشكل أهمية كبرى فى عملية التكوين النفسى السوى للإنسان.

لقد أصبح واقع هذه الأيام واقعاً سيئاً بكل ما تحمله الكلمة من معان ودلالات ،فهناك الآلاف من الآباء يتركون أسرهم سعياً وراء تحسين وسائل معيشتهم، متناسين أن هذا المال الذى يقدمونه لأسرهم لن يكون بحال من الأحوال تعويضاً مناسباً، لأن المال هو «جزء» من متطلبات الحياة وليس «كل» فالأهم منه - دون شك - هو ذلك الإشباع العاطفى والوجدانى ، الذى

يتمثل فى شعور الأبناء بتواجد آباءهم إلى جوارهم، يقدمون لهم العون والمشورة والرعاية والحنان والأمن.. هذا الإشباع نراه يتلاشى ويذوب بعد غياب الآباء.

إحصاءات:

نشرت فى إحدى المجلات العربية احصائية تبين أن هناك حوالى نصف مليون من الآباء المصريين المهاجرين سعياً وراء المال للعمل فى المملكة العربية السعودية، بينما بلغ عدد الآباء الذين هاجروا للعمل فى دولة الكويت حوالى ٢٢٠ ألف فرد، فضلاً عن آلاف غيرهم هاجروا للعمل فى بلاد عربية أخرى، علاوة على أعداد كبيرة قد هاجرت للعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، حتى أن الأشقاء العرب لم يسلموا من هذه الهجرة، فهناك الآلاف ممن يعيشون فى أوربا وأمريكا كرجال أعمال.

ضياع الأبناء:

لعل غياب الأب لفترات طويلة خارج المنزل، بغرض جمع المال قد يؤثر فى مستوى مالديهم من طاقة نفسية، فالعمل المضنى طوال اليوم يستنزف كل جهدهم ، لأننا نرى الأب منهمكاً ومرهقاً، فلا يستطيع أن يشبع بقية ما يتطلبه أبناؤه من الحاجات الأخرى، ليقتصر دوره فى النهاية على أنه «مجلب للمال» وحسب، إن أبناء ينشأون فى مثل هذه الظروف هم أبناء تعساء، قد يكون لديهم ما يكفيهم من المال ليبتاعوا أفخر الثياب، وأغلى اللعب والأدوات ، ولكنهم يفتقدون وجود الأب، ودعونا نتساءل :

* من يتابع سلوك هؤلاء الأبناء؟

* ومن يقف على نوعية هذا السلوك من حيث صلاحيته أو عدم صلاحيته؟

* ومن يلاحظ اتجاهاتهم التى يكتسبونها؟

* ومن يتسنى أن يقوم تلك الاتجاهات من حيث إيجابيتها أم سلبيتها؟

* وأخيراً.. من يعوض الأبناء افتقاد الآباء؟

إن عدم تواجد الآباء إلى جوار أبنائهم يدفعهم إلى الاستخفاف بالدراسة والأهمال فى التحصيل المعرفى والمدرسى، الأمر الذى يؤدى إلى فشلهم وإخفاقهم، فأى نوع من التفوق والنبوغ نتوقعه من أبنائنا فى ظل غياب الأب!؟

ولعل الدكتور «جمال ماضى أبو العزايم» يوضح بأن مشكلة الإدمان سببها الرئيس هو أصدقاء السوء، ففى عام ١٩٦٧م من القرن المنصرم كانت نسبة الإدمان بين الشباب بسبب أصدقاء السوء ٣٠٪ حتى وصلت هذه النسبة عام ١٩٧٣م إلى ٩٠٪، والسبب فى ذلك كان غياب الأب.

تفكك أسرى:

إن التكالب على المال بشكل مبالغ فيه يترتب عليه ارتفاع معدل الشجار بين الزوج وزوجته ، لأنه ليست لديهم أى طاقة نفسية مختزنة، تستطيع أن تواجه الأزمات بشئ من الصبر والإناة، الأمر الذى يجعل البيت فى النهاية يعج بالاضطرابات والقلاقل، فينعكس ذلك على الأطفال سلباً وتردياً، فيكونون هم الضحية أو كبش الفداء لأطماعنا التى لاتنتهى، وكم نرى من أطفال تعساء وحزانى، يؤثرون الهروب من هذا الجو المشحون بالتوتر إلى بيئات أخرى يلمسون فيها الأمن والاطمئنان والهدوء. فلانلوم إذاً هؤلاء الأبناء إذا خالطوا رفقاء السوء ، أو غرقوا فى خبرات جنسية مبكرة، أو إذا أدمنوا المخدرات أو الكحوليات، أو اعتادوا السرقة والتخريب، أو كافة الأساليب السلوكية الأخرى اللاسوية ، لأننا نحن الملامون أولاً وأخيراً.

ضياع الآباء أنفسهم:

غير خاف على أحد أن فى هجرة الآباء سعياً وراء المال ما قد يعود بالسلب على هؤلاء الآباء أنفسهم، فقد يعود الأب بعد هجرة طويلة لأسرته ليجد نفسه فاقد السيطرة على أبنائه لأن أصدقاء السوء من الكبار أو الصغار قد تسلطوا عليهم فأغووهم ، فانتهى الأمر بعلاقات مشبوهة ومنحرفة، نتيجة عدم تواجد الأب الذى هو ممثل السلطة، ودعونا نتساءل من جديد : بماذا يفيد المال إذا انحرف سلوك الأبناء عما هو مألوف وسوى، فأودعوا مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين. أو زُجَّ بهم فى غياهب السجون؟؟

وضياع الزوجة أيضاً:

بالقطع لن تنتهى الأضرار الناجمة عن غياب رب الأسرة وممثل السلطة فيها، فالأم قد تلجأ فى كثير من الأحيان - أثناء غياب الزوج - إلى قريب أو صديق أو جار لتسأله المشورة فى الأمور التى تستعصى عليها، وفى هذا إفساد وضياع، خاصة حينما تتؤلد الثقة بين هذا الشخص وبين الأسرة، هذه الثقة التى تؤدى إلى اهتزاز صورة الأب، أو قد تؤدى إلى ظهور علاقات محرمة بين هذا الشخص وبين الزوجة!!.

الحـــل:

دعونا لنؤكد من جديد أن التربية السوية لاتعتمد أساساً على توفير المال فقط، نعم، المال عصب الحياة، ولكنه ليس كل شئ، إن السعادة الحقيقية التى نعرفها لن تتحقق بتوافر قدر كبير من المال، لأن هناك أشياء أخرى كثيرة فى هذه الحياة لايستطيع المال أن يشتريها ، لعل من أهمها فى هذا الصدد هو وجود أبناء يتمتعون بقدر كبير من السواء النفسى أو الصحة النفسية.

وحتى لايتهمنا أحد بالنرجسية والمغالاة فى المثالية، نقول : إذا كان من الضرورى أن يهاجر الأب إلى بلد من البلدان لكسب مادى عادل ومشروع لرفع مستوى معيشة أسرته فعليه أن يصطحب زوجته وأطفاله معه، وكذلك الزوجة التى قد تجد فرصة للعمل خارج بلدها تهيئ لها ولأسرتها معيشة طيبة وكريمة.

علينا أن ننظم أمورنا، وأن نفكر فى قرار الهجرة بدون الزوجة والأبناء مرة ومرات، قبل أن ننهك أنفسنا فى جمع المال، لنحصد فى النهاية ضياع الأبناء الذين يحلولنا أن نسميهم «فلذات الأكباد»!!

الفصل الرابع

الخلافات الزوجية

القسم الأول

أسباب الخلافات الزوجية

تمهيد

يعرف «ماكيفر» و«بيج» الأسرة بأنها عبارة عن جماعة دائمة ترتبط عن طريق علاقات جنسية، بصورة تمكن من إنجاب أطفال وتربيتهم . وقد توجد فى الأسرة علاقات أخرى، ولكنها تقوم على معيشة الزوجين معاً، وهما يكونان مع أطفالهما وحدة متميزة.

ويعرف « رالف بيلز» و«هارى هويجر» الأسرة بأنها جماعة اجتماعية يرتبط أعضاؤها بروابط القرابة.

وفى «المعجم الكبير» نجد التعريف التالى للأسرة : مجموعة أفراد ذوى صلات معينة من قرابة أو نسب، ينحدر بعضهم من بعض، أو يعيشون معاً، وكانت الأسرة فى الجماعات الأولى واسعة كل السعة، بحيث تساوى العشيرة، ثم أخذت تضيق شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت لا تشمل إلا الزوج والزوجة وأولادهما ماداموا فى كنفهما.

والأسرة الإنسانية كانت فى الماضى تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية ، فقد كانت هيئة اقتصادية تقوم بإنتاج ماتحتاج إليه، وكانت أيضاً هيئة قضائية تقوم بالفصل فى المنازعات التى تنشأ بين أعضائها. وعلاوة على ماتقدم كانت هيئة تربوية تقوم بتربية أطفالها، ولكن المجتمع أخذ يسلب من الأسرة كثيراً من وظائفها، وينشئ لكل وظيفة منها نظماً اجتماعية خاصة بها، فلقد انتزع منها السلطة القضائية، كما انتزع منها أيضاً معظم وظائف التربية والتعليم، وفضلاً عن ذلك فإن الأسرة لم تعد هيئة اقتصادية تقوم بإنتاج ما تحتاج إليه . لقد أصبحت وحدة استهلاكية. وبالرغم من ذلك ، فإن الأسرة ماتزال تؤدى وظائف مهمة انحدرت إليها من الماضى، فالأسرة فى الوقت الحاضر، هى المكان الطبيعى لتحقيق الغرائز الجنسية، وإنجاب الأطفال وتربيتهم بالصورة التى اصطلح عليها المجتمع. هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن الأسرة لم تفقد وظائفها القديمة طفرة واحدة، ولكنها فقدتها تدريجياً .

كما يهمنا أن نشير إلى أن هذا لم يتم على صورة واحدة فى جميع المجتمعات فقد اختلفت أشكاله باختلاف المجتمعات.

التعلق بالحب والكراهية:

بقدر ما تكون الحياة الأسرية مشمولة بالحب والوئام، بقدر ما يمكن أن تكون محفوفة بالمشكلات والتنابذ، فليس من الغريب أن نجد زوجين ربط بينهما الحب العميق، ثم انقلب حب بعضهما البعض إلى كراهية وبغضاء!!.

وتترجم علاقة الحب بالكراهية فى ضوء مبدأ التجاذب والتنافر، فالحب تجاذب، والكراهية تنافر، وعلى هذا فمن الممكن ترجمة هاتين العمليتين فى ضوء علاقة واحدة هى التعلق Attachment ، فالحب تعلق إيجابى ، والكراهية تعلق سلبى.

والواقع فإن الحب يعنى دائماً العطاء، والكراهية تعنى الأخذ، فكلما كان المحب يتفانى فيمن يحب، فإنه يشعر برغبة فى إعطائه ومنحه. ولكن إذا حلت الكراهية فى القلب، فإن الشخص يود أن يستلب كل ما عند الطرف الآخر الذى يبغضه. ولعلنا نؤكد أن الغالبية العظمى من المشكلات الزوجية ترتكز على مسألة الأخذ والعطاء فالزوجة أو الزوج الذى يجب، يحاول دوماً أن يعطى بلا حدود، ودون أن ينتظر فى مقابل حبه جزاء ، أما الزوجة ، أو الزوج الذى يبغض ، يحاول أن يأخذ دائماً ، دون أن يفكر فى أن يعطى فى المقابل شيئاً.

ومما لا شك فيه أن العلاقات الزوجية إما تبعث على الوئام والسلام والهدوء النفسى، هذا إذا كان الحب بين الزوجين هو السائد، أو تبعث على الخصام والتنافر وكل من شأنه أن ينغص على العلاقات الزوجية صفوها وهدوءها. إذا كانت البغضاء والكراهية هى السائدة.

ونؤكد أن من الخطأ فهم صورة الزواج المثالية على أنها الحياة الخالية من

المشكلات ، ولكن الحقيقة هى أن المشكلات لابد أن توجد. كما لابد أن توجد - فى نفس الوقت - القدرة على إيجاد حلول لها عند الزوجين ، وبواسطة جدهما المشترك ، لأن الحياة الزوجية تحتاج إلى مزيد من التفاهم المتبادل، الدائم والمستمر.

كما ينبغى عدم السماح لهذه المشكلات بأن تتضخم وتكبر، وهذا يتطلب خبرة ومعرفة يفتقدها - فى الغالب - كثيرون، وربما يكون الزواج المبكر عاملاً سلبياً بسبب النقص فى الخبرة، والمرونة، وزيادة التفكير الخيالى، وعدم النضج فيما يتعلق بالطرف الآخر (الزوج أو الزوجة)، بل وفى الحياة نفسها.

أسباب المشكلات الزوجية:

تتعدد أسباب المشكلات الزوجية وتتشابك ، على نحو يجعل تحديها تحديداً قائماً بذاته أمراً صعباً للغاية ، وهذا لا يمنع من أن نحاول تقنينها وبلورتها فى خمسة أسباب رئيسة، تشكل المعاول الأساسية التى من شأنها أن تقوض صرح الحياة الزوجية، وتؤدى إلى تفسخها وانهيارها والتى سوف نعرض لها كالتالى:

١ - التفكك الأسرى:

بدلاً من أن تكون العلاقة بين الزوجين علاقة مودة ورحمة يستمد منها الأبناء دعماً نفسياً يدفعهم للنمو السوى ، يحول الشجار العائلى هذه العلاقة إلى طاقة مدمرة تسحق نفسيات الأطفال فى مراحل التكوين. ولعل هذا التصوير لطرفى الشجار فى الخلافات الزوجية ، الأب والأم يجسد فظاعة التحول إلى حجرى رحى يدوران بكراهية غير مبررة غالباً، أحدهما ضد الآخر، فتتولد عن دورانهما الأصم شرارات تشعل مزيداً من الكراهية، وتحرق بينهما أجنحة صغيرة لكائنات جميلة رقيقة تتأهب للطيران فى الغد.

نحتاج إذا إلى جدية البحث عن سبل جديدة للتلاقى، تلاقى المودة

والرحمة التى هى دعامة من دعامات الحب الإنسانى فى الحياة عامة، والحياة الزوجية خاصة، والتى هى بكل المعايير أخلد صيغ التلاقى بين طرفين فى غاية الأهمية - الرجل والمرأة - وأكثرها صحة كما يثبت يوماً بعد يوم، وتؤكد - ليس فقط - الديانات السماوية ، بل أيضاً مستجدات زماننا من حاجات صحية ونفسية وجسدية.

ودعونا نتساءل: مادوافع الشجارات الزوجية ومراميها؟ وهل يعرف الكثير منا تلك الآثار المدمرة لهذا الاندفاع السلبى فى أدنى شكل من أشكاله وهو الشجار الأسرى على أطفالنا الذين تصفهم أدبيات الصحة النفسية بأنهم «أبناء البيوت المحطمة».

دعونا نؤكد أن الروابط الزوجية هى نتاج التفاعلات المعقدة بين مجموعة من العوامل البيولوجية والسيكولوجية (النفسية) والاجتماعية والاقتصادية ، ويتحدد هذا الترابط الزوجى واستقراره فى ضوء العديد من العوامل الخارجية والداخلية ، فالبنية الاجتماعية لها تأثير كبير على الأسرة، فإذا كانت الأسرة هى اللبنة الأولى فى المجتمع ، وأساس وجوده، فالمجتمع هو الذى يشكل وينظم نمو الأسرة ووظائفها.

أما العوامل الداخلية التى تشمل طرق استجابة أفراد الأسرة كل منهم للآخر، ومدى إشباعهم لحاجاتهم بشكل تبادلى، ومستوى الانسجام والتجانس فيما بينهم ، فإنها لاتقل أهمية عن العوالم الخارجية على صعيد تحقيق الترابط والانتماء.

والجدير بالذكر أن الحياة الزوجية الناجحة والمترابطة تتطلب التكيف Adaptation مع المتغيرات الداخلية والخارجية، على أن عملية التكيف هذه ليست من خصائص الأسرة الجامدة (التى تعمل وفقاً لنظم وقواعد صارمة)، أو تلك الأسر الفوضوية (التى لا تعمل وفقاً لقواعد ونظم محددة) وغالباً ما ينطوى التطرف فى القواعد (صرامة أو فوضوية) التى تحم العلاقات بين أفراد

الأسرة على صعوبات مختلفة، ذلك لأن النظام الأسرى إنما هو أولاً وقبل كل شئ نظام تفاعلى.

أما الوحدة الزوجية المفككة فتطغى على علاقاتها الصراعات ، كما أنها تعانى من سوء التكيف الاجتماعى، وتتصف بسمعة غير مقبولة ، ويأخذ الأمر عدة أشكال منها :

* إهمال الأب لأسرته، وعدم قيامه بواجباته الزوجية والوالدية، مع إدمان أو بطالة أو قسوة على الزوجة والأبناء.

* إهمال الأم لأولادها ، وعدم تقدير زوجها، وفقدان الروابط الإيجابية بينهما، كذلك طغيان المرأة على الأسرة، والحط من قدر زوجها، مع ميل إلى الاهتمام بنجاحاتها الشخصية فقط.

ولذلك. . كثيراً مايكابد الطفل فى بيته ضروباً شتى من مشاعر الخوف، وانعدام الأمن، والقلق النفسى نتيجة الاضطرابات بين الزوجين،وتزلزل البناء العائلى بالشقاق الدائم بين الوالدين، وتصدع التماسك الزوجى بينهما وانهياره، وينتهى الوضع بالطفل إلى المعيشة مع أحدهما ، وافتقاره إلى عطف الآخر ورعايته ومحبته له.

وحينما يسوء الجو الأسرى التفكك والتصدع تنتشر حالات النبذ، فقد يكون النبذ «نوعياً» لطفل معين يعطى دلالة «حليف الأب» ، ويعرف نفس مصيره فى الأسرة بينما تتحالف الأم مع بقية الأبناء. كما قد يحدث العكس تماماً، فتكون الأم مع أحد أطفالها هى المنبوذة من قبل حلف أبوى قوى مع الأبناء.

وقد يكون النبذ «عاماً» يصيب جميع الأبناء على حد سواء، وفى جميع الأحوال يطغى طابع الاضطراب الاجتماعى والأسرى على ماعداه، ويصبح النبذ أو الحرمان مجرد نتيجة ثانوية للمشكلة الاجتماعية، حيث يبدو سوء التكيف واضحاً عل الوالدين أو أحدهما.

وفى الأسر حديثة التكوين، نجد أن اختلاط الأدوار والمسؤوليات يلعب دوراً فى تفكك الأسرة مما يتطلب الحوار المستمر، وتحديد الأدوار والمسؤوليات بشكل واقعى مرن، حيث نجد أن أحد الطرفين يتهم الآخر بالتقصير ويعبر عن عدم الرضا، ولكنه يستخدم مقاييس قديمة من ذاكرته عن الآباء والأمهات دون التنبه إلى اختلاف الظروف والأحداث. ولابد لهذه المقاييس أن تتعدل لتناسب الظروف المستجدة مما يلقى أعباء إضافية على الطرفين بسبب حداثة المقاييس المستعملة ونقصها وعدم وضوحها.

وقد يحدث التفكك الأسرى نتيجة القيم المتباينة أو المتضاربة، فتباين العقيدة الدينية قد يتسبب فى ظهور الخلافات الزوجية، وفى بعض الحالات يحدث التباين فى العقيدة الدينية أثناء الزواج، كأن يغير الزوج، أو تغير الزوجة معتقدها الذى كانت تعتقده قبل أو بعد الزواج لأسباب مختلفة، وقد يكون تغير العقيدة فى نطاق الدين الواحد أو المذهب الدينى الواحد.

٢ - العنف والصراعات:

يتجلى العنف بين الزوجين فى محاولة سيطرة الواحد منهم على الآخر، وذلك عن طريق إلحاق الأذى الجسدى أو المعنوى به.

ويمكن القول بأن هؤلاء الأزواج يخبرون العنف أولاً فى أسرهم الأصلية، فهم كثيراً مايقعون ضحايا آباء يتسمون بالعنف، أو هم يكونون شهود عيان للعنف المتبادل بين آبائهم وأمهاتهم . وقد بينت الباحثة الأمريكية «والكر» walker فى دراسة لها نشرتها عام ١٩٨٤م من القرن المنصرم أن ٤١٪ من النساء الأمريكيات أفدن أنهن كن ضحايا العنف الجسدى من جهة أمهاتهن، و٤٤٪ منهن شهدن حوادث اعتداء جسدى لأمهاتهن على آبائهن!!.

كذلك بينت بحوث «برجمان» ومساعديه B.Bergman. et al على مجموعة كبيرة من الأزواج المضطهدين لزوجاتهم أن ٣٩٪ منهم كانوا شهود

عيان لضرب آبائهم لأمهاتهم، وأن ٨٣٪ منهم كانوا ضحايا ضرب شديد متكرر من قبل أحد الوالدين أو كليهما.

وتدل نتائج أبحاث «باركر» A.Parker ومساعديه على أن ٦٨٪ من النساء المفحوصات من قبلهم من ضحايا العنف الزوجى، شهدن أن أمهاتهن تلقين من آبائهن معاملة مماثلة.

يلاحظ كذلك لدى أطراف مثل هذا النمط من العلاقات الزوجية وجود طراز معين من فهم الأدوار الجنسية فى الأسرة، يتميز هذا الفهم بالتسامح مع ثورات غضب «الذكر» بل وتشجيعها باسم الرجولة والخشونة، التى ترتبط فى أذهانهم بالعنف. بالمقابل يغلب نعت الدور الأنثوى بالحساسية والضعف والخضوع والمغفرة (وهنا يعطى للصبر على سوء معاملة الزوج مكانة خاصة).

وكثيراً ما تلعب وسائل الإعلام، والقصص العاطفية دوراً مهماً فى ترسيخ هذه النظرة من خلال عرضها الكثير من مواقف العنف بين العشاق، وغالباً ما يتم ربط هذا الأمر بمشاهد جنسية ترسخ وتعزز ترابط الإثارة الجنسية باستخدام القوة العضلية من جانب الذكر، وبالخضوع والاستسلام من جانب المرأة، إن المراهقين الذين يتعرضون لتأثير مثل هذه الأفلام كثيراً، يحاولون تقليد «الرجال الحقيقيين» الذين يلعبون هذه الأدوار، وعادة ينالون عنها نعم الجزاء، فأجمل البطلات يتنافسن للتقرب من الرجال العنيدين الذين غالباً ما يكونون مفتولى العضلات.

يرسخ فى أذهان المراهقين كما يشير «ستيفنز» و«جيفارد» stevens & Gephard أن علاقة وثيقة تربط الجنس بالعنف، إن العنف صفة مطلوبة فى الذكر، بل جزء طبيعى من رجولته، وإن المرأة بطبيعتها تربط الجنس بالعنف، وإن المرأة بطبيعتها تحب هذا العنف الرجولى لأنه يثيرها جنسياً تؤكد هذا أبحاث «رورك» Roark على تلاميذ المدرسة الثانوية والتى دلت على وجود ترابط شديد عندهم ما بين مفاهيم الجنس والحب والاغتصاب.

وكثيراً ما يصادف العاملون فى مجال العنف الأسرى نوعاً من القناعة ضد ضحايا ومرتكبى العنف، بأن الخمر سبب رئيس فى حدوث الظاهرة، على أن الباحثين يميلون للحذر فى تفسير تلازم العنف الأسرى مع الإدمان الكحولى، فبرغم الإقرار بوجود معاملات ارتباط ذات دلالة بينهما، فلا يعنى هذا أن تكون إحداهما سبباً للأخرى.

تلفت «باجلو» Pagelow مثلاً إلى أن الخمر غالباً ما تلعب دور العذر الذى يستخدمه طرفا الصراع فى تبرير الموقف ككل وعدم تحمل مسؤوليتهما فى نشوء الظاهرة واستمرارها.

وتذهب «شتيمنمز» steinmetz إلى الأخذ بنفس الرأى وتحذر الباحثين الذين يفسرون نتائجهم الإحصائية من الوقوع فى هذا الخطأ.

وقد حدد «إليو» Elbow أربعة أنماط لصفات مضطهدى الزوجات على النحو التالى :

* **الأول** : هو الرجل المسيطر الذى يعامل زوجته كما لو كانت شيئاً مملوكاً له، ويسعى بسلوكه العنيف إلى تحقيق السيطرة التامة عليها.

* **الثانى** : هو النمط المتناقض انفعالياً ، وهو يعيش مشاعر حادة ومتناقضة إزاء زوجته، وتغلب عليه التبعية الانفعالية الزوجة، فيحاول بإخلاص الحصول على عفوها بعد ثورات الغضب التى لا يسيطر عليها.

* **الثالث** : وهو يدعى بالمهذب المزيف، وهو الذى يسعى إلى تحسين صورته فى أعين الآخرين على حساب عفويته مما يزيد مشاعر القلق التى تتراكم ، إلى أن تحين لها الفرصة للانطلاق فى ثورة غضب يتم خلالها تفريغ التوتر من خلال سلوك العنف.

* **الرابع** : وهو النمط المتوحد بالزوجة الذى يرى أفراده فى زوجاتهم جزءاً

من ذواتهم، وكل محاولة للزوجة تهدف إلى الاستقلال العاطفى أو الاقتصادى أو الاجتماعى تزيد شعورهم بالتهديد ، وتزيد بالتالى احتمال ظهور العنف أيضاً.

عنف متبادل:

بينت نتائج أبحاث «ساندر» و«فريشمان» synder & fruchman على نزيلات ملجأ ضحايا العنف الزوجى على وجود ارتباط وثيق بين سلوك المرأة فى مواجهة عنف الزوج وتطور سلوكه نحوها.

ويرى أيضاً بعض الباحثين مثل «شتراوس» و«جيلز» أن العنف الزوجى معركة متبادلة بين طرفين، وغالباً ما يستعمل كل منهما أحد أشكال السلوك العدوانى الجسدى أو اللفظى أو الرمزى.

كذلك تشير «ساوندرز» saunders إلى أن النساء المضطهدات نادراً ما يكن سلبيات ومستسلمات كما يعتقد ، هذا الاستسلام قد يكون حقيقياً لحظة ثورة عنف الزوج.

وتعتبر «أليانور والكر» E.walker أن ظاهرة العنف بين الزوجين تمر عبر أطوار نمو دورى للتوتر يجرى عبر ثلاث مراحل تتكرر دورياً :

* **المرحلة الأولى** : حيث يلاحظ تزايد التوتر فى العلاقة بين الزوجين بشكل تدريجى لأسباب مختلفة وقد تكون تافهة . يأخذ العدوان فى هذه المرحلة شكلاً لفظياً أو رمزياً معتدلاً نسبياً.

* **المرحلة الثانية** : تبدأ عندما يرتفع التوتر إلى درجة تفوق عتبة التحمل عند أحد الطرفين، وفيها يظهر العنف الجسدى واللفظى بأشد صوره من جهة واحدة أو من كلتا الجهتين . ويؤدى العنف دوره فى خفض التوتر.

* **المرحلة الثالثة** : حيث تتميز بسلوك الزوجة الانسحابى وشعور الزوج

بتأنيب الضمير فيحاول استرضاءها بطرق شتى وعادة ما ينجح فى ذلك، فتأخذ العلاقة بينهما شكلاً تسميه الباحثة «والتر» (شهر العسل الدورى)، لأنه بعض مضى شئ من الوقت يعود التوتر للارتفاع من جديد تدريجياً.

عنف جنسى:

وهو يعنى إلزام أحد الطرفين للآخر على القيام بممارسات جنسية مختلفة ضد إرادته. الأكثر شيوعاً أن يكون المعتدى فى هذه الحالة هو الرجل مع استخدام القوة الجسدية أو التهديد باستخدامها.

هذا ، ويعتقد «كامبل» campbell فى ضوء خبرته العيادية أن نصف النساء اللاتى تلقين عنفاً جسدياً فى العلاقة الزوجية هن كذلك ضحايا لهم جنسياً.

كما أشارت نتائج الاستقصاء الذى أجراه «راسل» Russel فى عام ١٩٨٢م من القرن المنصرم على (٩٣٠) زوجة أمريكية إلى أن ١٤٪ منهن تعرضن للاغتصاب من قبل أزواجهن، وأن ٣٥٪ منهن تعرضن لذلك بين ٥ - ٢٠ مرة.

أما الحديث عن وجود محاولات لتفسير الأغتصاب الزوجى، فتحتل نظريةH irchaan & Beutler الرباعية الأبعاد مكانة خاصة بين جميع النظريات الأخرى، إذ تحاول تفسير الأمر من خلال تضافر أربعة عوامل عريضة هى :

* العالم الفسيولوجى (فرط الاستثارة الجنسية فسيولوجيا عند الفاعل).

* العامل المعرفى - الثقافى (المعتقدات الاجتماعية السائدة حول العلاقات الجنسية بين الأزواج).

* العامل الظرفى القانونى (قصور النصوص القانونية فى مواجهة هذه الظاهرة).

* العامل الانفعالى الشخصى (سمات شخصية الفاعل).

وفى الولايات المتحدة الأمريكية نشطت الجمعيات النسائية وجمعيات ضحايا العنف الأسرى فى أواخر الثمانينات من القرن المنصرم من أجل زيادة الوعى العام بخطورة هذه المسألة ، واستطاعت إحداث تغييرات بحيث أصبح قانونها ينص صراحة على أن الاغتصاب بمختلف أشكاله جريمة يعاقب فاعلها، أيا كان ، بنفس العقوبة.

وتحذو الجمعيات الأوربية حذو الجمعيات الأمريكية فى هذه الصدد.

صراعات ثقافية:

قد تحدث صراعات ذات صبغة ثقافية بين الزوجين ، قد تنعكس سلباً وتردياً على نمو الأطفال، خاصة إذا كانت هذه الصراعات ذات طابع معقد ومتشابك. وهذه الصراعات قد تحدث بفعل الزواج بين الطبقات الاجتماعية المتباينة. وفى هذا الصدد تؤكد الدكتورة «فؤادة محمد على» أن الفجوة فى المستوى الثقافى بين الزوجين كأن يكون أحدهما من الريف والآخر من الحضر (المدن)، هنا تتباين عادات وتقاليد كل منهما، الأمر الذى قد يخلق الصراع فى بعض المعاملات ، كما أن الاختلاف الشاسع فى المستوى الفكرى والعلمى كالتقدم العلمى لأحد الزوجين، أو حصوله على درجات علمية تفوق الآخر، وهذا من شأنه أن يخلق هوة فى التواصل بين الزوجين، وفى عملية خلق الأفكار المشتركة.

الصراعات..والحدود الفاصلة:

نؤكد أن الصراعات والمشاجرات بين الزوجين، إنما هى من الأمور الطبيعية داخل الحياة الأسرية، مادامت فى حدود معينة لاتتعداها، فالصراع قد يكون بناء إذا دار حول المواضيع والمشكلات، وطالما كان الهدف منه مواجهة المشكلات وإيجاد حلول لها. وقد يكون مدمراً إذا كان موجهاً نحو تجريح

ذات الطرف الآخر، وانتهى بالتوترات والصراعات المستمرة والمتصاعدة. الصراعات التى تحدث على مرأى ومسمع من الأطفال ، مما يكون له انعكاسات سلبية على الأبناء فهى لاتبدد المجهود المبذول نحو رعاية الأطفال فحسب، ولكنها قد تدفعهم إلى التشاجر مع الآخرين كمنفذ للتنفيس ، أو كوسيلة من وسائل المحاكاة والتقليد. وقد تفقد احترامهم لآبائهم وتحد من ارتباطهم به.

٣ - التوتر وعدم التفاهم:

الحياة الأسرية بما تتضمنه من تفاعلات مستمرة بين عدة أطراف، ومستويات متفاوتة من الاعتماد المتبادل، فتنطوى على الشعور بالأمن والانتماء ، ويمكن القول بأنه عندما تكون للمعتقدات والتوقعات الخاصة بالعلاقات والروابط الأسرية صفة الاستقرار النسبى تستطيع أن تمارس وظائفها وتتحرر البيئة الأسرية من التوترات، أما إذا حدث تباين وتنافر بين توقعات أفراد الأسرة قد تكون التأثيرات على وحدة الأسرة كبيرة، وعلى علاقاتها بالتالى مع المجتمع.

وكثيراً ما يحدث أنه عندما تبدأ الحياة الأسرية فى التعثر يصبح الزوجان فى حالة ضيق وسخط من أخطاء وعيوب بعضهما البعض، وفى الوقت نفسه يشعر كلاهما الذنب فى أعماقه، ويلقى على نفسه باللوم، فالطرفان يسبحان فى تيار جارف من التحفزات والاستفزازات يزداد عنفاً مع الأيام.

والحياة الزوجية التى تكون بهذه الصورة المتوترة تسبب إرهاقاً شديداً للطفل حتى لو حاول الوالدان إبعاده عن هذه المعارك ، أو حاولا إخفاء هذه المشكلات عنه. إن ما يحدث فى أغلب الأحيان أن الوالدين يعاملان الطفل كقطعة من الشطرنج، ويلعبان به على مائدة خلافاتهما. إن أحدهما يبدأ المشاحنات والآخر يرد عليه، ويبدأ المعتدى فى البكاء على خط الطفل، لأنه

نشأ فى مثل هذه الأسرة، ويستسلم الطرف الآخر لهذا الندب على حظ الطفل، ثم يبدأ الشجار مرة أخرى، وهكذا.

أما عن صعوبات عدم التفاهم بين الزوجين، فقد تنشأ بحكم بعض الاتجاهات فى الشخصية، مثل : العناد والإصرار على الرأى، والنزعة التنافسية الشدية ، وحب السيطرة ، وأيضاً الاندفاعية والتسرع فى اتخاذ القرارات وفى ردود الفعل العصبية ، حيث يغضب الفرد وتستثار أعصابه بسرعة مما يولد شحنات كبيرة من الكراهية التى يعبر عنها بشكل مباشر من خلال السباب والعنف، أو بشكل غير مباشر من خلال السلبية والصمت وعدم المشاركة.

كل هذه أمور تسهم فى صعوبة التفاهم وحل المشكلات اليومية العادية ، مما يجعل الطرفين يبتعد كل منهما عن الآخر فى سلوكه وعواطفه وأفكاره.

٤ - عدم التوافق النفسى :

ثمة دور خطير تلعبه الصحة النفسية للفرد، فيما يتعلق بالتفكك الأسرى، وما ينشأبينه وبين أفراد أسرته من خلافات أو نزاعات، فعدم توافق الشخصية، واختلاف الطبائع ، وعدم الانسجام الروحى أو العاطفى، كلها عوامل تؤدى إلى تصدع صرح الأسرة وبالتالى انهيارها.

ولا بد أن ننوه إلى أن التوافق بين الزوجين فى بعض النواحى هو أمر يصعب تحديده، ومن هنا تختلف المقاييس فيما تعنيه كلمة «التوافق» ولذلك وجب أن نعدل توقعاتنا حول موضوع «التوافق» لأن ذلك يفيد كثيراً فى تقبل الأزواج لزوجاتهم والعكس.

كما أن سيطرة الأفكار المثالية تؤدى إلى عدم الرضا أو عدم القناعة، فتتدهور بالتالى العلاقة بين الزوجين، لذلك يجدر بنا أن نؤكد أنه لا بد من وجود حد أدنى من التوافق أو التشابه، هذا إذا حرصنا على استمرار العلاقة

الزوجية ودوامها، فالتوافق يولد التقارب والتعاون، والاختلاف يولد النفور والكراهية والمشاعر السلبية.

ولسنا نعنى بالتوافق أن يكون أحد الزوجين نسخة طبق الأصل من الآخر، لأننا نؤمن أن الاختلافات قد تكون مفيدة وهادفة إذا كانت فى إطار من البناء، وبغية المصلحة العامة وإيثارها على المصلحة الخاصة.

وعلى صعيد آخر نجد أن عدداً من الأفراد تنقصهم الحساسية لتلبية رغبات الآخرين، وكذلك الحرص على مشاعرهم، أو تنقصهم الخبرة فى التعامل الجيد معهم، وذلك بسبب خلل فى تكوينهم الشخصى، أو لتعرضهم لظروف معيشية صعبة وقاسية. ويتضح أن هؤلاء الأفراد يصعب العيش معهم، ومشاركتهم فى الحياة الزوجية، لما تتطلبه من تلبية الحاجات والحرص على المشاعر والأحاسيس وتوفر عنصر الخبرة والفطنة فى التعامل مع الآخرين، مما يجعلهم يتعرضون أكثر من غيرهم لحالات الانفصال والطلاق.

ويؤكد الدكتور «عادل عزالدين الأشول» أن من أهم الأسباب التى تؤدى إلى عدم التوافق النفسى بين الأزواج هو عدم تناسق الاتجاهات بين الزوجين، ولا يسما الميول والرغبات ، كأن يميل أحدهما إلى الانطلاق والمرح، والآخر إلى الانطواء والتقوقع.

أيضاً التباين فى المشاعر والأحاسيس، كأن يكون أحد الزوجين رومانسياً والآخر يميل إلى الواقعية البحتة، كما أن عدم اقتناع أحد الزوجين بالآخر يمكن اعتباره بداية الاختلاف ، فمع دوام الحياة الزوجية تظهر الخصائص الشخصية لكلا الزوجين، فيبدو لأحدهما أن هذه الصفات الشخصية لاتروق له، كأن يكون أحدهما بخيلاً أو مبذراً.

كذلك، فإن مفهوم الذات لدى كل من الزوجين يؤثر فى التوافق، فمثلاً قد يعظم أحد الزوجين من ذاته، فيقترب من الغرور أو الثقة الزائدة، أو قد يحقر أحدهما من ذاته فيصيبه الإحباط الدائم، وكل هذا يؤدى حتماً إلى

اضطرابات فى العلاقات الزوجية.

كما أن صورة الأب وصورة الأم لدى الزوجين من شأنها أن تؤثر بالسلب على العلاقة السوية بين الزوجين، فالزوجة لايمكن أن تكون صورة من أم الزوج، وهو ما ينشده بعض الأزواج فى زوجاتهم، الأمر الذى يخلق مشكلات عديدة ، فلا الزوجة تريد أن تتشبه بأم زوجها فى كل شئ، ولا الزوج يريدها كما هى.

أيضاً التعرض للصدمات النفسية، أو ماقد يصيب المرء من أمراض نفسية نتيجة عطب قد يصيب مناطق من المخ، أو ما ينجم عن التوترات النفسية أو الانهيارات العصبية، أو الاضطرابات الهرمونية أو غير ذلك، يؤثر سلباً فى بحرى الحياة الأسرية السوية، ويتسبب فى مشكلات لا حصر لها.

هذا .. وقد وجد الباحثان «هس» و«كامارا» أن هناك علاقة بين توافق الوالدين ومستوى الضغوط النفسية التى يواجهها الأطفال، فالمستوى العالى من التوافق بين الزوجين يقابله مستوى منخفض من الضغوط النفسية على الأطفال ، كما وجدا أيضاً أن ثمة ترابطاً قوياً بين طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء ومستوى عدوانية الأبناء وعلاقاتهم الاجتماعية وفاعليتهم فى عالم العمل.

٥ - عدم الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى:

قبل أن نستعرض الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التى قد تكون سبباً فى نشوء المشكلات الزوجية، ينبغى أن نوضح على عجالة، ما المقصود بدخل الأسرة؟ وكيف يتم انفاق هذا الدخل؟

الدخل : هو المال الذى يدخل على الإنسان من زراعة أو صناعة أو تجارة، حسب ما جاء المعجم الوسيط (الجزء الأول).

وهناك مصادر مختلفة للدخل، من هذه المصادر نذكر : كسب عمل أو

راتب شهرى، معاش، نفقة شرعية، إيراد أملاك خاصة، فوائد أوراق مالية، مساعدات.. إلخ . ولاشك فإن دراسة مصدر الدخل تفيد عند تحديد المكانة الاجتماعية للفرد أو للأسرة فى المجتمع، كما تفيد بشأن التنبؤ بمدى نجاح الأسرة واستقرارها مادياً من عدمه.

أما عن مصروفات الأسرة Family Expenditures أو ميزانية الأسرة، فنؤكد أن كثيراً من الباحثين عنوا بدراسة ميزانية الأسرة . ويعتبر «فردريك ليلاى» (١٨٠٦ - ١٨٨٢م) من الرواد الأوائل فى هذا الميدان.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، اهتم «و.ل وورنر» وزملاؤه بدراسة ميزانية الأسرة، وقد قسموا المصروفات الخاصة بالأفراد إلى ستة وعشرين بنداً هى :

١ - مسكن : ويشتمل هذا البند على : الإيجار الذى تدفعه الأسرة إذا كانت تستأجر المسكن.

أما إذا كانت الأسرة تمتلك المسكن الذى تقيم فيه، فإن هذا البند يشتمل على الآتى : الضريبة الخاصة بالمسكن ، التأمين الخاص بالمسكن، قيمة المياه، صيانة المسكن.

٢ - مأكل : ويقصد بذلك كل ما تنفقه الأسرة على المأكل سواء فى المنزل أو فى المطاعم.

٣ - ملابس : ويشتمل على كل ما تنفقه الأسرة لشراء الملابس وصيانتها.

٤ - إدارة البيت : ويشتمل على أجور الخدم وكل ماتنفقه الأسرة على الوقود والإضاءة والهاتف (التليفون) والبرقيات وغسل الملابس وكيها.

٥ - أثاث : ويشتمل على كل ما تنفقه الأسرة لشراء الأثاث. ويدخل فى هذا البند أيضاً شراء الأجهزة الكهربائية كالتلفزيون والتكييف والحاسوب (الكمبيوتر)، وكذلك الآلات الموسيقية وغيرها.

٦ - نفقات السيارة : ويشتمل هذا البند على النفقات الخاصة بالسيارة : من صيانة ، تسديد الغرامات المالية، الضرائب ، التأمين ، أقساط الشراء، تجديد رخصة القيادة.

٧ - تسلية : ويشتمل على ما تنفقه الأسرة فى المسارح ودور السينما وغير ذلك من أماكن التسلية.

٨ - روابط : ويشتمل على الأموال التى تنفقها الأسرة على الروابط والأندية ودور العبادة.

٩ - تبرعات خيرية : ويشتمل على التبرعات التى تقدمها الأسرة للفقراء والمحتاجين.

١٠ - هدايا : ويشتمل على ما تقدمه الأسرة من الهدايا بمناسبة الزواج أو أعياد الميلاد أو الولادة أو عند زيارة المرضى من الأصدقاء.

١١ - تعليم رسمى : ويشتمل هذا البند على ما يأتى : المصروفات المدرسية ، ثمن الكتب المدرسية والخارجية، نفقات الدروس الخاصة . . إلخ.

١٢ - تعليم غير رسمى : ويشتمل عل النقود التى تنفقها الأسرة لشراء الصحف والمجلات والكتب العلمية أو الثقافية أو الأدبية . . إلخ.

١٣ - محاكم : ويشتمل هذا البند على أجور المحامين، وكذل النقود التى تنفقها الأسرة فى المحاكم.

١٤ - علاج وأدوية : ويشتمل على أجور الأطباء والإقامة بالمستشفيات وكذلك ثمن الدواء.

١٥ - دفن الموتى : ويشتمل على النقود التى تنفقها الأسرة لإعداد القبور وكذلك النقود التى تدفعها للأشخاص الذين يقومون بدفن الموتى.

١٦ - المظهر الشخصى بالمهنة : ويشتمل على كل ما تنفقه الأسرة لشراء أدوات التجميل ، وكذلك كل ما تدفعه للحلاقين ومحلات التجميل.

١٧ - معدات خاصة بالمهنة : ويشتمل على ما تنفقه الأسرة على الآلات والأدوات الخاصة بمهن أفرادها . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : أجهزة الطبيب الذى يحتاج إليها فى عيادته الخاصة.

١٨ - التصوير : ويشتمل هذا البند على كل ما تنفقه الأسرة على التصوير فى المناسبات العامة أو الخاصة.

١٩ - معدات رياضية : ويشتمل على شراء المعدات الخاصة بالرياضة البدنية.

٢٠ - ضرائب : ويشتمل كل أنواع الضرائب التى تدفعها الأسرة، ماعدا ضريبة السكن والضريبة الخاصة بالسيارة.

٢١ - بريد

٢٢ - تبغ.

٢٣ - انتقالات ومواصلات.

٢٤ - سياحة ترفيهية.

٢٥ - سفر خاص بالعمل.

٢٦ - مصروفات أخرى : ويشتمل هذا البند على كل مالم يدرج ضمن البنود السابقة.

.. نعود إلى دراستنا فنؤكد أن العوالم الاقتصادية والاجتماعية قد تتسبب فى ظهور المشكلات الأسرية على نحو مؤثر وكبير، فمن الواضح أن عدم الاستقرار الاقتصادى صعوداً أو هبوطاً، كذلك الصعوبات الحياتية الأخرى، تترك بصماتها على نوعية وعمق التردى والتفسخ الذى قد يلحق بالأسرة فيقوض دعائمها الرئيسة، فالظروف الاقتصادية الصعبة كالعوز والحاجة وضيق ذات اليد، من العوامل التى تؤدى إلى تفكك الأسرة وتصدعها.

وفى هذا الصدد يؤكد «مكلويد» أن الأسرة الأقل حظاً من الناحية الاقتصادية أكثر استخداماً لأساليب القسوة والصرامة ، وأقل دعماً لأفرادها من تلك الأسر الأوفر حظّاً مالياً، ونتيجة لذلك قد يجنح الأبناء ، وتتكون لديهم مشاعر الاكتئاب.

وعلى الجانب الآخر، فإن البذخ ووفرة المال بغير حدود، يؤدى إلى تلك النتائج السيئة أيضاً، لأن وفرة المال فى أيدى الزوجين وأولادهما مدعاة للخروج على نطاق السوية النفسية والخلقية والاجتماعية، فالكثير من المشكلات التى تعمل على تصدع العلاقات الزوجية كان من أحد أسبابها كثرة المال والسفه فى الإنفاق.

ومن الأسباب الاقتصادية التى تؤدى إلى ظهور الخلافات الزوجية هو ما يتصل بالاستئثار بأوجه الإنفاق فى الأسرة، فالزوج يبغى أن يكون سيد الموقف، فيصبح دخل الأسرة ومصروفاتها من اختصاصه . ولذلك يتحتم على الزوجة أن تطلب منه ماتريده فيعطيها كل ما تطلبه أو يعطيها جانباً مما تطلبه، ولكن هذا الأمر قد لايرضى الزوجة، فهى ترى أنها الخليفة بالاستئثار بدفة الأمور المالية لأسرتها. وفى حالة اشتغال الزوجة، فإن النزاع يتبلور حول مدى ما يجب عليها أن تقدمه من راتبها ، لكى يُنفق منه على الأسرة ، فكثيرات من الزوجات يعتقدن أن رواتبهن ينبغى الحفاظ عليها لأنفسهن، فى مواجهة ما قد يحمله لهن المستقبل من مفاجآت غير متوقعة، ولكن هذا الوضع لا يرضاه معظم الأزواج، ومن هنا تدب النزاعات بينهم وبين زوجاتهم.

أما عن النواحى الاجتماعية التى قد تتسبب فى ظهور المشكلات الأسرية، فأهمها علاقة الأسرة بالجيران والأصدقاء ، فقد تكون تلك العلاقة قوية مع أحد الزوجين وضعيفة مع الطرف الآخر. فمثلاً يكون الزوج صديقا لبعض الجيران بينما الزوجة لا تبغى هذه الصداقة بل وتنفر منها، وقد تكون الزوجة

على علاقة حميمة مع إحدى الصديقات بينما الزوج لايقر هذه العلاقة ، فتنشأ نتيجة لذلك النزاعات، وقد أخذ كل منهما يتمسك باستقلال عواطفه عن عواطف الطرف الآخر خشية أن يتهم بضعف شخصيته، وبذا فإن الأسرة تتمزق وتفقد سويتها.

إدمان الزوج المخدرات أو الكحوليات من العوامل التى تمزق وحدة الأسرة وترابطها، فحياة المدمن داخل نطاق الأسرة تشكل مأساة مروعة للأطفال الصغار، فالزوج يفقد توازنه الفكرى ويختل تقديره فى الأداء، فيصبح عاجزاً عن تحمل المسؤوليات الشخصية فى ضعف من الإرادة لا يحسد عليها، علاوة على عدم تنبهه للفضائل والقيم التى من المفروض أن يغرسها فى أبنائه، وعلى الأبناء يقع البؤس والشقاء، فيعانون أبشع الآلام النفسية التى تعوقهم عن التقدم نحو النمو المتكامل ، وتؤثر بالسلب على صحتهم النفسية، فيصابون بأمراض الاضطراب النفسى، والانحراف فى السلوك، ويكون جزاء الزوجة التعذيب البدنى، والعجز المالى، والديون، ومن ثم الانفصال أو الطلاق، وبالتالى انهيار الأسرة.

القسم الثانى

النتائج المترتبة على الخلافات الزوجية

إعلان حقوق الطفل :

فى البداية ينبغى أن يعرف الآباء والأمهات نصوص إعلان حقوق الطفل قبل الإقدام على أية خطوة من شأنها أن تتنكر لهذه الحقوق.

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على «إعلان حقوق الطفل» Declaration of the Rights of child يوم ٢٠ من نوفمبر عام ١٩٥٩م من القرن المنصرم. وهذا الإعلان العالمى لحقوق الطفل يحدد لنا الحاجات الخاصة بالطفل والتى ينبغى القيام بتوفيرها له.

١ - يجب أن يكون للطفل اسم وجنسية. وبعبارة أخرى، يجب أن يكون الأطفال سواسية من ناحية المركز المدنى منذ ولادتهم بصرف النظر عن النظر عن طبيعة الصلة التى توجد بين الوالدين.

٢ - يجب أن يحظى الطفل بالحب والفهم فى البيت. كما يجب عدم فصل الطفل صغير السن عن أمه.

٣ - ومن الناحية الصحية، يجب أن نوفر للطفل وأمه، منذ بداية الحمل، الوقاية ضد المرض وفضلاً عن ذلك، فإنه يجب توفير العلاج للطفل المريض أولاً.

٤ - كذلك يعتبر الطعام المناسب والمأوى المناسب من الحاجات الأساسية للطفل. فالطفل يحتاج إلى الغذاء الذى يناسب احتياجاته الخاصة فى المراحل العمرية المختلفة. كما يجب توفير المسكن الذى يحميه من قسوة الجو.

٥ - وفضلاً عن ذلك، فإن التعليم يعتبر أيضاً من الحاجات الأساسية للطفل. وهو يحتاج بنوع خاص إلى ذلك النوع من التعليم الذى يساعده على تنمية خبراته وآرائه وقيمة الاجتماعية والأخلاقية لكى يقوم بدوره اللائق فى المجتمع عندما يبلغ سن الرشد.

٦ - كذلك يجب أن تتاح للطفل الفرصة للعب واللهو.

٧ - كما يحتاج الطفل أيضاً إلى الحماية من جانب المجتمع لكى يستمتع بالحقوق والحريات المخولة له بدون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو العقيدة أو اللغة أو الآراء أو الأصل أو المكانة الاجتماعية.

٨ - كذلك يحتاج الطفل إلى الحماية من العمل وهو فى سن مبكرة. كما أنه يحتاج أيضاً إلى حمايته من السخرة عندما يكبر ويصبح قادراً على العمل.

٩ - وهناك أيضاً الحاجات الخاصة بالأطفال الذين يعانون من عجز بدنى أو عقلى أو اجتماعى. فالأطفال اليتامى، مثلاً، يجب وضعهم تحت حماية المجتمع. كما يجب أن يجد الأطفال الآخرون من المعاقين الرعاية الخاصة والتدريب الذى يحتاجون إليه.

هذه هى مبادئ حقوق الطفل التى اقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، والتى تتضمن أهم احتياجات الطفل التى لابد من توفيرها له.

نعود الآن إلى استعراض النتائج التى تترتب على الخلافات الزوجية والتى نحاول بلورتها فى التالى :

التشاجر.. حدثاً مزعجاً :

فى دراسة مثيرة طلب الباحث «ياما موتو» ورفاقه إلى مجموعات من الأطفال - تتراوح أعمارهم بين التاسعة والحادية عشرة من الولايات المتحدة الأمريكية ومصر وكندا والفلبين واليابان واستراليا - تقدير ردود أفعالهم لعشرين حدثاً حياتياً، وتبين من هذه الدراسة أن الحدث الأكثر صعوبة - من وجهة نظر الأطفال - هو فقدان أحد الوالدين، كذلك اتفق الأطفال - ومن جميع الخلفيات الثقافية - على أن التشاجر بين الوالدين يشكل حدثاً مزعجاً جداً بالنسبة لهم.

أجنحة صغيرة تتكسر:

هناك حالة لطفلة تم عرضها لاختصاصى العلاج النفسى الدكتور علاء غنام: عندما رآها فى حجرة الكشف، وهى تقفز منشرحة أحس بأنها حمامة صغيرة تكاد تطير بجناحين صغيرين غير مرئيين، لكنها لسبب ما تبدو وعلى وشك التكسر، ربما لفرط رقتها أو هشاشتها.

طفلة «نحيلة» فى السابعة من عمرها، تفاقمت مشكلاتها مع دخولها المدرسة، فقد أخبرت الإخصائية الاجتماعية - قوية الملاحظة - الأب الذى يبدو هادئاً، أن طفلته لاتكاد تستقر فى مكانها، ولا تظهر تركيزاً، سواء فى اللعب مع أترابها أو فى الدروس، وهى كثيرة الحركة والتنقل مما يزعج زملاءها، وأحياناً تضحك دون داع.

قالت الأم التى أحضرتها للعيادة : ابنتنا تأخرت فى بدء الكلام ، وكانت ولادتها متعسرة. وكاد ذلك يقود إلى تشخيص آخر، لكن بمزيد من التقصى اعترفت الأم : لقد شهدت - مع الأسف - خلافاتنا الزوجية الشديدة والمستمرة - بينى وبين والدها - وكانت تبكى بعد كل شجار من شجارتنا بشدة، ثم صارت تتحرك كثيراً، وتصيبها نوبات من العناد غير المفهوم، وهى مازالت تتبول ليلاً فى فراشها للآن.

لم تظهر الاختبارات النفسية عن تخلف ما، وكان مستوى الذكاء عادياً، أما الفحوص العضوية فلم تظهر أى أسباب جسدية للسلس البولى الليلى.

وقالت الطفلة عندما سألها الدكتور علاء غنام سؤالاً محايداً عن علاقتها بأبويها. ماما كانت تضربنى بعنف لأننى أحب بابا.. قالت ذلك همساً فى أذنه وهى تقبله كأنها تعرفه منذ زمن طويل لمجرد أنه ابتسم لها !!

انخفاض مستوى التكيف:

وجد الباحثان «جويد » و«بالدى» أن النزاعات بين الوالدين ترتبط

بانخفاض مستوى التكيف خاصة لدى الأطفال الذكور، وأن تلك العلاقة الارتباطية تصبح أقوى مع تقدم عمر الأبناء. وقد علل هذان الباحثان تلك الظاهرة بأن النزاع بين الوالدين يدخل الأبناء فى صراع إقدام وإحجام ثنائى، يصبح فيه الاقتراب من أحد الوالدين مولداً لخطر المواجهة بالرفض من الآخر.

وقد أكد «بيترسون» و«زيل» أن الطفل الذى يحرم من إمكان الاختيار بين والديه هو طفل معرض للاضطراب.

الشعور بالتوتر:

وجد أن للخلافات بين الوالدين تأثيرات كبيرة على نمو الأبناء، ففى إحد الدراسات أكد «جتمان» و«كانز» أن الأطفال الذين يعيشون مع والدين يتشاجران، وعلاقتهما الزوجية غير مرضية، يشعرون بالتوتر ويكونون أقل قدرة على التعامل مع مشاعرهم.

انطواء وتأخر دراسى:

يؤكد الدكتور عزالدين الأشول أن تزايد الخلافات الأسرية يولد لدينا أبناءً مضطربين سلوكياً لافتقادهم المثل الأعلى ، ففى ظل الخلافات يفتقد الأبناء القدوة مما يؤثر على صحتهم النفسية، وقد يصاب الأبناء بالانطواء الذاتى، والاكتئاب. كما أن هذه الخلافات تؤثر فى المستوى الدراسى والتحصيلى للأبناء، وينتج عن ذلك أبناء متأخرون دراسياً.

تهور وضيق نفسى:

الجو الأسرى السلبى يقود الى مشكلات سلوكية لدى الأبناء ، فهم يصبحون أكثر تهوراً وعصياناً ، ويشعرون بمستويات عالية من الضيق النفسى. كما تبين من نتائج الدراسات أن الخلافات الزوجية فى مرحلة منا قبل المدرسة تترك تأثيرات طويلة المدى تستمر إلى مرحلة المراهقة ، حيث يكون الأبناء أقل

قدرة من غيرهم على بناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين وأقل قدرة على ممارسة الضبط الذاتى.

افتقاد الآباء للعقلانية:

هناك أدلة علمية وافرة تؤكد أن الخلافات الزوجية غالباً ماتقود إلى استخدام الوالدين العقاب البدنى، وعدم استخدام الأساليب العقلانية مما يؤثر سلباً على الأطفال.

وتشير نتائج الدراسات العلمية أيضاً إلى أن اتفاق الأب والأم على أساليب تنشئة الأبناء ينبثق عنه بيت أكثر تجانساً، وأبناء أكثر كفاية من النواحى العقلية والاجتماعية.

تطرُّف ورفض وفانتازيا:

المناخ العدائى بين الزوجين، أو فقدان الانسجام الأسرى، ينشط الجوانب السلبية فى الطفل فيرى العالم من زاوية عدائية أو على الأقل مريبة، كما يؤثر الجو الانفعالى الذى يعيش فيه على سوية عواطفه التى يعرب عنها بتطرف، إما فى اتجاه الإحجام والكتمان أو فى اتجاه الاندفاع غير المتوقع، وهى عادة ذات محتوى متناقض، ووجود الطفل فى مناخ التربص المعبر عنه بالنقد المتبادل بين الأبوين يعلمه كيف يدين الآخرين بلا سبب واضح، ولايرضى عن شئ يقدم له إذا يكون متأهباً دائماً للنقد والرفض. وعندما يفقد الإحساس بالأمن نتيجة اهتزاز السياج الحامى المتمثل فى وحدة الأبوين، يفقد الثقة فى نفسه ويلجأ للتعويض بأشكال مختلفة أقلها الغرق فى الفانتازيا (أي الخيال غير المنتج)، ومداها السلوكيات المعادية للمجتمع بألوانها القاتمة المختلفة، وجوهرها الاكتئابى المستتر أو الظاهر.

عدوان ونرجسية وجنوح:

لقد ثبت أن الشخصيات العدوانية نشأت فى بيئات متشاحنة لاتجد فيها

العطف والحب، ولاضابطاً لسلوكهم، ودائماً ما يشعرون بأنهم كانوا غير مرغوب فيهم من بيئتهم الأسرية، وبالتالى لم يعرفوا معنى التضحية والسمو بالأخلاق مما جعلهم ينحدرون إلى المثل هذا المستوى المتدنى الذى نراه فى سلوكهم من ميول عدوانية، وضعف الضمير، والشعور بالنرجسية Nar-cissism(والتى تعنى العشق المفرط للذات، وقد سميت هذه النزعة نسبة إلى شخصية «نرجس» أو «نرسيس» فى الأسطورة الإغريقية القديمة)، كذلك فقدان القردة على التكيف الناجح، واتخاذ المواقف العدوانية، والميل إلى استغلال الآخرين وإلحاق الضرر بهم، لأنهم قد حدث تعطل فى نموهم الانفعالى، وبالتالى الفشل فى إقامة علاقات اجتماعية سوية.

وتؤيد الأبحاث الفكرية القائلة بأن الآباء العدوانيين لهم أبناء عدوانيون، وأن الأطفال الجانحين فى القسوة غالباً ما يأتون من عائلات تميل إلى القسوة.

.. وبهذا وعلى الضوء نتائج البحوث العلمية المتصلة بالعلاقات الزوجية يتضح أن أساليب العنف المتبادلة بين الزوجين والتى تتخللها المشاجرات والصراعات تقوض صرح الأسرة وتهدد كيانها البنائى، فتصيبها بالتفكك والانفصام، ومن ثم الانفصال أو الطلاق كنتيجة حتمية لمثل هذه التجاوزات.

القسم الثالث

طفل ما بعد الطلاق

قرار الطلاق:

إن استمرار الزواج وسط كم من المشكلات يدفع ثمنه الأبناء، ولذلك فإن كل طفل يجئ إلى الحياة يأتى معه حقه فى كل الحب والاهتمام ، لكن شعور الأبناء الدائم بالتهديد انهيار الأسرة من قبل أبويه يطحن عظامه، ويقلل من ثقته فى ذاته، وإذا استمر الزوجان وسط هذا الجو المشحون بالخلافات، فيجب أن تكون لديهما القدرة الكافية على التحمل دون أن نحمل الأبناء ذنب التضحية.

أما عندما تكون كل السبل مسدودة فى وجه كل من الزوجين، وعندما تصبح الحياة بينهما مسألة مستحيلة، وعندما تهجم أمواج الفشل على سفينة الزواج، ويصبح الفرق أمراً مؤكداً ، عندها يفكر الزوجان فى اتخاذ قرار الطلاق.

والطلاق يعتبر مشكلة اجتماعية نفسية، كما أنه «أبغض الحلال» لما يترتب عليه من آثار سلبية فى تفكك الأسرة، وازدياد العدواة والبغضاء والآثار السلبية على الأطفال، ومن ثم الآثار الاجتماعية والنفسية العديدة، بدءاً من الاضطرابات النفسية إلى السلوك المنحرف.

والطلاق ليس هو الحل الوحيد لإنقاذ الأطفال من البيوت التى تظهر فيها الخلافات فالطفل يقلق وينزعج عندما ينفصل الوالدان، كما أنه يعلم علم اليقين أنه يحب الأب والأم بالتساوى، ويحتاج إليهما أيضاً بالتساوى، والطفل يحتج على أى خلاف بين الوالدين يؤدى إلى الانفصال.

وهكذا ينتهى تسرع الوالدين بالطلاق دون النظر إلى مستقبل أطفالهما، بأسوأ النتائج على الصغار، سيما إذا وجد الصغير نفسه معرضاً فجأة لمعاملة شائكة من قبل زوج أمه القاسى، أو زوجة أبية الخالية من حنان الأمومة وعطفها.

لذلك نؤكد على أن الإنسان يتغير ، وأن ملامح شخصيته، وبعض صفاته يمكن لها أن تتعدل إذا وجدت الظروف الملائمة، وإذا أعطيت الوقت اللازم للتوجيه المفيد. ولذلك فإنه يمكن قبل التفكير فى اتخاذ القرار بالطلاق والانفصال، أن يحاول كل من الزوجين تفهم الطرف الآخر، وحاجاته، وأساليبه، وأن يسعى إلى مساعدته على التغير.

خطورة الطلاق :

الدكتورة سناء الخولى تؤكد أنه إذا كان الطلاق حلاً للمشكلات، من وجهة نظر الزوجين، فهو سبب كل المشكلات من وجهة نظر الأبناء، والحقيقة أن الطلاق مولد للضغوط النفسية لدى كل من الآباء والأبناء ، وهو كذلك عملية إعادة تنظيم للحياة الأسرية، وبالتالى فهو يقود إلى ضغوط إضافية متنوعة قد تشمل الضغوط المالية، والتعايش مع جيران جدد، والالتحاق بمدارس جديدة، وغير ذلك. وبالنسبة للضغوط النفسية الناجمة عن الطلاق على مستوى الأبناء، فهى تشمل الحزن، والخوف، والقلق، والاكتئاب، والإحساس بالذنب.

وقد بينت الدراسات أن الطلاق يرتبط بمشكلات أكاديمية ، وسلوكية وجسمية لدى الأبناء، وتبين الدراسات كذلك قوة شعورة الأبناء بحاجتهم إلى آبائهم، وفى هذا الصدد يشير البعض إلى أن أكثر العوامل الخارجية أهمية فى تشجيع أو تثبيط المراهق فى إنجاز المهام النمائية لمرحلة المراهقة هما الوالدين.

موقف الطفل من الطلاق :

الطفل يعرف أن شيئاً فى العالم لا يمكنه أن يعوضه حنان وحب الأب، أو حنان وحب الأم، وهذه هى القاعدة الأساسية التى يجب أن يقيس بها الأمور كل زوج منفصل ، أو كل زوجة منفصلة.

إن مؤسسات توجيه الأطفال والعيادات النفسية، تؤكد على أن الطفل الذى يفقد حب الأب فعلاً، يعانى من القلق النفسى والتوتر، وهكذا الأمر بالنسبة للطفل عندما يفقد حب الأم إن بعض الآباء والأمهات يفقدون القدرة فعلاً على منح الحب للأبناء، وقد يتصورون أن الهدايا يمكن أن تحل محل الحب، والطفل يحتقر من أعماقه هذا الأمر حين تكون الهدايا بديلاً عن حب الأب أو الأم، والبعض يظن أن الهدية هى اعتذار عن ذنب وقع فى حق الطفل، ولكن هذا الاعتذار لايقبله الطفل.

ويجب أن نعلم أنه بعد الطلاق ستكون هناك قطيعة نفسية، تحدث بين الطفل وبين الأب الذى خرج من المنزل، أو بين الأم التى غادرت المنزل، إن هذه القطيعة النفسية نتطلب أن يتجاوزها الأب والابن معاً. إن الأبن يطلب أن يجدد معرفته بالأب، ونفس الأمر ينطبق على الأم أيضاً، وهذه القطيعة النفسية تحتاج إلى وقت حتى يلتئم الجرح.

رعاية الطفل بعد الطلاق:

الطفل يرغب فى أن يكون عالمه الخاص به متماسكاً ، لاتمزق فيه ولاتصدع، ولكن بما أن الوالدين قد اتفقا على استحالة الحياة معاً، فلابد أن نوفر للطفل كل الظروف التى تساعده على استمرار إيمانه بالأب والأم على السواء، إن هذا يجعله قوياً يتحمل صدمة الطلاق.

وليعرف الطفل أيضاً ، وبكل يقين، أن والديه لن يتخليا عنه، كل الذى سيحدث ، هو أن أحدهما سيعيش بعيداً عن الآخر، وأن كلاً منهما سيحمل له من الحب، مقدار ما كان يحمله له من قبل، وأن الأب الذى سيخرج من البيت، سيرى الابن فى أوقات مختلفة، ليست متباعدة، كما أن الأم التى خرجت من المنزل ستلتقى به فى مرات ليست متباعدة أيضاً.

لنعلم جيداً أن الطفل مكون من جزءين ، جزء من أبيه، وجزء من أمه، وهو نفسياً وجسدياً نبت من أرضهما، وكلاهما يتمتع عنده بمكانة المثل الأعلى. فإذا حاول أحد أن يقنع الطفل، أن أباه مليئ بالعيوب ، فلابد من أن الطفل سيقتنع أيضاً بأنه شخصياً يحمل هذه العيوب والنقائض ، لأن الولد مثل أبيه، وكما تكون أخلاق وصفات الوالد تكون صفات وأخلاق الابن كذلك، هذا ما يعرفه الابن تماماً.

وإذا حاول أحد أن يقنع الطفل بأن والدته سيئة، وهى الإنسانة التى تعنى بالنسبة له الحنان، والرعاية، فسوف يفقد الإيمان بنفسه، وبها، وبكل امرأة بعد ذلك، وهذا ما أكدته التجارب فى مجال توجيه الأطفال.

إن الاتهامات المتبادلة، عندما تقال للطفل، فهى تؤذيه، وتحطم المثل الأعلى الذى يعيشه، وتجعله يكره الحياة نفسها، ويحتقر نفسه ، لأن أسرته بهذه الصورة. وليس لدى الطفل أية قدرة على فهم الأسباب الخاصة الخفية التى رسمت هذا الجو الخانق من الخلافات العائلية، وكل مايمكن أن يتبقى فى نفس الطفل، هو الكراهية لنفسه ولوالديه ، ويتعذب كذلك، لأنه يحبهما فى الوقت نفسه، ويفقد الإحساس بالاطمئنان، ويشعر أن الكارثة التى سيواجهها، سببها الحقيقى أن الكبار فقدوا القدرة على إدارة حياتهم بنجاح.

وأخيراً. . ، فإن فكرة الابن عن أبيه، هى نفسها الفكرة التى يكونها عن نفسه، وفكرة الطفل عن أمه هى نفسها التى سينظر بها إلى زوجته فى المستقبل، وفكرة الابنة عن أبيها هى نفسها الفكرة التى ستحاول أن تكون عليها فى المستقبل. ولهذا يجب ألا يقف الطلاق حاجزاً فى تكوين أحاسيس الحب فى قلوب الأبناء لآبائهم وأمهاتهم.

العلائلات الربيبة# :

منذ حقب طويلة، شاع صيت سيئ عن أزواج الأمهات وزوجات الآباء ، لعل التراث الأدبى نقل لنا العديد من بعض القصص الخرافية عن تلك العلاقة السيئة، فها هى «سندريلا» الفتاة الرقيقة التى عانت العذاب والقسوة على يدى زوجة أبيها الشريرة. . وغيرها.

فهل تقدم هذه القصص صورة دقيقة عن تلك العائلات التى يعيش فيها الأطفال مع زوجة الأب أو زوج الأم؟ وهل أزواج الأمهات أو زوجات الآباء هم حقاً سيئون إلى هذه الدرجة؟، لاينبغى الإجابة بنعم، أو كلا، ولكن نقول مبدئياً : إن الأطفال يواجهون بعض المشكلات الصعبة.

تحديدات جمة :

فى الزواج الأول غالباً مانجد أن هناك عدم انسجام وتفاهم مع الزوج أو الزوجة، باعتباره مصدر المتاعب ، كذلك أيضاً فى العائلات الربيبة، حيث تكون تربية الأطفال هى المصدر الرئيسى للصعوبات التى تواجهها تلك الأسر. فبالنسبة إلى الوالد الجديد، فإن كسب محبة واحترام الطفل الذى لاتربطه به رابطة طبيعية - والذى يعتبر دخيلاً - غالباً ما تكون المهمة عسيرة للغاية.

قد لايدرك المتزوجون حديثاً أن هؤلاء الأطفال إنما يعانون من اضطرابات عاطفية، وانقسامات فى الولاء، مع خليط من مشاعر الغيرة والاستياء.

لقد حاول أحد الأطفال أن يوضح سبب علاقته الجيدة بوالده الطبيعى حينما قال لوالدته : أعرف جيداً أن أبى أساء معاملتك، لكنه كان حنوناً وطيباً معى. عبارة كهذه - مع أنها صادقة جداً - يمكن أن تجعل الأم تشعر بالضيق تجاه والد هذا الطفل، الذى انفصلت عنه بالطلاق.

العائلات الربيبة أو العائلات الخليطة، ونقصد بها تلك العائلات التي يعيش بكنفها الطفل بعد حدوث الطلاق مع زوج الأم، أو زوجة الأب.

وثمة زوج أم اعترف قائلاً : لم أكن مستعداً حقاً لمعالجة كل المشكلات المتعلقة بتربية أولاد زوجتى. . وضعت نفسى فى ذلك الموضع ظناً منى أنه بما أننى تزوجت والدتهم، فقد صرت أباهم !! بدا الأمر بهذه البساطة !! لكننى لم أفهم مدى تعلق الأطفال بوالدهم الطبيعى . . لذلك اقترفت الكثير من الأخطاء!!

من الممكن أن ينشأ التوتر، وخصوصاً فى مسألة التأديب، فالأطفال - كل الأطفال - يحتاجون إلى التأديب الحسى، لكنهم غالباً ما يأبون أن ينصاعوا له، حتى عندما يكون من والد طبيعى !! فكيف به إذا كان هذا التأديب من زوج الأم. وعندما يواجه طفل الزوجة تأديباً كهذا نراه يقول : أنت لست والدى حقاً !!، وكم يمكن أن تكون كلمات كهذه محبطة للغاية بالنسبة لزوج أم حسن النية!!

فهل يمكن تربية أطفال فى عائلات ربيبة أو خلطية بشئ من النجاح؟ ، وهل يمكن أن يلعب زوج الأم (أو زوجة الأب) دوراً إيجابياً فى بناء عائلة ربيبة ناجحة؟ ، الإجابة عن كلا السؤلين هى : نعم، بشرط أن يتبع زوج الأم (أو زوج الأب) بعض الإرشادات المهمة فى هذا المجال.

المحبة تحقق المستحيل :

لا أحد يحل محل الوالد الطبيعى، أبداً، قد يبدو هذا حقيقياً، وهذا ما أظهرته نتائج بحوث «إليزابيث أينشتاين»، وحتى الوالد المتوفى أو الذى تخلى عن الأطفال تبقى له مكانة مهمة فى حياتهم. لكن مع ذلك يمكننا القول أن الصفة الأساسية لتكوين أى عائلة ناجحة هى صفة «المحبة»، «فالمحبة» الأصيلة تساعد على تجاوز الاختلافات ، وتوحد بين أناس تختلف شخصياتهم وتتغاير أساليب تربيتهم. وهى تساعد أيضاً على إبطال التأثيرات السلبية لوفاة أو طلاق الوالد الطبيعى.

وثمة رجل صار زوجاً لأم ، وصف مايعانيه من مشكلات حقيقية بقوله : غالباً ما كنت أفرط فى الاهتمام بمشاعرى الخاصة مما جعلنى أهمل عواطف أطفال زوجتى، وحتى زوجتى، كان على أن أتعلم ألا أكون حساساً كثيراً، والأهم، كان على أن أتعلم أن أكون على الدوام متواضعاً. لقد ساعدت «المحبة» على إحداث التغييرات المطلوبة واللازمة.

إذاً يمكن أن تساعد «المحبة» على معالجة علاقة الأطفال بوالدهم الطبيعى الغائب، يقول زوج إحدى الأمهات. . أردت أن أكون أكثر من يحبه أطفال زوجتى. وعندما كانوا يذهبون لزيارة والدهم الطبيعى، كانت أستصعب مقاومة إغراء انتقاده. وعندما يعودون - بعد قضاء يوم ممتع معه - ينتابنى شعور رهيب. وعندما يقضون يوماً سيئاً، يغمرنى فرح غامر. فقد كنت فى الحقيقة أخشى أن أخسر محبتهم، وأحد أصعب الأمور كان أن أدرك وأقبل مدى أهمية دور الوالد الطبيعى فى حياة أولاد زوجتى.

ساعدت «المحبة» الحقيقية هذا الزوج على مواجهة الواقع، لأنه لم يكن من الطبيعى أن يتوقع «محبة فورية»، وما كان ينبغى أن يشعر بأنه مرفوض عند مالم يقبله أطفال زوجته على الفور . لكنه أدرك فى النهاية ، أنه ربما لن يحتل - كاملاً - المكان الذى يحتله الوالد الطبيعى فى قلب الأطفال. فقد عرف الأطفال ذلك الرجل منذ تفتحت أعينهم على الحياة، فى حين أن زوج أمهم كان دخيلاً ، ويجب أن يعمل هذا الرجل جاهداً ليحصل على حب الأطفال كما ينبغى.

من يقوم بالتأديب فى العائلات الربيبة؟

فى العائلات الربيبة يمكن النظر إلى التأديب على أنه قد يؤدى إلى تصدعات خطيرة فى صرح العلاقات الأسرية، فأطفال الزوج أو الزوجة تأثروا إلى حد ما براشد صار غائباً. وعلى الأرجح أنه لديهم عادات وتقاليد

وسلوكيات قد تغضب زوج الأم أو زوجة الأب. ومن المرجح أيضاً أنهم لايفهمون على وجه الدقة لماذا ينزعج زوج الأم أو زوجة الأب كثيراً من بعض السلوكيات أو التصرفات التى يأتون بها. كيف يمكن أن تعالج مثل هذه المسائل بنجاح فى تلك العائلات؟؟

بلاشك فإن «المحبة» تساعد كل من زوج الأم وزوجة الأب بأن يكونا - قدر المستطاع - لطيفين، وودوين، وصبورين، بينما يتعلما أن يفهما كل واحد منهم الآخر. أما إذا كان زوج الأب عديم الصبر، غضوب، ساخط، فإن هذا من شأنه أن يدمر - بكل سهولة - أى علاقة طيبة تكون قد تكونت.

قدمت البروفسيرة «آنالويزدى ماتوس» التعليق التالى المثير للاهتمام. ليس نوع العائلة هو المهم، بل نوعية العلاقة. وفى دراساتى لاحظت أن الأحداث لديهم مشكلات فى السلوك يكون غالباً عائلات ليس فيها إشراف قوى من الوالدين، كما أن قوانينها قليلة، والاتصال فيها ضعيف. وقالت أيضاً: ينبغى التشديد بقوة على أن تربية الأطفال تشمل ضرورة قول كلمة «لا».

وإضافة لذلك ذكر الدكتوران إميلى وجون فيشر: حيث المبدأ، يعمل التأديب علمه فقط عندما يكون الشخص الذى ينال التأديب مهتماً بردود فعل الشخص الذى يقوم أو يقدم التأديب وبالعلاقة معه.

ولنتساءل: من يقوم بالتأديب ضمن العائلة الربيبة؟؟، ومن الذى ينبغى أن يقول: «لا»؟ الباحثة «جوى كانلى» تقول: أزواج الأمهات، وزوجات الآباء يكونون فى وضع أفضل لتقويم سلوك الأطفال بعد أن يبنوا علاقة جيدة بهم. وفى غضون ذلك، قد يكون من الأفضل أن يتولى الأب أو الأم الطبيعى التأديب اللازم. ومن ناحية أخرى يمكن لزوج الأم أو زوجة الأب أن يمنحوا الاطفال الشعور بالاستقرار بدعم الروتين الذى طالما تمتعوا به كالسير لمسافات

معينة أو اللعب معاً وهكذا. ولكن يجب ألا يستعمل زوج الأم أو زوجة الأب أوقات تناول الطعام لتوبيخ الأطفال. نعم، ينبغى أن يكون الوالد أو الوالدة الطبيعى هو المؤدب الرئيس ليفسح فى المجال أمام رفيق زواجه لبناء علاقة أوثق بالأطفال ، إذاً فلندع الأطفال يتعلموا أن يثقوا بمحبة زوج الأم أو زوجة الأب لهم قبل أن ينالوا التأديب منه أو منها.

ثمة زوج أم يقول : تذكرت أن التأديب يشمل النصح، والتقويم، والتوبيخ. وغالباً ما ينجح هذا التأديب عندما يقدم بطريقة عادية، محبة، ورءوفة، وعندما يدعمه المثال الأبوى.

حديث الصراحة:

لاحظت إحدى الباحثات الاجتماعيات أن الأطفال يميلون دائماً إلى اختيار الحدود التى يرسمها الآباء لهم. وهذه الملاحظة جديرة بالاهتمام ، وخصوصاً فى العائلات الربيبة، وعلى هذا فلابد للوالدين أن يتوصلا إلى اتفاق مسبق فيما يتعلق بتلك الأمور المهمة والحيوية التى تخص الأطفال حتى يتيقنوا من أن والديهم متحدون. هذا . . وقد يحدث أن يتصرف زوج الأم أو زوجة الأب بطرق تجعل الوالدة أو الوالد الطبيعى يشعر بأنها طرق غير عادلة، الأمر يمكن تلافيه ببساطة وسهولة وذلك بمعالجة الأمر على انفراد دون وجود الأطفال.

ونؤكد أنه فى العائلات الربيبة تكون المحادثات الخصوصية التى تتسم بالهدوء والصراحة بين الوالدين أمراً حيوياً بحيث يجدا الوقت والمكان الملائمان للحديث، هذا الحديث الذى لابد أن ينبع من القلب بحيث يعبر عن أى امتعاض أو أية مشاعر كامنة. على أن يكون واضحاً منذ البداية أخذ مشاعر الآخر بعين الاعتبار. والأمر الذى نراه مهماً جداً هو أن يكون الحديث

هو للتعبير عن المشاعر لا لإلقاء الاتهامات، أى ينبغى أن يكون هدف الحديث متمحوراً فى الوصول إلى حلول مناسبة وليس لتحديد من هو «المذنب» ومن هو «البرئ».

ومع هذا كله نتوقع أن ترتكب بعض الأخطاء، وأن الأطفال سوف يقولون أن يفعلون أشياء من شأنها أن تؤلم، والضغوط النفسية والعصبية التى ستسببها تلك اللحظة سوف تدفع زوج الأم أو زوجة الأب إلى التصرف بعدم روية وتعقل، لكن كلمات بسيطة على غرار «أنا آسف» ،«دعنى أعتذر»، «التمس لى العذر». . يمكن أن تفعل أشياء كثيرة جداً فى شفاء الجروح.

التحلى بالحكمة:

الحكمة هى التطبيق العملى للمعرفة، ومعرفة الظروف الخاصة التى ترتبط بالعائلات الربيبة تتطلب من زوج الأم أو زوجة الأب الاهتمام بتلك المعرفة عبر تعاملاتها مع الأطفال، على سبيل المثال : وجدت دراسة حديثة لعائلات ربيبة أنه غالباً ما يكون من الصعب أن ينسجم زوج الأم مع ابنة الزوجة، ويعبر عن ذلك أحد الباحثين بهذه الطريقة : أزواج الأمهات يحاولون الاتصال والبنات ينفرن، أزواج الأمهات يحاولون ممارسة شئ من التأديب والفتيات يقاومن. . يبدو أنه ما من شئ يمكن لزوج الأم أن يفعله بنجاح مع الفتيات، فى مرحلة باكرة. . لذلك يلزم الكثير من الصبر والتعاطف.

وبينما تقدر الفتاة المدح الشفهى من زوج أمها، فغالباً ما تشعر بعدم الارتياح من الايماءات الجسدية كالمعانقة والتقبيل، ولذا يجب أن يشدد فقط على المدح والثناء الشفهيين دون الاظهار الجسدى للعاطفة، بالطبع، ينبغى أن تتذكر زوجات الآباء أن الأولاد (الصبيان) لديهم حدود أيضاً، لذا ينبغى أن يكن حذرات فى حفظ حدود لائقة مع أولاد أزواجهن.

تظهر الحكمة العملية أيضاً فى الاحتراز من الغيرة، إذ تظهر الأبحاث أن بنات كثيرات يملن إلى الشعور بأن زوجة الأب هى منافسة، وزوجة الأب التى تدرك مسبقاً مشاعر الفتاة وتتعاطف معها قد تمنع بذلك - على نحو حكيم - التنافس غير الضرورى لجذب الانتباه. ويمكن فى هذا الصدد أن يفعل الأب الكثير للتخفيف من حدة هذا التوتر إذ يؤكد فى كل حين لابنته بأنها مصدر فخره ومحبته وتقديره. هذا.. وينبه الباحثون إلى أن زوجات الآباء غالباً مايبذلن جهداً أكثر وأسرع مما ينبغى لكى يقبلن كأمهات بديلات، وهذا يلزمه تذرع بالصبر والحكمة.

والحكمة تتطلب أيضاً أن يتجنب أزواج الأمهات وزوجات الآباء أى نوع من التحيز إلى أولاده أو أولادها الحقيقيين، مهما كان ذلك يشكل صعوبة فى أحايين كثيرة.

إن بناء علاقة حميمة فى العائلة الربيبة يستغرق وقتاً طويلاً بلاشك، لذا يجب أن يظهر زوج الأم أو زوج الأب التقمص العاطفى، بحيث يكونا متفهمين، مستعدين أن يقضيا الوقت مع الأطفال، أن يلعبا مع الصغار، أن يكونا على استعداد للتحدث إلى الأكبر سناً، ليبحثوا عن الفرص لقضاء الوقت الممتع معاً، مثلاً يمكن أن يدعوا الأطفال إلى مساعدتهما فى الأعمال المنزلية كتحضير الطعام أو غسل السيارة، أو أن يدعواهم للذهاب معهما للتسوق، فهذه كلها تعزز نجاح العائلات الربيبة.

النجاح ممكن:

الأطفال الذين يعيشون فى العائلات الربيبة قد ينجحون وقد يفشلون فى كل الصفات السلوكية كالأطفال الذين يعيشون مع عائلات طبيعية، هذا هو الاستنتاج الذى توصل إليه الباحثان «بول بوهانان» و«روزمارى إريكسون» فى دراسة شملت (١٩٠) عائلة، كان (١٠٦) منها عائلات ربيبة. وقد وجد

الباحثان أنه لا أحد من الضغوط المرتبطة بالعائلة الربيبة يبدو أنه يؤثر فى الصحة العقلية للأطفال ، أو فى فرصهم فى التكيف الاجتماعى المانح للاكتفاء.

وكشفت دراسة أجريت لتحديد مدى الإجهاد الذى يشعر به المراهقون فى العائلات الربيبة، أنه فى تسع من إحدى عشر فئة تصف حالات الإجهاد الناتج عن العيش فى عائلة ربيبة، كان عدد الذين أجابوا (لا أشعر بالاجهاد) أكثر من الذين أجابوا (أشعر بالاجهاد)، شملت الدراسة هذه (١٠٣) مراهقاً يعيشون فى عائلات ربيبة . ولقد استنتجت الدراسة ، أنه حتى فى المجالات الحساسة هنالك عائلات تتعامل مع هذه القضايا كالتأديب، والتوقعات غير الواعية، بطريقة غير مجهدة نسبياً، وقد انطبق هذا خصوصاً على العائلات الربيبة التى مضى أكثر من عامين على تأسيسها.

يمكن إذا أن تنجح العائلات الربيبة، فالكثير منها ناجح ، وأغلب العائلات الناجحة من العائلات التى تنمى فيها جميع المشمولين، وخصوصاً الوالدين، المواقف الصائبة والتوقعات الواقعية.

القسم الرابع

مقترحات للحيلولة دون تفاقم المشكلات الزوجية

* لايجوز أن تبدأ الحياة الزوجية بكم كبير من التجاوزات، وضرورة التقارب فى معظم المواصفات لكلا الزوجين. فهناك بعض الاختلافات لايجوز التغاضى عنها، لاسيما الفروق السنية الكبيرة بين الزوج والزوجة، فهذا الاختلاف من شأنه خلق عديد من المشكلات.

* إشباع الحاجات العاطفية لكلا الزوجين أمر مهم للغاية، ونحن لا نقصد بالعاطفية مجرد كلمات مثل: «الحب» و«الغرام»، ولكن نعنى «الود» و«الرحمة». الاحتياج العاطفى هو نوع من الشوق، والاحتياج، إذا ما أشبع حقق سعادة جمة، وسلاماً وطمأنينة، وإذا لم يشبع فسيترك شعوراً بالتعاسة والإحباط. وإذا أحصينا الاحتياجات العاطفية فلسوف نجدها - ربما - آلاف، تتراوح ما بين حفل ندعو فيه الأصدقاء إلى وجبة بسيطة من صنع الزوجة، أو قد يكون مشاركة الزوج والزوجة معاً لمشاهدة برنامج تلفزيونى مفضل، بالطبع تختلف هذه الاحتياجات وتلك طبقاً لمفهوم كل من الزوجين، ثقافتهما، وعيهما، انتمائهما، تحديداً تطلعاتهما، إمكاناتهما، توجهاتهما، بشكل محدد هناك احتياجات تشكل تلك البنية الأساس اللازمة لبعث الدفء فى أوصال عش الزوجية. يقول البعض من الأزواج والزوجات:

إن أهم الاحتياجات العاطفية تتمثل فى:

* الإعجاب والتقدير

* الحنان

* الحوار مع الطرف الآخر.

* المساعدة فى المنزل (المشاركة فى هموم البيت والأطفال مثلاً).

* التعهد العائلى بالمسؤولية الكاملة للأسرة.

* الدعم المادى.

* النزاهة والصراحة.

* الجاذبية.

* المشاركة فى النشاطات الترفيهية.

* الإشباع الجسدى.

قد يحاول كل منهما القيام بواجباته العاطفية التى ذكرناها، لكن تلك الجهود غالباً ما كانت غير موجهة، أو فى الاتجاه العكسى، فالذى توده الزوجة أكثر لايوليه الزوج أى اهتمام وهكذا ، بالطبع كل إنسان مختلف ومتفرد وله خصوصياته، من هنا ندعو كلاً من الزوجين إلى نسيان «الدور النمطى» لكل منهما فى المجتمع، ويحاولان - قدر الإمكان - تحديد أولوياتهما كما يودان بالفعل - كأناس عاديين - لا كرجل وامرأة. وهنا قد نصل إلى مايريده الرجل من زوجته فعلاً وما تريده المرأة من زوجها حقاً.

* عدم إشراك الآخرين فى المشكلات الزوجية، لأن تدخل الأهل قد يزيد من حدتها، مع ضرورة الاحترام المتبادل بين الزوجين، فالزواج ليس معركة إنما «مودة ورحمة». وإذا علمنا أن الشخصية السوية نتاج الأسرة الهادئة، وأن الخلافات الزوجية تؤثر بشكل سلبى على الأبناء، وفى الزوجين، لحاولنا بقدر من التربوى والتفاهم الوصول بالأسرة إلى الهدوء، لأن استمرار الخلاف، من شأنه أن يجعل الأبناء فى حالة دائمة من التوتر، والقلق، الأمر الذى نعتبره ضد التنشئة الاجتماعية السليمة ، وقد يؤدى إلى آثار نفسية مرضية.

* عندما يبدأ كلا الزوجين فى تبادل الاتهامات، ومحاولة اعتبار الطرف الآخر مخادعاً، وعندما يستحيل على الاثنين تسوية الخلافات بالتفاهم، فلابد أنهما يحتاجان إلى مستشار يفصل بينهما فى هذا الخلاف. ولابد من أن يختار إنساناً متخصصاً، يعرضان عليه هذه المشكلات بمنتهى الوضوح والصراحة. ومن المؤكد أن الأطباء النفسيين، وخبراء شؤون الأسرة، لديهم اكتشافات مثيرة عن العوامل النفسية التى تحفر قبر الزواج، لتحوله إلى

الطلاق، بعض هذه العوامل قد يكون سطحياً، ولكن هناك كثيراً منها مستتر فى أعماق اللاشعور، وبالرغم من ضرورة استشارة الإخصائى النفسى، لكننا لانريد أن يظن أحد ، أن هذا حل حاسم، أو أن المشكلة ستجد الحل المؤكد على يديه ، بل لابد من توافر رغبة أكيدة عند الزوجين، لحل هذه المشكلات لأن هذه الرغبة هى الطريق الوحيد، الذى يمكن أن يصلا به إلى التفاهم والانسجام فى وقت قصير.

الباب الثانى

الطفل
والاتجاهات الوالدية

الفصل الأول

اتجاه التدليل

القسم الأول

أسباب ومظاهر التدليل
فى معاملة الأطفال

مقدمـــة

بادئ ذى بدء نود أن نقدم تعريفاً مختصراً لمصطلح الاتجاه Attitude ، فالاتجاه يعتبر دافعاً مكتسباً يتضح فى استعداد وجدانى له درجة ما من الثبات يحدد شعور الفرد ويلون سلوكه بالنسبة لموضوعات معينة من حيث تفضيلها أم عدم تفضيلها، فإذا بالفرد يحبها ويميل إليها إن كان اتجاهه نحوها إيجابياً، أو يكرهها وينفر منها إن كان اتجاهه نحوها سلبياً.

أما موضوع الاتجاه فقد يكون شخصاً معيناً (صديقاً ما أو عدواً ما) ، أو جماعة ما، أو شعباً ما، أو مدينة ما ، أو مادة علمية ما، أو مذهباً أيديولوجياً ما، أو فكرة ما (كالاتجاه نحو عمل المرأة)، أو مشروع ما (كمشروع تنظيم الأسرة). . وهكذا تتعدد موضوعات الاتجاه وتتنوع.

كما أن الاتجاه يعبر عن ميل أو استعداد متعلم من جانب الفرد لكى يسلك بطريقة ثابتة منتظمة نحو الأشياء والقضايا والموضوعات المختلفة،ليس كما هى عليه فى الواقع، ولكن كما يدركها الفرد، ومن ثم يصبح له موقف معين منه، ويؤثر هذا الميل أو الاستعداد الذاتى على مشاعر الفرد ووجدانه وسلوكياته المرتبطة بموضوع الاتجاه.

والاتجاهات الوالدية Parental Attitudes والتى نحن بصدد دراستها والحديث عنها فهى تعبر عن مواقف الآباء إزاء الأبناء فى مواقف حياتهم المهمة والمتنوعة، وذلك باعتبارهم أطراف عملية تفاعل اجتماعى دائب، وتعكس تلك المواقف اتجاهات الآباء نحو أبنائهم ممثلة مشاعرهم الخاصة نحوهم، سواء أكانت شعورية أو لاشعورية، كما تعكس الاتجاهات الوالدية نوع وطبيعة خبرات الطفولة، ونوع وطبيعة القيم الخاصة للآباء كما تمثلها أساليبهم التربوية فى عملية التنشئة الاجتماعية socialization ومواقفها التى لاتحصى.

وعلى هذا النحو فهناك اتجاهات إيجابية وسلبية تتبعها الأسرة فى تربية

أطفالها، لعلنا سوف نوضح فى هذا الباب أهم تلك الاتجاهات الوالدية السلبية كالتدليل، وفرط الحماية، والنبذ، والقسوة، والتساهل، والعقاب البدنى، والتذبذب. . . إلخ، لنحاول التعرف على حقيقة هذه الاتجاهات، ودوافعها الجوهرية، والآثار السلبية المترتبة عليها، ووضع بعض التصورات للقضاء على هذه الاتجاهات ما أمكن، كى تستقيم عملية التربية أو التنشئة السوية لأطفالنا وشبابنا على حد سواء.

ماهية التدليل:

اتجاه التدليل Attitude of Fondling يتمثل فى تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته الملحة وغير الملحة فى التوِّ واللحظة دون تأجيل أو إبطاء. وقد يتضمن التدليل تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك قد نعتبرها معيبة، أو خارجة عن المألوف، أو من الأساليب السلوكية غير المرغوب فيها اجتماعياً، وقد يتضمن أيضاً دفاع الأب أو الأم عن هذه الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضد أى توجيه أو نقد يصدر إلى الطفل من الخارج.

والحقيقة فإن التدليل هو خطأ جسيم يقع فيه كثير من الوالدين سواء عن إدراك أو عدم إدراك، عن قصد فإذا بكى الطفل انزعجت الأسرة وراحت تهرول إليه عما ألم به، وماذا يريد؟، وإذا أشار إلى شئ ما أسرعت تحضره إليه فى شوق ولهفة، وإذا امتنع عن تناول الطعام انزعج الوالدان لذلك. . إلى غير ذلك من السلوكيات والتصرفات التى تجعل الطفل يشعر بتدليل كبير.

وننوه بأنه إذا نشأ الطفل فى مثل هذ الجو الذى يحيطه بكل حب ورعاية وانتباه، والذى يقضى له جميع حاجاته، وكل مطالبه سواء المشروعة أم غير المشروعة، وأيضاً يحل له كل مشكلاته، فإن الطفل سوف يعتاد على ذلك ويتوقع أن الجميع فى أى مكان وأى زمان سوف يعاملونه بنفس الطريقة.

لماذا يلجأ الآباء إلى تدليل الأبناء؟

قدم الباحثون عدة فرضيات لتفسير الأسباب التى تجعل الطفل أكثرا عتماداً على الآخرين دون غيره من الأطفال باعتباره طفلاً مدللاً، وكذلك لشرح الأسباب التى تجعل هذا الطفل يشعر بالغم والضيق عند الانفصال عن الأم.

من هذه الفرضيات ما يؤكد على الجانب الداخلى، ويزعم أن بعض الأطفال ترتفع عندهم أكثر من غيرهم الحاجات الجنسية «الليبيدو»، وبالتالى فهم بحاجة أكثر من غيرهم إلى المكافأة والعطاء والاهتمام ومن ثم التدليل.

وفى إطار نظرية التحليل النفسى أيضاً هناك من يقول إن دافع الموت أكثر تطوراً عند بعض الأطفال بالمقارنة مع غيرهم ويبرز هذا الدافع ويعلن عن ذاته بالقلق والضيق والخوف من الموت.

لقد تعرضت هذه الفرضيات للكثير من الانتقاد ، ما حمل بعض أنصار نظرية التحليل النفسى على إبراز أهمية دور المحيط فى تفسير ظاهرة الاعتماد على الغير والتأثر المفرط عند الانفصال عن الأم. وحاول هؤلاء تقديم فرضيات جديدة لتفسير المظاهر السابقة، من هذه الفرضيات:

١ - إن الولادة الصعبة ، والصدمة القوية التى يتعرض لها المولود فى الأسابيع الأول نتيجة التغير المفاجئ بين الوسط السابق (بطن الأم) والوسط الجديد يمكن أن يصعد من ردود فعل القلق، ويؤدى إلى تطوير استجابات مبالغ فيها لمواجهة «الأخطار» الخارجية فى مراحل الحياة اللاحقة.

٢ - يكون بعض الأطفال موضوعاً للتدليل المبالغ فيه (الإفراط فى إرضاء حاجات الليبيدو) من قبل الأهل مما يدفعهم للمطالبة بالمزيد، وعند تعذر ذلك يشعرون بالمعاناة القاسية.

٣ - يكون بعض الأطفال مفرطى الحساسية لاحتمال الانفصال أو الحرمان

من المحبة من خلال تجربتهم الفعلية بالانفصال أو نتيجة التهديد بالتخلى عنهم.

ولاتزال الفرضية الثانية تحظى بموافقة العديد من أنصار نظرية التحليل النفسى. فالمبالغة فى تدليل الطفل تجعله كثير المطالب، وشديد المعاناة عند عدم تحقيق هذه المطالب.

لقد سبق للعالم «سيجموند فرويد» أن شجع الأمهات على تقبيل الصغير ومداعبته بحنو، ولكنه حذر من المبالغة فى ذلك، فالحنان المبالغ فيه قد يوقظ أحاسيس الطفل بشكل مبكر، ويجعل من الصعب إرضاء حاجته للمحبة فيما بعد. وبالرغم من شعبية هذه الفرضية، إلا أنه لايوجد مايثبت أن التعلق القلق هو نتيجة المحبة المبالغ فيها من قبل الأهل.

عموماً.. فإن التدليل هو من أبرز العيوب التربوية التلقائية التى ينزلق إليها الآباء والأمهات منذ أن يبدأ الطفل فى بكائه الأول عقب الولادة. والطفل الصغير لا يعرف وسيلة للتعامل مع من حوله إلا البكاء، فهو ما يزال عاجزاً عن الكلام. ومن هنا صار الصغير يبكى فى غضبه كم يبكى فى حزنه وفى ظروف أخرى - غالباً - ما يغلفها الغموض. إن انحباس رغبة ما فى داخل الصغير دون أن يعبر عنها ولو بالبكاء أمر خطير، ولكن كيف يفرق الأبوان أن هذا البكاء الذى يبديه الطفل لأسباب سوية وليس بسبب من أسباب التدليل. ولأن هذه الفترة عادة من طفولة هذا الصغير تكون ضبابية حيث يجهل الكثير من الآباء والأمهات أساليب التعامل معه فى تلك السن فإن معاملتهما إياه تكون بإحدى طريقين : إما بالعقاب البدنى كالضرب ، أو تحقيق رغباته ليكف ويهدأ تمادى فى مطالبه الناجمة عن الرغبات التى لاعلاقة لها بالحاجات الضرورية سواء الفسيولوجية من طعام وشراب ونظافة أو الحاجات السيكولوجية من حب وأمن وانتماء..إلخ. وقد تبقى هذه المشكلة حتى

حينما يصبح الطفل قادراً على النطق والكلام، فهل من وسائل لصرفه عن البكاء من جهة، وعدم تحقيق رغبته لأنها قد تكون غير ضرورية أو ربما كانت ضارة به أحياناً من جهة أخرى. المفكر التربوى الفرنسى «جان جاك روسو» يقول : « تعلموا كيف تعرفون أبناءكم»، المعرفة هنا لاتنصب - فقط - على المظاهر الخارجية التى تصدر من الأبناء، لكن أيضاً معرفة حقائق التكوين النفسى والتطور الاجتماعى الملازم للنمو البيولوجى.

إن الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة يدرك المحسوسات، لا فمن الطبيعى ألا يهديه تفكيره إلا إلى الأشياء التى تقع عيناه عليها، وهو يجرب كل ما تدفعه إليه نزعات نفسه للحصول عليه، سواء بالبكاء أو بالصراخ أو بالعناد، غير أنه لايلبث أن يكتشف أن البكاء هو أفضل الوسائل لتحقيق رغباته الملحة وغير الملحة ، الضرورية وغير الضرورية . وخاصة حين يلمس أثره السريع على من حوله من حيث مسارعتهم لتلبية رغباته حتى يكف عن البكاء. ولأن رغبات الطفل لاتكاد تنتهى ولا تخضع لأى معيار ضابط لأنه لم يتشبع بعد بقيم المجتمع، ولم يتطبع بعد بقواعد التحكم فى جموح الذات، كان من الضرورى أن يعى ويعرف الآباء والأمهات الفرق بين رغباته اللامحدودة هذه وحاجاته الضرورية اللازمة.

وهنا نذكر مثال تطبيقى، حيث نعرض لنموذج الطفل الذى يطلب لعبة شاهدها فى متجر لبيع اللعب، وعندما تذكره أمه بأن لديه مثلها فى البيت، نجده يختلق فى بكاء متواصل (من قبيل المبررات الطفولية) بأنه يريد هذه اللعبة لأنها من لون مغاير للون اللعبة التى يمتلكها ، ويتمادى فى الصراخ.

فإن توافر للأبوين فهم سيكولوجية طفلهما فى هذه المرحلة العمرية، وعلما أن ما يحركه إنما هو مجرد رغبة طارئة، وليس بحاجة ضرورية مما يلزمه هاله، ردا عليه بكلمة «لا» قاطعة حازمة، غير أنها متبوعة بعبارة موجزة مفيدة مثل : أنك تمتلك مثلها ولا عبرة للون. وأن يقال ذلك لغة

مبسطة مشفوعة بارشادات توضيحية ، فإن الطفل يرتدع ، إذا كرر طلبات مماثلة ووجد الأبوين ينتهجان نهجهما الأول نفسه، بما يتفق وظروف كل طلب، عندها يعى أن البكاء لايفيد فى فرض مطالبه على الأبوين، ثم ينشأ متقبلاً للتوجيه والنقد مستقبلاً. هذا فضلاً عن توفير «مناخ التلاؤم» الذى يعنى التدرج فى اكتساب الطفل معطيات بيئته، بحسب نموه الجسمى والنفسى، ، بحيث لايجوز مثلاً التغاضى عن أخطاء الطفل على أساس صغر سنه، أو مقابلتها بالابتسام، وربما بتشجيعه على ارتكابها، مع أنه لوقام بها غيره ممن يكبره سناً أو ممن يصغره سناً لتم عقابه. ومن ثم يتضح أن التلاؤم الذى نادى به «جان بياجيه» يستقى بالقدوة والتوجيه المحدد الواضح منذ نعومة أظفاره ، سلوكاً قوامه الاستثارات المعبرة والألفاظ المفهومة، والحركات الدالة المحددة حتى يتكامل فى نضجه الادراكى ، حيث بلغ مرحلة السيطرة الإرادية على النفس فهم وتشرب جميع التوجيهات والقيم ومظاهر السلوك ، فى بساطة وتلقائية اكتسبت معقوليتها وقبولها منطقياً من موافقتها لمراحل الطفل العمرية المختلفة.

مظاهر التدليل:

تظهر ألوان التدليل فى صور متعددة، فعندما يبدأ الطفل فى تعلم اللغة والكلام ونراه يسب أباه أو أمه فغالباً ما نجد هما يضحكان بسرور، وعندما ينمو ويشتد عوده ويذهب إلى المدرسة يمنحانه مصروفاً مبالغاً فيه ينفقه كما يحلو له دون توجيه يجعله يميزبين جهات الإنفاق الصحيحة وجهات الإنفاق الخاطئة. وفى المدرسة أيضاً قد يضرب ويعتدى على زملائه، ويعلق الأبوان على ذلك : بأنه مازال طفلاً صغيراً لا يعى حقيقة ما يقوم به ، متناسين أن فترة الطفولة هى فترة تكوين وتعميق الاتجاهات الإيجابية المرغوب فيها، أو الاتجاهات السلبية غير المرغوب فيها.

وفى البيت قد يلهو الطفل بجهاز التلفاز (التليفزيون) أو بجهاز الحاسوب (الكمبيوتر) ويبدأ اللعب فى الأزرار أو المفاتيح دون اكتراث، والأم تضحك فى استهتار!! دون أن تشعر طفلها بأن ما يقوم به من سلوك إنما هو سلوك خاطئ وغير مقبول، ودون أن تهم بتعديل سلوكه.

وربما يقذف الماء أو الأوراق من النافذة على المارة فى الطريق، والأم نراها لا تهتم ولا تعبأ بالأمر.

وإذا أخذته الأم فى زيارة لإحدى صديقاتها أو أقربائها قد يجذب المنضدة فتسقط أشياء ثمينة القيمة وتتحطم، عندها تكتفى الأم بالاعتذار والرغبة فى شراء هذه الأشياء من قبيل التعويض، دون إعادة تقييم أسلوبها التربوى السلبى مع طفلها ، ودون إشعاره بخطئه ، بل نراها قد تحتضنه وهى تقول : حدث خير . . المهم أنك لم تصب بأى أذى!!

وقد تصطحبه معها إلى العمل ، فتتركة يلعب بأدوات أو أجهزة العمل المهمة دون أن ترشده، بل قد تتمادى الأم فتقول لإحدى زميلاتها فى العمل: اتركيه يلعب قليلاً لأنه يلعب بعهدتى الخاصة!!

وإذا خرج الطفل المدلل مع والده وغالباً ما يطلب شراء أى شئ يراه حتى يشتريه له دون تمييز لما يفيد أو يضره. والأمثلة بالقطع كثيرة لاتكاد تنتهى.

القسم الثانى

نماذج غير سوية
من تدليل الأطفال

تدليل الطفل وحيد والديه :

الطفل الوحيد يكون مركز الاهتمام وبؤرة التدليل، وينال رعاية كبيرة ومركزة، تنحصر فيه آمال الأبوين، ويتوقعان منه إنجازات رائعة، لأنه كل الأولاد وبالتالى يقع الوالدان فى خطأ الرعاية المفرطة له، ويدللانه تدليلاً مبالغاً فيه، فوالداه يشعران أنهما لن ينجبا غيره، فيخافان عليه من كل شئ، وبالتالى يستجيبان لكل رغباته، طائعين ، لا يحاولان إطلاقًا رفض طلباته، ويسرعان إلى تهدئة خاطره واسترضائه، مما يؤثر تأثيراً سيئاً فى نمو شخصيته، فيصير الطفل معتمداً عليهما فى كل كبيرة وصغيرة، وبالتالى لايستطيع أن يتحمل المسؤوليات المناسبة لسنه.

ومما يزيد الأمر سوءاً، هو منع الطفل من اللعب مع رفاق سنه، خوفاً عليه من تعرضه للحوادث والإصابات مثلاً، فيحاولان جاهدين استبقاءه فى المنزل، حتى يكون فى مأمن من الأخطار، والواقع أن هذا المسلك يجعله يجد صعوبات جمة فى تفاعله وتوافقه الاجتماعى مع رفاق سنه، ولذلك فليبرك أبواه أنه يجب أن يعوض الطفل الوحيد عن إخوته بعدد مناسب من الأصدقاء والرفاق ممن هم فى سنه، حتى ينمو اجتماعياً النمو المناسب والمعقول من خلال تفاعله معهم، ومما يفيد الطفل هنا إلحاقه مبكراً بدار حضانة جيدة ومناسبة، وكذلك شغل وقت فراغه بالهوايات الممتعة، مثل تربية طيور الزينة، مع معاملته معاملة طبيعية جداً.

تدليل الطفل الأول :

الطفل الأول يمثل دائماً البداية الجديدة لأى أسرة شابة، فهو أول خبراتها فى مجال الأبوة والأمومة. ولاشك أن النظرة الأولى للطفل يكون ملؤها الفرح والسعادة لمقدمه، بغض النظر عن أن صورته المتخيلة فى ذهنهما لم تطابق الواقع.

ومع نمو الطفل الأول، فإنه يصبح محط أنظار والديه وبؤرة اهتمامهما ومطامحهما، يدفعانه إلى تحقيقها، وقد ينال الطفل الأول الكثير من الحماية الزائدة والتدليل المفرط، وهذا هو الخطأ الذى سبق وأن نبهنا إليه، من جهة أخرى يشعر الطفل الأول أنه مركز اهتمام الأسرة، وقد يشعر حين يأتى الطفل الثانى - إذا لم يكن قد أعد لذلك إعداداً خاصاً- أن كارثة قد حلت به ، فتنمو لديه «عقدة قابيل».

تدليل الطفل الأكبر:

الطفل الأكبر الموجود مع إخوته وأخواته الأصغر منه هو أيضا الطفل الأول بالنسبة لوالديه، وهو يستقبل الكثير من عنايتهما وحبهما ورعايتهما أكثر من إخوته، وهو يلقى حماية زائدة، واهتماماً بالغاً، وهو أقرب الأطفال إلى والديه من ناحية السن، والطفل الأكبر يتوقع منه أن يكون رائداً لإخوته وأخواته الأصغر منه، وهو يشعر بالزهو والفخر بالنسبة لهم لأنه كبيرهم ورائدهم، وقد يتسلط عليهم، إذا وجد الضوء الأخضر من والديه.

والطفل الأكبر يتمتع ببعض المزايا، فلا يوجد من هو أكبر منه من الإخوة يمارس معه السلطة والتسلط ، وعادة يشير الوالدان إليه كنموذج لأطفالهما، أمام الأهل والأصدقاء ، وهنا يستلزم من الوالدين مراعاة شعور إخوته وأخواته الصغار.

وقد يفضله الوالدان بدرجة زائدة ويدللانه، ويرفعان مركزه وقدره باعتباره الطفل الأكبر، ومن المفروض ألا يحصل الطفل على أية مزايا لهذا السبب على حساب إخوته وأخواته.

تدليل الطفل الأصغر:

الطفل الأصغر يمثل مكاناً خاصاً فى قلب والده أو والدته لأنه الأصغر والأضعف، ومن مظاهر التدليل والحماية الزائدة هو تلبية رغباته بشكل مبالغ

فيه على أنه «الأصغر»، فيحصل على امتيازات ومميزات بهذه الحجة، وقد يخطئ الصغار فينال الجميع عقاباً صارماً، ولكن هذا العقاب لايطبق بنفس الحزم مع الطفل الأصغر وحجة الوالدين فى ذلك أنه لايدرى ولا يعى فقد قلد إخوته وأخواته الأكبر منه !

وقد لا يشترى ثياب جديدة للكبار فى الأعياد، ولكن يشترى للطفل الأصغر لأنه «الأصغر والأضعف» !! والمطلوب من الوالدين فى هذا الصدد التوازن التام فى رعايتهما لأطفالهما الكبار منهم والصغار على حد سواء.

القسم الثالث

الآثار السلبية للتدليل
على نفسية الأطفال

الإسراف فى التدليل له عواقب متعددة منها : الشعور بالنقص، وفقدان الثقة بالنفس، وقتل روح الاستقلال وتحمل المسؤولية.

كما يترتب على تدليل الأبناء ظهور شخصيات قلقة مترددة تتخبط فى سلوكها بلا قواعد أو معايير أو حدود، وربما تكون شخصيات متسيبة تفتقر إلى ضوابط السلوك المتعارف عليه.

وعندما يكبر الطفل المدلل نجده لا يحافظ على عهوده والتزاماته ومواعيده، ولايستطيع تحمل أى مسؤولية يوكل بها إليه، وغالباً ما يكون غير منضبط فى سلوكه أو فى عمله، بل يعتمد دائماً على الأخرين من ذوى المراكز من الأقارب أو المعارف للوصول إلى هدف ما أو مركز ما يريده، إنها «المحسوبية» اللعينة. وعندما يتزوج هذا الشخص غالباً ما يترك لزوجته المسؤولية كاملة دون أى مشاركة منه.

وفى المدرسة نجد أن الطفل المدلل يتوقع أن يعامله المعلم وزملاؤه بنفس الأسلوب من المعاملة التى يعامله به والده ووالدته وأخوته، بل وحتى أقاربه. وعندما لا يحصل منهم على التديل قد ينزعج ويتذمر ويبدأ فى الشعور بعدم الثقة فى نفسه وبأن مركزه فى المدرسة قد بدأ فى الاهتزاز وأنه الآن فى عالم أو مجتمع مختلف عن عالم أو مجتمع الأسرة. حيث لا يجد الطفل فى المدرسة التدليل والاهتمام والرعاية الكافية التى كان يلقاها فى أسرته. فيبدأ الخوف وعدم الثقة يسيطران عليه، وقد يستجيب الطفل لهذا الموقف المؤلم استجابات مختلفة، منها : الشعور بالغضب، الشعور بالخوف، المعاناة والقلق النفسى، وكذلك حالات الشرود الذهنى والاغراق فى أحلام اليقظة. وقد تشتد استجاباته حتى تصل إلى حالة من التلعثم أو اضطراب الكلام أو التبول اللاإرادى فى الفراش، ثم ينتهى الأمر بالسرقة، سواء سرقة زملائه فى المدرسة أو إخوته فى الأسرة.

إن الإغراق فى حب طفل بعينه يحول الحب إلى نوع من التدليل، بحيث

يستجيب الكبار لرغبات الطفل دون تمييز، وفى هذا إفساد للطفل. فالحياة لها ظروفها ووقائعها، فهى تمنح أحياناً وتضن أحياناً أخرى. وكثير من الأمور لايتحقق إلا إذا بذل الشخص فيها جهوداً وعناءً ومثابرةً، ولذلك فإن الحياة ليست طيعة أو وفق هوانا . فالتدليل الذى يحدث باسم الحب والحنان، يخلق صورة كاذبة ومضللة عن حقيقة الحياة، ولذلك بقدر ما يستجيب الأبوان بكلمة «نعم»، فهناك مواقف تقتضى قول «لا» حتى يشب الطفل موضوعياً وواقعياً.

كما أن تدليل الأبوان للطفل يدعم ظهور نوبات الغضب والعناد، وكما قلنا فالتدليل ينطوى على إجابة كل مطالب الطفل ورغباته الممكن منها وغير الممكن، المهم منها وغير المهم، وعلى ذلك فالطفل لايتعود تأجيل هذه المطالب والرغبات.

وفى تطور آخر، يتوقع الطفل أن البيئة سوف تجيبه أيضاً إلى ما يصبو ومايريد،ولكن حينما تقابل رغباته بنوع من المنع أو الإعاقة تكون الصدمة شديدة وقاسية، ولها مضارها النفسية العميقة، فيلجأ الطفل بطبيعة الحال إلى أساليب الغضب والعناد والتوتر، وتدليل الأطفال وإيثارهم على نحو مبالغ فيه يعنى أننا لا نؤهلهم التأهيل الصحيح لمجابهة الحياة بكل مصاعبها.

وتعرض الطفل لقدر يسير من الإحباط - الذى يقصد به تأجيل بعض المطالب والرغبات لتشبع فى حينها ، حيث إننا لا يمكننا أن نتصور حياة بلا إحباط، أو لا يمكن أن نتخيل أنه يمكننا تحقيق كل رغباتنا ومطالبنا فى وقت واحد - يفيده على مواجهة الحياة. كما أن هذا التأجيل يقوى فى الطفل جهاز «الأنا» Ego حسب نظرية التحليل النفسى «لفرويد»، حيث إن «الأنا» هو الجهاز الذى يكبح جماح الشهوات والغرائز، والمسؤول عن تأجيلها إلى الوقت المناسب لتشبع فى حينها، فيتكيف الفرد تكيفاً سليماً مع البيئة الخارجية المحيطة به.

والطفل المدلل يشب فرداً أنانياً يرى نفسه فقط، ولا يستطيع أن يدخل الآخرين فى حيز حياته أو اعتباره، يثور ويغضب كلما عجز عن تحقيق رغباته وأهوائه، يتمركز حول ذاته، مقتنعاً أن الكل سيلبى ما يريده، ولن يجرؤ كائن من كان فى أن يقول له «لا»، فيشب شخصاً هش التكوين، لا يستطيع أن يواجه صعوبات الحياة التى تحتاج إلى أشخاص يواجهون المشكلات الحياتية بشجاعة وإصرار، يحاولون مراراً وتكراراً، يفشلون مرة ومرات، دون أن تثبط لهم عزيمة، يرون مغريات الحياة فيغضون الطرف عنها، مفضلين دائماً إيثار القيم والمبادئ التى تعلموها، ونشأوا فى كنفها بمثابة ضوابط داخلية وخارجية للسلوك.

ودعونا نختتم هذا القسم الخاص بالآثار السلبية للتدليل بأن نفرق بين التدليل والعطف، ففى العطف أخذ وعطاء، أما فى التدليل فالطفل يأخذ دون أن يعطى، والعطف ألزم ما يجب أن يحاط به الطفل، فهو الموازن الطبيعى الذى يشعر به الصغير حيال الكبير، ويبعث فى نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة الذين يحتاج إليهما. ولكى نعطف على الطف ونحبه بالرغم مما نراه فيه من عيوب يتعين علينا أن نفهمه، فمعرفة الطفل شرط ضرورى لتربيته. غير أننا كثيراً ما ننظر إليه بأعيننا لا بمنظاره هو فنحاسبه كما لو كان كبيراً، ونفرض عليه أوامر لا يفهمها ويرى فيها نوعاً من التعنت. فالواجب أن يحل التفاهم والفهم والإقناع محل الأمر والنهى، وأن نفرض عليه الحرمان إذا اضطررنا لذلك على درجات التفاهم والفهم والإقناع محل الأمر والنهى، وأن نفرض عليه الحرمان إذا اضطررنا لذلك على درجات وفى رفق حتى لا يلجأ الطفل الضعيف إلى الكبت أو الجنوح باعتباره الوسيلة لحل الصراع الذى يخلفه الحرمان.

القسم الرابع

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب التدليل فى معاملة الأطفال

قد يقسو بعض الآباء أو الأمهات على أطفالهم اعتقاداً منهم أن فى هذا التصرف وقاية لهم من أن يقعوا فريسة التدليل، لذلك نجد هؤلاء الآباء أو الأمهات قد يمنعون عن أطفالهم بعض الهدايا أو المال أو الاهتمام!!

بالطبع هذا خطأ جسيم إذ أن التدليل لاعلاقة له بما يملكه الطفل، أو بمدى الاهتمام الذى يحظى به من والديه، والمهم فى الموضوع هو : كيف ، ولماذا، يحظى الطفل بكل هذه الأشياء.

إن التدليل مرجعه إلى ميزان القوى فى الأسرة ، فطفل ما قبل المدرسة يرى نفسه فرداً ضمن مجموعة من الأفراد، وهو فى هذه السن يكون شديد الاهتمام بمعرفة مدى تأثيرهم عليهم، ومن هنا يبدأ الطفل فى اختبار حدود هذا التأثير، وكل طفل بل وكل إنسان لابد أن يكون لديه شعور بأنه مؤثر فيمن حوله بدرجة ما، ولن يكون نمو الطفل سليماً إذا كان واقعاً تحت تأثير الأسرة تماماً. ولكن فى نفس الوقت من الخطأ أن نعطى الطفل الفرصة ليتغلب على قوة الأسرة بالعناد أو البكاء ويصبح له هوكل التأثير.

إن حل القضية كلها يكمن فى قرار الآباء والأمهات عما يعتبرونه معقولاً بالنسبة لما يمكن لطفلهم أن يقوم به أو يحصل عليه، وعن مدى صراحتهم معه فى هذا الشأن.

وهناك بعض الحلول المقترحة التى قد تساعد فى تلافى أسلوب التدليل فى معاملة الأطفال نذكر منها :

* إذا استطاع الطفل أن يقنعنا بتغيير رأينا عن طريق مناقشة معقولة أو عن طريق إقناع لطيف فلابأس فى هذا ، ذلك أنه هنا يستخدم تأثيره من أجل الوصول إلى نتيجة طيبة، ولكن إذا استخدم البكاء ونوبات الغضب واستجبنا له فهذا هو التدليل بعينه.

* لنعتبر أنفسنا كآباء وأمهات قضاة على أنفسنا لذا علينا أن نستمع دائماً

وبصبر لكل ما يقوله الطفل، ولكن مع الإصرار دائماً على ضرورة الترف المعقول من جانبه.

* لنفكر قليلاً قبل أن نرد على طفلنا بالرفض إزاء طلب معين، فإذا طلب منا أن نلعب معه ونحن منهمكين فى العمل، فربما يكون ذلك لشعوره بالملل، عندئذ يمكننا أن نرد عليه كالآتى : «نحن لانستطيع أن نلعب معك الآن لأن لدينا بعض الأعمال التى نقوم بها، ولكن إذا كنت تشعر بالوحدة فلماذا لاتأتى وتساعدنا فى بعض هذه الأعمال».

* لنحاول أن نوازن بين حقوق الطفل وحقوقنا كآباء وأمهات بنفس الطريقة التى نوازن بها بين حقوق طفلين، فإذا كانت الأم مثلاً تريد أن تمضى فترة الظهيرة فى العناية بالمنزل بينما يريد طفلها أن يخرج للنزهة، هنا تنشأ المشكلة، لكن لتناقش الأم المشكلة مع طفلها، فإذا كانت لاتستطيع الخروج للنزهة فلتقل له ذلك بصراحة وحزم، بحيث لاتجعله بشعر بأنها مترددة فإن ذلك سوف يشجعه على الاعتقاد بأن قليلاً من الضغط عليها سوف يجعلها تلبى رغبته. وإذا شعرت الأم أن طلب طفلها معقول فلتحاول أن تجد حلاً وسطاً بحيث تلبى رغبتها ورغبة الطفل أيضاً، فيمكنها مثلاً أن تقترح أن تخرج معه لنزهة قصيرة نصف ساعة مثلاً، ثم تعود بعد ذلك للقيام بأعمال المنزل. وإذا وضعت خطة كهذه عليها أن تراعى أن تتناسب معها، فمثلاً لاتشعر طفلها بأن كل خطوة تخطوها فى النزهة تشكل ضغطاً عليها فإن ذلك سوف يشعره بأنه أجبرها على الخروج معها، وسوف يفقد هو الشعور بالمتعة من النزهة.

* لنساعد الطفل على فهم مشاعر الآخرين، فإن فهم مشاعر الآخرين هو أساس العطاء والبعد عن الأنانية والتدليل. لننتهز إذا جميع الفرص لنؤكد لدى طفلنا هذه المشاعر. يمكن للأم مثلاً أن تقص عليه كيف سرقت دراجة الطفلة الصغيرة ابنة الجيران، وكيف شعرت بالحزن، وإذا ما عتب الطفل على

ذلك بأن الطفلة يمكنها شراء دراجة أخرى، لتشرح له أن الآباء والأمهات غالباً ما يريدون شراء أشياء كثيرة لأطفالهم ، ولكن ليس بإمكانهم دائماً أن يشتروا كل ما يطلبونه.

* لنشرك أطفالنا معنا عند ما نضع أى خطة خاصة بالأسرة، رحلة أو حفلة أو ما إلى ذلك، ولندع الطفل يتعرف على المشكلات التى قد تنشأ عند ذلك، وكيف يمكن التغلب عليها بحيث يكون جميع الأفراد المشتركين فى هذه المناسبات مسرورين ومستمتعين.

* فلنساعد طفلنا على أن يرى أنه ليس من العدل أن تقوم الأم بطهو الأطعمة التى يحبها فقط، فقد لايحبها أفراد آخرون فى الأسرة.

كل هذه المواقف ترمى إلى أن يشعر الطفل بأنه ليس وحده مركز اهتمامنا طول الوقت، وأن يعلم ويقتنع تدريجياً بأن العالم لايدور حوله هو فقط، أى أنه ليس مركز هذا العالم أو بؤرته.

الفصل الثانى

اتجاه فرط الحماية

القسم الأول

ماهية اتجاه فرط الحماية فى معاملة الأطفال وأهم أسبابه

• ماهية فرط الحماية :

اتجاه الحماية الزائدة أو فرط الحماية Attitude of parental over-protection يتمثل فى أن الأب أو الأم قد يقوم نيابة عن الطفل بالمسؤوليات أو الواجبات التى يمكنه أن يقوم بها، والتى يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن تكون له شخصية قوية استقلالية. وهذا السلوك لايتيح للطفل فرصة أن يتخذ القرارات بنفسه، فالأب مثلاً يتحمل مسؤولية الدفاع عن الطفل إذا تشاجر مع أحد زملائه أو أقرانه فى المدرسة أو النادى، دون أن يترك للطفل الفرصة لتسوية حساباته بنفسه.

• أسباب فرط الحماية :

الحماية المفرطة ترجع إلى رغبة الأم - على غير وعى منها غالباً - فى إبقاء الطفل معتمداً اعتماداً كاملاً ودائماً عليها، فهى التى تطعمه، وهى التى تلبسة ثيابه، وهى التى تساعده فى قضاء حاجته وتنظيف جسده. على حين يكون الطفل السوى قد تعلم منذ أمد طويل كيف يعنى بنفسه فى كل هذه الجوانب، وبذلك يبقى الطفل غير مكتمل النضج، وغير قادر على الاندماج مع الأطفال الآخرين بسهولة. والطفل الصغير المحاصر بهذه المشاعر كثيراً ما يظهر غضبه تجاه أمه لأنها لم تمنحه الاستقلال والحرية.

وقد تظهر الحماية المفرطة أيضاً عندما تكون الأم قد مرت بحياة غير سعيدة، فتبذل جهدها لتحصل من الطفل على أكبر قدر ممكن من الحب.

• نماذج من فرط الحماية :

يظهر اتجاه الحماية المفرطة بصفة خاصة إذ كان والد الطفل قد توفى، أو إذا جاء الطفل بعد انتظار طويل، أو إذا كان من جنس مطلوب أو مرغوب (ذكر مثلاً) وكان مولده بعد مولد كثير من الأطفال من الجنس الآخر (الإناث)، أو لأنه الطفل الأول للأسرة وينقص الأب أو الأم الخبرة الكافية لتربيته، أو لأن

الأم عانت كثيراً حتى أنجبته،أو لأن الطفل ضعيف الصحة وكثير المرض، ومثل هذه الأسرة لخوفها الشديد على هذا الطفل من أى سوء، تريد أن يأكل مالايحبه من طعام لأنه سيقويه ، أو يأكل كميات كمبيرة من الطعام أكثر مما يحتاج، أو يرتدى أكثر مما يحتمل من الثياب حتى لايصاب بنزلات البرد. وتريده ألا يجرى، أو يلعب بشكل معين حتى لايقع أو يصاب بأذى، وعندما يذهب إلى المدرسة غالباً ترافقه الأم إلى المدرسة مهما كان عمره، وأينما كان موقع المدرسة بالنسبة للبيت، وحينما يعود إلى المنزل تكتب له واجباته المدرسية حتى لا يشعر بالتعب، أو تقرأ له دروسه حتى لاترهق عيناه، وتدافع عنه عند معلمة فصله حتى لو كان على خطأ. . إلخ.

القسم الثانى

مظاهر فرط الحماية فى معاملة الأطفال

• مظاهر فرط الحماية:

تظهر الحماية المفرطة فى أشكال متعددة:. فقد لا تسمح الأم لطفلها بالخروج فى نزهة ما خوفاً من تعرضه للحوادث، أو من أن يلعب مع الآخرين حتى لا يكتسب سلبياتهم أو أساليبهم المعيبة، وهى الأم التى تمنع طفلها من اللعب فى المنزل على هواه، ونراها تتدخل باستمرار لمساعدته أثناء لعبه، وهى التى تشجعه على استخدام كلمات الأطفال الصغار، بل تدلله كالصغار عندما يكون قد أصبح صبياً كبيراً.

كمال أن الأم هى التى تتبنى عدم إعطائه الفرصة للتصرف فى شؤون كثيرة تهم حياته : كمصروفه الشخصى ، أو انتقاء ملابسه، أو اختيار الأطعمة التى يفضلها، وهى التى تدافع عنه إذا ما اعتدى عليه زميل له فى المدرسة أو النادى ، بل تتحمل هى نفسها نيابة عنه كل هذه الأمور حيث تحدد له جهة إنفاق نقوده، وانتقاء ملابسه، دون إشراك له فى هذه الأمور التى تعتبر من أموره الخاصة، فهى تختار له أصدقاءه وتفرضهم عليه.

ومن المظاهر الأخرى للإفراط فى الرعاية حيث يوجد من الآباء من يساوره القلق لدرجة الفزع حول سلامة أبنائه من الخطر أو المرض، فيفرض نظاماً غذائياً معيناً من الطعام عليهم خوفاً على صحتهم، ويشرف على لعبهم حتى فى المنزل وسط رفاقهم، ويتابع كل حركات أطفاله وسكناتهم خوفاً من تعرضهم للخطر، إلى غير ذلك من مظاهر الإفراط فى الرعاية.

وهناك مظاهر أخرى لفرط الحماية تلازم الطفل حتى حينما يكبر ويصبح شاباً، فقد نرى بعض الآباء يذهب مع ابنه أو يوم لاستلامه العمل بعد تخرجه من الجامعة، ثم فى مثل هذه الحالة نرى الأم تختار لهذا الشاب شريكة حياته، وحتى بعد زواجه تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من حياته مما يهدد حياته واستقراره مع شريكة حياته.

لقد نسى هؤلاء الآباء والأمهات مبدأ مهم من مبادئ التربية السوية ألا وهو مبدأ «الفطام النفسى» الذى يعنى الاستقلال الوجدانى عن الآخرين، وأن تكون المشاعر أو العواطف وبين والديهم - وخاصة الأم - من حالة الاندماج الوجدانى أو الذوبان العاطفى إلى حالة الفطام الوجدانى أو العاطفى، والاستقلال عن الأسرة مع استمرار علاقة الحب المتبادلة بدرجة معقولة ومتوازية لاسيطرة فيها ولا خضوع.

وكثيراً ما نرى أن بعض الآباء أو الأمهات - كما أوضحنا - يستمرون فى التعلق الشديد بأولادهم حتى حينما يكبرون ويتزوجون، عندما نقول إن هؤلاء الآباء والأمهات لايستطيعون الارتفاع إلى مستوى الفطام النفسى، لتظل الحالة الاندماجية العاطفية قائمة ومستمرة حتى بعد زواج الأبناء واستقلالهم . إن التعلق الوجدانى الشديد بالأبناء يعيقهم عن استقلالهم الذهنى أو الإرادى، فلايستطيعون أن تكون لهم آراء مستقلة، أو تتبلور لهم عواطف وأحاسيس مستقلة وقائمة بذاتها. لذلك . . فإن من واجب الآباء والأمهات أن يعاملوا أبناءهم فى ضوء الخصائص النفسية التى تتسم بها كل مرحلة من مراحل نموهم. وننوه بأنه حينما يكون التعلق بالأبناء شديداً فى بداية نموهم، فإن هذا التعلق يجب أن يخفف كلما نما الطفل وكبر، وانتقل إلى مرحلة عمرية جديدة ، على أن يؤمن الوالدان بأن التعلق الشديد بأبنائهم لايدل على الحب، فالحب ليس أنانية واستئثاراً وامتلاكاً ، فلنعطهم الزاد النفسى الذى يعينهم على الحياة ولكن بلا أنانية .

القسم الثالث

الآثار السلبية لفرط الحماية على نفسية الأطفال والحلول المطروحة

• الآثار السلبية لفرط الحماية:

الطفل الذى يعيش ويتفاعل مع أسلوب الحماية المفرطة ينمو بشخصية ضعيفة، خانعة، غير مستقلة، تعتمد على الغير فى قيادتها وتوجيهها، وغالباً ما يسهل استثارتها واستمالتها للفساد حتى ضد الوطن عن طريق الجاسوسية نتيجة ضعفها وعدم تقديرها للمسؤولية. وهى شخصية سرعان ما تصطدم بالواقع والقوانين بعد فوات الفرصة. وهذه الشخصية تتسم أيضاً بانخفاض مستوى قوة «الأنا»* ، وانخفاض الطموح وتقبل الإحباط ، وتظهر على صاحبها الكثير من استجابات الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالى. كما يبدون على هذه الشخصية الخوف من تحمل المسؤولية، هذا بالإضافة إلى عدم الثقة فى قراراتها، وما أسهل تأثرها بالجماعة التى تنتمى إليها فتعتمد على الآخرين اعتماداً كبيراً ومثل هذه الشخصية غالباً ما تكون حساسة بشكل مفرط للنقد.

هذا، وقد يتداخل هذا الاتجاه - أحياناً - مع اتجاه التسلط، لأن الطفل قد لا يكون راضياً فى كل مرة عن مثل هذا التدخل فى شؤونه، فعندما يقف الطفل معارضاً فى بعض الأحيان أو يتمنى أن يقوم بنفسه بهذه الأمور الشخصية عندئذ يضطر الأبوان أصحاب اتجاه الحماية الزائدة إلى فرض رأيهما عليه، وهنا لا نجد حداً فاصلاً بين الحماية الزائدة والتسلط، ففى الوقت الذى يتحتم أن يكون فيه موقف الأبوين عند ممارسة حمايتهما الزائدة معارضاً لرغبة الطفل فى التحرر والاستقلال يمكن أن نتحدث عن الحماية الزائدة والتسلط معاً.

---

* «الأنا» Ego هو جهاز من أجهزة الشخصية شأنه شأن «الهو» من المفاهيم التحليلية النفسة. و«الأنا» يعمل وفقاً لمبدأ الواقع، أى الامتثال للظروف والقيود التى يفرضها عليها العالم الخارجى، وتكون مهمته الأساسية هى المحافظة على الشخصية وحمايتها مما تتعرض له من أخطار ، وإشباع متطلباتها بشكل لا يتعارض مع الواقع وظروفه ولا مع «الأنا الأعلى» (الضمير) أيضاً.

ومن المعروف أيضاً أن هؤلاء الأطفال ينزعون إلى التمرد على هذه الحماية المفرطة بمجرد أن يستطيعوا الإفلات من المنزل، وهم معرضون للحوادث أكثر من غيرهم من الأطفال.

أهم الحلول المطروحة:

* يمكن أن نشبع دائماً حاجة الطفل للحب عن طريق إحساسه بأنه موضع الاهتمام والرعاية والعطف، بشرط ألا يبالغ فى إبراز هذه المشاعر، حتى يمكن أن يتحقق العائد النفسى من إشباع حاجته إلى الحب والحنان.

* نحذر أن نقوم عن الطفل بإنجاز بعض أعماله بحجة الاقتصاد فى الوقت أو الجهد ، لأن ذلك سوف يحرمه من لذة الاكتشاف والتجريب واكتساب الخبرة، على أنه إذا أصاب نجاحاً فى أعماله التى نراها صغيرة، ويراها هو كبيرة ، نال منها الغبطة ولقى الثناء والاستحسان، وإذا أصاب فشلاً لمس من الهدوء والتشجيع على أن يعيد المحاولة من جديد، فإنه به يزداد اطمئناناً إلى العالم من حوله، ويشعر بالثقة فى نفسه من غير خيلاء أو زهو، فينشأ قادراً على مواجهة التحديات فى فهم وعزم، بعيداً عن أن يغره النجاح أو يقعده الفشل.

* أن يشجع الآباء والأمهات أبناء هم على تحمل المسؤولية منذ صغرهم، وهذا يستلزم أن تكون المسؤوليات الملقاة على عاتقهم تتناسب وأعمارهم الزمنية والعقلية، وتتفق مع ميلوهم وتطلعاتهم ، وأن تتسم بالتدرج، وخاضعة لإشراف الأبوين إشرافاً دقيقاً وتربوياً فى الوقت نفسه، على أن يمنح الأبناء الثناء والمديح متى نجحوا فى أداء مهامهم، وأن يشجعوا ببث الثقفة فى نفوسهم من جديد متى أخفقوا.

الفصل الثالث

اتجاه التساهل والإهمال

القسم الأول

أسباب ومظاهر التساهل
والإهمال فى معاملة الأطفال

• ماهية التساهل والإهمال:

يعانى بعض الآباء فى مطلع حياتهم من الأساليب اللاتربوية التى كانوا يعاملون بها فى أسرهم، من ظلم واستبداد وقسوة حد البطش والتنكيل بهم، الأمر الذى يؤلمهم فيكبتونه كخبرة من الخبرات السيئة، عندها يتشكك هؤلاء الآباء فى قيمة النظام والسلطة، فيتركون أطفالهم يفعلون ما شاءوا بلا ضابط أورابط، فيؤدى ذلك إلى تنشئة أطفال لا يحفلون البتة بمراعاة القواعد والأصول سواء داخل المنزل أو خارجه.

واتجاه الإهمال Attitude of Negligence يتمثل فى ترك الطفل دون تشجيع من والديه - خاصة الأب - على أى سلوك مرغوب فيه أتى به، أو دون محاسبة على أى سلوك غير مرغوب فيه قام به، هذا بالإضافة إلى تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكيات أو مالا يفعله.

• أسباب التساهل والإهمال:

الأب الذى يعانى من مشكلات وضغوط خارجية عديدة، مما يحمله عباءاً قد ينوء به كاهله، عندما لا يحفل بأطفاله ويهملهم، ويتركهم بلا توجيه أو رعاية، لأن الهم يحاصره من كل جانب، وأحياناً أخرى تسوء العلاقة بين الزوج وزوجته ، فيترتب على ذلك إهماله لأطفاله حتى يحملها مسؤولية التربية كاملة، دون رغبة منه معاونتها قاصداً أن تفشل فى أداء واجباتها، كى تكون هناك ذريعة للهجوم عليها أو التنكيل بها.

وأيضاً ينتج هذا الاتجاه ربما لعدم رغبة الأم فى الأبناء ، حيث تشعر أن مجيئهم كان غير مرغوب فيه لأى سبب فى نفسها، وربما لوجود أم مهملة لاتعرف واجباتها فتقضى يومها تتحدث فى الهاتف (التليفون) مع صديقاتها، أو فى مجالسة جاراتها أمام التلفاز (التلفزيون).. إلخ، وبذلك فهى دائماً فى انشغال عن أبنائها والعمل فى المساعدة على إشباع حاجاتهم الجسمية أو العقلية أو النفسية.

• مظاهر التساهل والإهمال:

يكون التساهل والإهمال فى شكل عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه، فبينما ينجح الطفل فى المدرسة ويحصل على درجات مرتفعة، ويحتل مكانة متقدمة بين أقرانه، يأتى إلى البيت فرحاً ليطلع والده على نتيجة عمله فلايجد - للأسف - إلا هزة من رأسه لاتعنى شيئاً، عندما يصدم الطفل صدمة شديدة ويخيب أمله فى أبيه، ومن ثم يصاب بالإحباط، فلا يعد يجد من الاستذكار الجاد أية فائدة تذكر فى ظل أسرة لاتقدر قيمة الثواب والتشجيع والتحفيز. إذا كنا نحن الكبار نحتاج إلى التشجيع والإثابة أو الحاجة إلى النجاح.. فما بالنا بالأطفال الصغار.

وقد يأخذ الإهمال صورة اللامبالاة، فحين يبكى الطفل الرضيع من الجوع أو طلباً للنظافة فتتركه الأم ولاتستجيب لبكائه، وإذا ما كان الطفل يتحرك ويتكلم ويتلف بعض الأشياء تتركه دون ضوابط لسلوكه.

وإذا ما طلب الطفل الصغير الطعام تتركه يعده لنفسه فى سن لا تسمح له بذلك، وإذا ما كان فى عمر المدرسة وعاد منها ليطلب مساعدتها أو مشورتها فى عمل واجبه المدرسى تصرخ الأم فى وجهه دون أى توجيه، وإذا ما جرح الطفل أثناء لعبه غير الموجه تعاقبه الأم بالتأنيب والتوبيخ وتتهمه بالإهمال.. وهكذا.

وهناك صورة أخرى من مظاهر الإهمال وعدم الإكتراث بالأبناء يتمثل فى السخرية من الطفل بدلاً من التشجيع ، فعندما يقدم الطفل لأبيه على سبيل المثال لوحة فنية قام برسمها، أو لعبة تعب فى إعدادها فينهره الأب أو يسخر منه ومن لعبته ، ويتكرر هذا الأسلوب.

أما إذا حصل الطفل على درجات متوسطة فى إمتحان من الامتحانات فلا يقوم الأب أو الأم بتشجيعه ومؤازرته ورعايته إلى أن يصل لمستوى أفضل فى الامتحان المقبل، بل نجد الأبوين أو أحدهما ينهره على إهماله ويؤنبه ويوبخه

معيراً إياه بمن حصل على الدرجات النهائية من زملائه أو أصدقائه متناسياً مبدأ الفروق الفردية Individual Differencnes ، ضارباً عرض الحائط بمبدأ الإثابة فى مدى تقدم الطفل وتعلمه.

وهذا يحرم الطفل من حاجته إلى الإحساس بالنجاح والتقدير، والتمتع بلذة النجاح مهما كان قدره، طالما أن هذا النجاح مناسب لقدراته.

وننوه بأن الإهمال المتكرر قد يفقد الطفل الإحساس بمكانته داخل أسرته، ويفقد الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم.

القسم الثانى

الآثار السلبية للتساهل
والإهمال على نفسية الأطفال

• أهم الآثار السلبية للإهمال :

غالباً ما يترتب على الإهمال نتاج من الشخصيات القلقة المترددة، تتخبط فى سلوكها بلاقواعد أو حدود فاصلة واضحة. والطفل الذى يعانى من أسلوب الإهمال الوالدى نراه غالباً ما يحاول أن ينضم إلى جماعة أو «شلة» يجد فيها مكانته ويحس بنجاحه فيها، ويجد فيها العطاء والحب الذى حرم منه نتيجة إهماله منذ كان صغيراً ، خصوصاً وأن الجماعة التى ينتمى إليها غالباً ما تشجعه على كل ما يقوم به من أعمال حتى وإن كانت أعمالاً تخريبية، خارجة عن القانون !! وذلك لأنه لم يعرف منذ صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته، بين الصواب والخطأ فى سلوكه وتصرفاته، بالإضافة إلى أنه لم يشعر بالحب والانتماء والتشجيع على إنجازاته التى تتناسب وقدراته، وبالتالى يصبح - فى الغالب - من الشخصيات المتسيبة غير المنضبطة فى أى عمل يقوم به. فلا يحترم حقوق الغير، بل يصبح فاقداً للحساسية الاجتماعية التى افتقدها فى أسرته فيسهل عليه الاعتداء، ومخالفة القوانين والنظم التى يجب أن تحكم الفرد الذى ينتمى لمجتمع له أنظمة وقوانين يجب أن يحترمها لكنه لا يستطيع ذلك.

وعندما يعامل الأبناء من الآباء بنوع من الإهمال وعدم الاكتراث، فإن الأمر يسوء فيتعرضون إلى الأخطار، فها هو طفل يتناول جرعات من مادة سامة لأن أسرته فى غفلة عنه، فالطفل يميل - بحكم نموه - إلى حب الاستطلاع، ولذلك فهو يحاول أن يجرب كل شئ يقابله فى طريقه. وهذا التجريب لو تم بدون رقابة والدية ، فإن عواقبه تكون سيئة ووخيمة، لذلك نؤكد على أن عملية الأمن والأمان تتم من خلال تعامل الطفل مع كل مقومات البيئة، ومن خلال رقابة ضمنية تعطى السماح حينما لايكون هناك خطر على حياة الطفل وسلامته، وتمنع حينما يكون هناك نذير بالخطر.

وفى دراسة أجريت تبين منها أن الأمهات اللواتى يظهرن نفاذ الصبر، وقلة الانتباه نحو الطفل ، يميل أطفالهن إلى الاعتماد على الغير، وإلى قلة إظهار السلوك المعبر عن الاستقلالية. وكذلك بينت هذه الدراسة وجود علاقة ترابطية بين اعتماد الأطفال على الآخرين وبين استخدام الأهل لطريقة الحرمان من المحبة كإجراء تأديبى، ولجوئهم إلى تهديد الطفل بالتخلى عنه.

القسم الثالث

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب التساهل والإهمال فى معاملة الأطفال

* المطلوب من الأب أو الأم؛أن يغرس فى نفوس أطفاله روح الانضباط والنظام، حتى تستقيم الحياة من حولهم، فإذا ما ألحت نفس الطفل على تخطى حدود معينة غير صائبة، فإن من واجب الأب أن يقف مع طفله وقفة حازمة وهادئة فى الوقت نفسه، كى يبين له حدود الانضباط المرجوة، وقواعد النظام التى ينبغى أن تكون . والطفل كائن معتدل يستطيع أن يستمع إلى توجيهات الأب باحترام وثقة واطمئنان ، لاسيما إذا كانت هذه التوجيهات خالية من نبرات القسر أو العنف أو الإجحاف، فلا نريد أن يكون الأب متسلطاً باطشاً، وإنما نريد صديقاً ودوداً.

* يجب ألا يقلل الآباء أو الأمهات من شأن الأطفال، كما يجب ألا يتيحوا لهم الظروف التى من خلالها قد يشعرون بالعجز أو الفشل ، بل ينبغى أن يشعروهم بقدرتهم على التغلب على تلك المشاعر، وبالتالى فلنبعد عن لوم الأطفال أو تأنيبهم.

* شعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أسرته لما يقوم به من أعمال ينبه خير مالديه، ويبعث الحماس للقيام بخير ما يستطيع، فلقد قيل : «إن التحمس هو الشئ الذى يجعل الدنيا تتحرك»، أما إذا لقى الطفل الاستهانة والتحقير أو الإشاحة وعدم الاكتراث، فلن يبعث ذلك فى نفسه إلا الشعور بالعجز والمرارة. لأن قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع، وتضمر وتموت على التقريع والتثبيط. وليس معنى ذلك ألا ينتقد الطفل أو يراجع إذا أخطأ، ولكن ما أبعد الفارق بين المراجعة فى رفق وحب ، وبين المراجعة فى لوم وتحقير.

* يجب أن يكون الآباء والأمهات ودودين ومتقبلين لأطفالهم، فإذا أراد الأطفال أن يتحدثوا عن أشياء تخصهم، أو طرح أسئلة تؤرقهم وجب على الآباء أن يسمحوا لهم ذلك، على أن ينصتوا إليهم جيداً. ومن المؤسف أن نجد بعض الآباء والأمهات يضيق ذرعاً بأبنائهم عندما يبدءون فى طرح

الأسئلة أو الاستفسارات عليهم، فالبعض يعتبر أن كثيراً من هذه الأسئلة، إنما تنطوى على مواقف محرجة أو مخجلة. وبالتالى فإنهم يشعرون بالعجز عن إعطائهم الإجابات الشافية لها، وخصوصاً حينما يسألونهم عن بعض الأمور الحساسة. ونحن من جانبنا نؤكد أنه لا يجوز - بحال من الأحوال - الاستهزاء ومن ثم الإهمال بأسئلة الأطفال، أو نهرهم عليها، بل ينبغى الإجابة عليها بقدر ما تسمح به عقولهم، وبشرط أن تكون صادرة من آباء وأمهات يميلون إلى إكساب أطفالهم العلم والمعرفة. أما الإسراف فى كبح هذا الدافع فيؤدى بالأطفال إلى الانحرافات. لابد إذا أن يتحلى الآباء والأمهات والمربون أيضاً بالصبر، لأن الطفل قد يرغب فى إعادة شرح حقيقة واحدة بعينها بكلمات مختلفة أو بعبارات متباينة، علماً بأن هذا الشرح لايكون مبعث ضيق أو ملل للطفل، لأنه يرغب فى سماع هذه الحقائق المرة تلو الأخرى حتى تصبح جزءاً من معرفته واعتقاده.

هذا. . وقد دلت البحوث والتجارب التربوية والنفسية أن التهرب من الرد على أسئلة الأطفال أو الناشئة، وتعمد تأجيل الإجابة عليها، إنما يتركهم عادة يعانون من مشكلات لايفهمون لها حلاً.

لابد أن نسلم فى النهاية بأن هناك من الأسئلة ما هو دقيق ومحرج، ويحتاج إلى إجابات واضحة ومفيدة. لذلك فإن عدداً غير قليل من الآباء والأمهات لايجدون - غالباً - إجابات تربوية سليمة. ومن هذا المنطلق لجأت كثير من الدول المتقدمة إلى إنشاء مراكز لتوجيه وإرشاد الآباء والأمهات بشأن مايقدمونه لأطفالهم من إجابات، لذلك نادى بضرورة إنشاء مثل هذه المراكز فى مصروفى سائر البلاد العربية أسوة بالدول المتقدمة، ولعل هذا المطلب الذى ننادى به من خلال هذا الكتاب يأتى مواكباً مع ازدياد المد المعلوماتى الذى جعل من عقلية الأطفال والناشئة أكثر وعياً وإدراكاً وذكاءاً، وهذا بالطبع يولد سيلاً جارفاً متدفقاً - لا ينحسر من الأسئلة والاستفسارات التى لابد أن

تلقى إجابات دقيقة وواعية وذكية ومنطقية. ليتنا ندرك أنه إذا استطعنا - منذ اللحظات الأولى لمولد الطفل ومابعدها - أن نثبت قدرتنا على إقناع الأطفال، فإنهم سوف يقبلون علينا لنرشدهم ونوجههم ، فنكشف عن أسرار الحياة التى يعيشون بكفنها، حياة القرن الحادى والعشرين، فنهدئ من شكوكهم، ونبصرهم بحقائق الأمور، لأنه علينا أن ندرك أن أطفال هذا الجيل لا يقتنعون بسهولة!!.

الفصل الرابع

اتجاه التفرقة

القسم الأول

مظاهر التفرقة فى معاملة الأطفال وآثارها السلبية

• ماهية التفرقة :

اتجاه التفرقة Attitud of Discrimination يتمثل فى تعمد عدم المساواة بين الأبناء جميعاً. وقد تكون التفرقة بينهم بسبب الجنس (ذكراً أم أنثى)، أو ترتيب المولود أو أى سبب آخر، وهو أسلوب لاتربوى بالقطع.

هذا.. ولقد أثبتت البحوث العلمية الحقيقة الجوهرية، وهى أن كل الشعوب على اختلاف أجناسها ودرجات وعيها وتعليمها تفضل إنجاب الأولاد الذكور على إنجاب الإناث وكان المتصور أن الشعوب الشرقية فقط، والدول النامية هى التى تسود فيها هذه الفكرة. حيث إن الأب يفضل إنجاب ابن ذكر، والأم أيضاً تفضل إنجاب ابن ذكر.

والأسرة عندما تنجب أولاداً من الجنسين لاتساوى فى المعاملة بينهما، دائماً الابن له امتيازات وتجاوزات، وإن اختلفت هذه الامتيازات والتجاوزات من أسرة إلى أسرة، ومن وسط اجتماعى إلى وسط آخر.

• مظاهر التفرقة :

إذا كانت التفرقة بين الأطفال بسبب الجنس فنجد الأسرة التى تؤثر الذكور على الإناث تميل إلى جانب الذكور غير عابئة بمشاعر الإناث، ولعلنا نذكر من واقع الحياة هذه الأمثلة الحية فإذا كان للولد والبنت لعبة خاصة لكل منهما، وقامت البنت باللعب بدميتها أو عروستها ثم يأتى أخوها ويأخذ منها دميتها بغير وجه حق، نرى أن الأم بدلاً من أن تنهر ابنها على هذا السلوك، إنما تنحاز إلى جانب ابنها فتقول لابنتها فى زجر : اتركى شقيقك يلعب بالدمية بعض الوقت!!، بينما إذا أخذت البنت حصان أو قطار أخيها تقول له الأم فى لهجة حازمة : دعى لعبة شقيقك.. أنت لك لعبك الخاصة.. لماذا تستولى على لعبته؟.. هيا اتركيها واعطيها له حالاً!!

وعندما يكبر الأطفال، فإنه يسمح للولد الذكر أن يقابل أصدقائه بالمنزل،

فى حين لا يسمح للبنت بذلك، كما أن الابن الذكر يعطى مصروفاً أكبر من البنت. وعندما تجلس البنت لاستذكار دروسها تطلب الأم منها أن تعد الطعام لأخيها، أو تنظم له غرفته، غير مكترثة بمستقبل ابنتها.

وهناك نوع آخر من التفرقة يحصل على أساس ترتيب الطفل، فإذا كان الطفل هو أصغر إخوته أو أخواته فتطبق الأسرة المثل الشعبى القائل: «آخر العنقود سكر معقود»، وبالتالى فهو يتميز عن جميع إخوته وأخواته فى الملبس والمصروف وكافة الامتيازات الأخرى باعتباره الطفل الأصغر، ويظل هذا الطفل صغيراً فى نظر أمه حتى بعد حصوله على شهادته الجامعية، حيث تصر الأم على تفضيله عن سائر إخوته وأخواته ذكوراً كانوا أم إناثاً. كما تعمل على أن تقدم له كل الامتيازات التى كان يتمتع بها وهو بعد طفل صغير، فهذا الطفل بعد أن كبر وشب عن الطوق وأصبح موظفاً له راتب معقول تصر الأم على الإغداق عليه مادياً ولو كان من قوت الآخرين من إخوته الكبار، وعندما يهم ويقرر الزواج نرى الأم تساهم فى تدعيمه مادياً ومعنوياً دون سائر إخوته وأخواته وهكذا.

• الآثار السلبية للتفرقة:

الفتاة أو البنت التى تتعرض لهذه التفرقة قد تتقبل الوضع الذى يسود الأسرة على أنه الوضع الطبيعى، وتكبر وتشب راضية قانعة حتى وإن كانت تحس بالنقمة والكمد والغيرة فى داخلها، وعندما تتزوج ، تتعود الخضوع لزوجها، والطاعة والامتثال لأوامره، لاتثير جدلاً أو مناقشات أو متاعب، ولاتجاهد دائماً لكى تثبت شخصيتها . وعندما تنجب تكون دائماً إلى جانب الابن وتحابيه على حساب البنت. ولكن كل ذلك يحدث إذا كانت أم تلك الفتاة راضية بوضعها القاسى.

أما إذا كانت الأم متمردة كان موقف الابنة عندما تتزوج غير ذلك وأحياناً يحدث العكس تماماً، فعندما تتعرض البنت داخل أسرتها لتفرقة فى المعاملة،

وكانت من النوع المتمرد تثور وترفض الوضع القائم، وتحاول مقاومته بكل ما تملك من قوة، فإنها تثير المشكلات والمتاعب مع إخوتها الذكور، وتحاول دائماً أن تتصرف بنفس أسلوبهم ، والحصول على نفس الحقوق التى يمارسونها، وهى عندما تصل لسن الزواج تتمسك بأن يكون لها رأى فى اختيار الزوج، وتقدم شروطاً مسبقة لقبول الزوج تؤكد فيها شخصيتها والتمسك بحريتها وحقوقها.

وحتى فى حياتها الزوجية تنشد دائماً المساواة، وتسعى إلى أن يكون لها رأى فى كل موضوع، وقد تفسد حياتها الزوجية بكثرة الجدل والمناقشة فى كل صغيرة وكبيرة، وخاصة إذا كان الزوج من النوع الذى تعود داخل أسره، وهو صبى وشاب أن تكون له معاملة خاصة مميزة.

وهذه الزوجة عندما تنجب تحاول ألا تكرر المأساة فى حياة بناتها، فنجدها دائما تردع الأولاد، وتنتصر لبناتها، وتنحاز أحياناً إلى جانبهن حتى لا تقاسى واحدة منهم ما قاسته هى من متاعب نفسية.

كما يترتب على هذه المعاملة التى تتسم بالتفرقة إنتاج شخصيات أنانية حاقدة، تتعود الأخذ دون أن تتعود أن تعطى أيضاً، تستحوذ على كل شئ لنسها، أو على أفضل الأشياء لنفسها حتى ولو على حساب الآخرين. شخصيات مريضة تصر على عدم إنهاء واجبات الآخرين نحوها فهى دائماً لا ترى إلا ذاتها واحتياجاتها دون اعتبار أو انتباه لواجباتها هى نحو هؤلاء الآخرين. شخصيات تعرف مالها ولاتعرف ماعليها، تعرف حقوقها ولاتعرف واجباتها.

القسم الثانى

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب التفرقة فى معاملة الأطفال

* اختلاف معاملة كل من الوالدين للطفل من حنوٍ زائد على أحدهما إلى قسوةٍ صارمة على الآخر، أو بتفضيل الذكر على الأنثى من أحد الأبوين يؤدى إلى شعور الأبناء بعدم الإحساس بالأمن ويتولد لديهم الإحساس بالقلق النفسى والاكتئاب، وفى بعض الأحيان يؤدى إلى الانحراف فى السلوك. لذلك فعلى الآباء والأمهات أن يُعاملوا الأبناء معاملة واحدة بلا تفرقة فيها الحب والحنان والحزم، فيها الاحترام، والتقدير لشخصية الأبناء جميعاً دون تفرقة بينهم، فيشبوا جميعاً ولديهم المبادئ القوية التى يكون شعارها أن يحترم الصغير الكبير، وأن يعطف الكبير على الصغير ويساعده وبذلك ينشأ الأبناء فى جو أسرى شعاره المحبة والتعاون والاحترام.

* التفرقة فى المعاملة فى المدرسة أيضاً تؤدى إلى إحساس الطفل بالظلم وعدم العدل فى المعاملة فتنبت جذور الغيرة فى الأطفال وهو شعور مؤلم يشعر صاحبه بعدم الرضى والحقد على الآخرين والإحساس الدائم بأنه مظلوم، ومن هنا تبدأ الاضطرابات النفسية التى تعوق نموه النفسى وتحصيله الدراسى وتزداد هذه الاضطرابات مع مرور الزمن ما لم تعالج فور ظهورها. لعلنا نؤكد أن حرمان الطفل من العطف والرعاية ومن المصروف الشخصى أو من الأصدقاء، كلها أوضاع تؤدى إلى التمرد النفسى الذى يتجلى فى الاهمال والتأخر الدراسى، وأحياناً تنحرف متغلغلة فى العقل الباطن إلى نوع من الاحتجاج يظهر فى الإصابة أحياناً بمرض التبول اللاإرادى.

إنها أخطاء تربوية يتبعها فى المدرسة المعلمين والمعلمات، ويسير على نهجها فى المنزل الآباء والأمهات، لذا . . فنحن نحذر من مغبة شعور الطفل بالتفرقة فى المعاملة بينه وبين زملائه وإخوته أو أخواته، والمطلوب أن يغير الكل من تلك الأساليب التى تتسم بالتفرقة فى المعاملة.

* من أكبر الأخطاء التى يقع فيها الآباء والأمهات على حدٍ سواء هو عقد مقارنات بين الأطفال وإخوتهم أو أخواتهم، لأن ذلك من شأنه أن يدمر

أواصر الحب والألفة بين الإخوة والأخوات، ويشعل فى نفوسهم لهيب الغيرة الهدامة التى تنعكس - بصورة غير مرغوب فيها - على تطوراتهم السلوكية، حيث يجتاحهم شعور دائم بالخطر وعدم الاستقرار.

إن الطفل ليكون أشد احتياجاً لأن يشعر بأن أسرته وأهله يحبونه كما هو، ويتقبلونه لذاته دون أن يكدروا عليه صفو حياته. ولذا يتعين على الآباء والأمهات اختيار الكلمات وانتقاؤها، للتعبير عن وجهة نظرهم فيما يصدر عن الطفل من سلوك، بحيث يشعر بمدى حب الوالدين الصادق له واهتمامهما به. كما أنه يمكن إظهار مشاعر الحب للطفل عن طريق إبراز مالديه من صفات طيبة أو قدرات عالية أو مهارات متقنة أمام الأهل والأصدقاء، بما يكسبه الإحساس بالأمن وإدراك قدراته واستبصاره السليم لذاته.

* عدم إهمال ذات الطفل مهما كانت الأسباب أو الظروف، والعمل على إثباتها وتدعيم إحساس الطفل بأن له وجوداً وكياناً لا يمكن إهمالهما أو الاستغناء عنهما، ومساعدته على تبديد طاقاته الكامنة، عن طريق إتاحة الفرص لممارسة أنواع مختلفة من الأنشطة.

الفصل الخامس

اتجاه المحاباة

القسم الأول

أسباب ومظاهر المحاباة
فى معاملة الأطفال

• ماهية المحاباة:

الحياة بدون حب سقيمة ومقفرة، والأسرة المتماسكة ينشأ الحب بين كل أفرادها بطرق تلقائية، أما الأسرة المنقسمة على ذاتها غير المترابطة فغالباً ما يكون الحب فيها للبعض دون البعض الآخر فيسود الجو الأسرى ما يعرف بالمحاباة.

والمحاباة - لسوء الحظ - واسعة الانتشار ، وإن كان الآباء والأمهات ينكرونها بشدة، لأنهم يقدمون عليها دون أن يشعروا، غير أن الآخرين - ومن بينهم الطفل بالطبع - يرون مواقف المحاباة والتفرقة بين الأبناء واضحة وجلية.

• أسباب المحاباة:

تنشأ المحاباة لأسباب متعددة، فإذا كانت الأم مثلاً قد ولدت عدداً من الإناث ثم ولدت طفلاً ذكراً بعد ذلك، فالأرجح أن يلقى هذا الطفل معاملة خاصة . كذلك إذا ولد طفل بعد انقضاء سنوات طويلة على ميلاد الطفل السابق، وخاصة إذا كان الوالدان ينتظران مجيئه بلهفة، فمن المحتمل أن يعامل الوليد الجديد معاملة تنطوى على قدر كبير من المحاباة.

وقد يحابى الأبوان طفلاً تعرض لمرض معين، أو طفلاً ولد قبل استكمال مدة حمله، كذلك فإن الطفل الذى منحته الطبيعة تقاطيع أجمل، أو ذكاء أكبر من سائر إخوته وأخواته فقد يعامل معاملة خاصة. كما أن الطفل الذى يبدى من الحب لأحد الأبوين أكثر مما يبديه الآخر (ولو لبعض الوقت) يعامل معاملة تختلف عن سائر إخوته أو أخواته.

هذا، وقد تتطور المشكلة عندما ترى الأم أن الأب يحابى أحد الأطفال، فتضم الطفل الآخر إلى جناحها وتحابيه بدورها، كذلك فقد يكون للجدين أو لبعض الأهل والأصدقاء دور فى ظهور مشكلة المحاباة.

• مظاهر المحاباة :

تتجلى مظاهر المحاباة فى مواقف كثيرة نذكر منها : قد يسمح للطفلة أو للطفل المفضل بالقيام بأعمال معينة، بينما لا يسمح للأطفال الآخرين بممارستها . وعندما يقع الطفل المفضل فى مأزق مع أحد الوالدين، يهب الآخر لنجدته، وينبرى للدفاع عنه، ويتصدى لمنع المزمع تنفيذه معه، أما فى حالة الطفل غير المفضل فقد يتبارى الوالدان فى إدانته ومن ثم عقابه .

وحينما يعرض الطفل المفضل على والديه بعض المسائل أو الأسئلة التى تتعلق بمادة دراسية معينة لتوضيحها أو تفسيرها نرى أن الوالدين يسارعان إلى إجابة مطالبه بمساعدته بكل اهتمام، وقد يصل الأمر فى بعض الأحيان إلى الاستعانة بمعلم خصوصى، بينما إذا طلب الطفل غير المفضل ذلك، نجد أن والديه لايكترثان بل ويتهمانه بالاستهتار وعدم التركيز فى أثناء الحصة لشرح المعلم أو المعلمة الأمر الذى ترتب عليه عدم فهمه لتلك الأسئلة أو المسائل .
وإذا طلب منهما الطفل المفضل الخروج إلى نزهة بصحبة بعض رفاقه استجابا له ووفرا كل السبل كى يستمتع بهذه النزهة، بينما يرفضان رفضاً باتاً طلب الآخر فى السماح له بالخروج إلى إحدى النزهات داعمين رفضهم بمبررات وأسباب واهية وغير مقنعة وهكذا تتعدد المواقف الأسرية التى يتم فيها محاباة طفل على حساب طفل آخر .

القسم الثانى

الآثار السلبية لمحاباة الأطفال
وأهم الحلول المطروحة

• الآثار السلبية للمحاباة :

مما لاشك فيه أن المحاباة تؤثر على الطفل المفضل تأثيرا سيئاً، إذ يصبح طفلاً مدللاً ميالاً إلى الخروج على النظام ، وإصدار الأمر إلى إخوته وأخواته، وأصدقائه وزملائه أيضاً، وبالتالى، فإنه يكتسب كراهيتهم له.

كما تؤثر المحاباة تأثيراً نفسياً ضاراً على الطفل غير المفضل ، فهو يشعر بأنه غير مرغوب، والتالى ، فإنه يصاب ببعض الظوهر أو العلل النفسية السيئة كالتوتر Tension، الذى يؤدى إلى اختلال التوازن النفسى والفسيولوجى الذى يؤدى إلى الاضطرابات النفسية والعقلية. وكذلك القلق Anxiety ، والذى هو عبارة عن حالة انفعالية تنشأ فى مواقف الخطر الوشيك وتفصح عن نفسها بتوقع أحداث غير مرغوب فيها، وعادة ما يرتبط القلق عند الإنسان بتوقع الفشل فى التفاعل الاجتماعى. وقد يفصح القلق عن نفسه فى شكل شعور بالعجز، وعدم الثقة بالنفس . والقلق يعبر عن نفسه، سلوكياً، فى النشاط المضطرب بوجه عام. وأيضاً قد يصاب الطفل بالاكتئاب Depression وهو حالة من الاضطراب النفسى تبدو وأكثر وضوحاً فى الجانب الانفعالى لشخصية الفرد، حيث يتميز بالحزن، واليأس، ووخز الضمير وتبكيته على أفعال لم ترتكبها الشخصية فى الغالب.

والطفل غير المفضل يميل إلى الحقد والكراهية تجاه إخوته وأخواته الذين يعاملون من جانب الوالدين بنوع من المحاباة. كما أنه يأتى بأساليب سلوكية مرضية الكتبول اللاإراى Enuresis ، وهى حالة تبول بعض الأطفال أثناء نومهم أو فى حالات اليقظة فى سن يتوقع فيه أن يكونوا قد ضبطوا جهازهم البولى. ومن الأسباب النفسية للتبول اللاإرادى : الخوف. وقد تكون الحالة الانفعالية للطفل سواء فى إحساسه بالنبذ أو بالتهديد أو فقدان الأمن أو فقد ثقته بنفسه عاملاً من عوامل الاستجابة بالتبول اللاإرادى ، وهى بالطبع

تتطلب تعديل معاملات الآباء أو الأمهات السيئة التى تنطوى على تفرقة أو محاباة.

والطفل الذى يقهره اتجاه المحاباة فى المعاملة الوالدية قد يتخذ موقف المعارضة من أبويه، ونراه يعصى أوامرهما، كما يتمنى الابتعاد عن المنزل، لأنه يريد أن يبحث عن الحب والحنان فى بيئات أخرى، ومع أناس مغايرين، وهو طفل لايفتح قلبه لوالديه، ومن ثم يصبح فيما بعد غريباً عنهما. وهنا تنشأ حلقة مفرغة : إذ كلما نقص ما يبديه الطفل نحو والديه من حب ، كلما نقص حب والديه له، على حين أن الطفل المفضل يبدى لوالديه حباً شديداً نتيجة إيثاره وتفضيله عن الآخرين، وبالتالى ينال مزيداً من الحب والحنان.

• أهم الحلول المطروحة :

نحن لا ننكر أن تجنب المحاباة على طول الخط أمر صعب، لأنه من المتعذر توفير المساواة المطلقة بين الأطفال فى أية أسرة، بل إنها - إحياناً - تكون غير مطلوبة، فليس من المفروض عندما نقيم حفل عيد ميلاد مثلاً لأحد الأبناء، أن نقدم لجميع الأبناء الآخرين هدايا مماثلة ، لأن عليهم أن يدركوا أن دورهم سيأتى، كما أن حب والديهم لهم ثابت لايتزعزع، ولكن ينبغى - بقدر الإمكان - أن نبتعد عن كل الأسباب التى تؤدى إلى المحاباة والتفرقة فى المعاملة بين الأبناء.

وعلى الوالدين أن يراجعا نفسيهما بطرح هذه الأسئلة ومثيلتها من حين لآخر، ليكونا على يقظة ووعى تام بهذا الموضوع.

* هل نحن نعاقب أحد الأطفال - إذا ارتكب خطأ - أكثر مما نعاقب الآخر - إذا ارتكب نفس الخطأ ؟

* هل نتسامح مع طفلنا الأصغر، ولانتسامح - بالقدر نفسه - مع طفلنا الأكبر؟؟

* هل نحن على استعداد للعب مع بعض الأطفال أكثر من غيرهم؟

* هل نحن نداعب أحدهم أكثر مما نداعب الباقين؟

الفصل السادس

اتجاه النقد والسخرية

القسم الأول

الآثار السلبية للنقد والسخرية على نفسية الأطفال

• ماهية النقد والسخرية:

من الأشياء التى تفقد الطفل إحساسه بالأمن النفسى والطمأنينة، الإفراط فى النقد أو البحث عن الأخطاء وتضخيمها ، الأمر الذى يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هناك أقارب يعيشون فى نفس المنزل، كالجد أو الجدة فيشاركون فى توبيخ الطفل وتأنيبه.

وللسخرية أيضاً أثرها البالغ فى فقدان الطفل إحساسه بالأمن والاطمئنان، وعلى ذلك فلا يجوز أن نسخر من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله، كما لا يجوز أن نناقش عيوب الطفل أمامه، لاسيما فى وجود أشخاص غرباء.

ومن الأسباب الأخرى لفقدان الأطفال الصغار إحساسهم بالأمن وانعدام ثقتهم بأنفسهم مايطلقه الكبار عليهم من أوصاف، فكثيراً ما يصف الآباء والأمهات أو الأقارب أحد الأطفال بأنه «خائب» أو «سيئ الخلق» أو «غبى» أو «فاشل» فهذه الأوصاف - وغيرها - تؤدى إلى فقدان الشعور بالأمن والاطمئنان، بينما تطلق عكس هذه الأوصاف على أخيه أو أخته، مما يزكى شعور الطفل بالغيرة والنفور والكراهية.

• الآثار السلبية للنقد والسخرية:

هناك بعض الأطفال يميلون إلى اختيار السلوك الانسحابى حينما يشعرون بأنهم ضحية للنقد القاسى والسخرية اللاذعة التى تصدر من الآباء أو الأمهات. وحينما يصبح الطفل منسحباً فإنه يتجنب التعرض للناس أو للمواقف أو الأشياء التى تثير فى نفسه القلق والضيق بعد أن حدث له إحباط حاجات تتعلق بها. وإذا اضطرته الظروف إلى مواجهة هذه المواقف انطوى على نفسه وتقوقع وعاش مع الناس دون أن يتعايش معهم.

ومثل هؤلاء الأطفال ينفرون من الاحتكاك بزملائهم، وهم فى أغلب

الأحيان يلعبون بمفردهم، وعادة يذهبون إلى المدرسة أو النادى ويعودون منها إلى المنزل بمفردهم.

والطفل المنسحب يعوض النقص فى الاشتراك فى الموضوعات الخارجية بخلق موضوعات خيالية يتعامل معها، فهو يميل إلى الخيال، وقد يؤدى ذلك إلى تحويل اهتمامه إلى الفن والقراءة وحب الطبيعة، فيهتم بهذه الموضوعات أكثر من اهتمامه بالأشخاص.

وفى الغالب ما يكون هذا النوع الانفرادى من السلوك نتيجة عدم الوفاء ببعض الاحتياجات العاطفية كالحب والحنان والقبول والأمن، ولكثرة مايلاقونه من نقد وسخرية.

وبعض هؤلاء الأطفال الانعزاليون لهم صديق واحد فقط، وهم يرون أن ذلك مناسب تماماً، ويستطيع الآباء والأمهات أن يلاحظوا فى سلوك الطفل الانعزالى أو الانسحابى ما إذا كان السلوك الانعزالى مبعث سرور للطفل نفسه، أم أنه تباعد عن صراع ما ، أو أنه مضطر إلى ذلك تجنباً لمواقف يشعر أنه فى غنى عنها والأفضل له تجنبها.

إننا نعتقد أن كثيراً من الأطفال الانعزاليين الهامشيين هم أطفال لم يوف بإحتياجاتهم العاطفية، كما أنهم يعانون سلبيات المعاملة الوالدية المتمثلة فى النقد والسخرية التى تنال من شخصياتهم.

القسم الثانى

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب النقد والسخرية فى معاملة الأطفال

* أحياناً يتوقع الآباء أو الأمهات من أطفالهم تحقيق مستويات معينة، قد تكون أكبر من إمكاناتهم أو قدراتهم الحقيقية، فإن حصلوا على درجات تحصيلية أقل من المتوقع مثلاً، فإن الآباء يثورون وينهالون على أطفالهم باللوم والنقد والسخرية. إن الأطفال - بطبيعة الحال - يبغون إرضاء والديهم، ولذلك فهم يحاولون شحذهممهم، ويهيئون كل طاقاتهم لتحقيق أمنيات والديهم، ولايخلو هذا الأمر من خطورة على صحة الأطفال النفسية، لأن كابوس الخوف من الفشل يظل يلازمهم تحسباً لنبذ الآباء أو نقد الأمهات أو سخرية الأهل والأصدقاء.

إن مطالبة الأطفال بتحقيق أهداف تفوق مستوياتهم أو قدراتهم الطبيعية لهو الطريق الممهد لإصابة هؤلاء الأطفال بالقلق والإحباط، ولذا نجد الأطفال الذين يثقل كاهلهم بالمطالب عسيرة التحقيق، يعانون من الانزعاج والتوتر بصورة مستمرة، كما أنهم يميلون إلى التقليل من قيمة إنجازاتهم ، إذ يعتقدون أنهم مهما أجادوا اليوم، فقد يكون الفشل هو مصيرهم فى اليوم التالى، وذلك يسبب إيذاءً لمشاعر والديهم!!

* لايجوز إظهار الأطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم أو السخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة، فالسماح له بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة - أحياناً - يعتبر أمراً صحياً.

* منح الطفل الثقة بذاته من خلال انفتاحه على الخبرات والتدرج فيها، ويتطلب ذلك عدم السخرية من أفعال الطفل وسلوكه وتفكيره أثناء لعبه الحر، هذا بالإضافة إلى عدم تعويقه أو تثبيط همته خلال أى عمل يقوم به يسهل سبل النشاط أمامه.. طالما أن هذا النشاط أو اللعب يتيح له إمكاينة المرور فى خبرات مأمونة العواقب. هذا مع البدء مبكراً فى تنمية الاستبصار بالذات لديه لديه حتى يتعود على عملية تقييم مالديه من قدرات وإمكانات تقييماً واقعياً،

نعكس آثاره فيما قد يصنعه لنفسه من أهداف، بحيث تأتى هذه الأهداف ات إمكانية تحقيق عالية مما يثبت الثقة فى نفسه، وتستطيع الأم أن تشرك طفل معها فى بعض الأعمال البسيطة المتصلة بإشباع حاجات الطفل لشخصية، وهذا الإشراك فى العمل البسيط الخاص بالطفل سوف يساعده على النمو المتكامل. يضاف إلى ذلك مراعاة التدرج فيما يقدم للطفل من مهارات حركية بحيث مع مراحل نمو الطفل تلافياً لموقف الإحساس بالفشل والإحباط التى يعيشها الطفل عندما يجد نفسه مطالباً بأداء حركات تفوق طاقته ومرحلة نموه وتتطلب منه قسطاً من الضبط أو السيطرة البدنية لاتتوافر لديه، ولا شك أن التدرج مع الطفل فى هذا الناحية يكفل الانتقال الطبيعى من مستوى إلى آخر مع الاستمتاع بكل مستوى يعيشه أو يجتازه. وبذلك نكون قد أعطينا للطفل فرصة ليثق بذاته وقدراته من خلال مروره بهذه الخبرات والنجاح فيها.

* الابتعاد عن كل مايجعل الأبناء يحسون بأننا لا نثق بهم، كأن تتم مراجعتهم باستمرار فيما يفعلونه من استذكار أو أنشطة، كما ينبغى الابتعاد عن كل الأساليب التى تقلل من شأنهم، وتفقدهم احترامهم لذواتهم.

* لابد أن نعى أن التشجيع يصنع المعجزات، فى حين لا يؤدى الغضب والضيق وتثبيط الهمة والنقد والسخرية إلا إلى الإضرار بالطفل، فمن السهل أن نقول للطفل : «أنت طفل لا فائدة منك» ، أو نقول له : «إن متاعبك أكثر من نفعك»، عندما يفقد الطفل إحساسه بالثقة فى النفس، وبالتالى يحس أن البيئة الأسرية لاتوفر له حاجته إلى الأمن والأطمئنان.

* إذا كنا نعترض على ما يفعله الطفل من سلوك ، فيجب أن تكون هذه المعارضة منصبة على السلوك وليس على شخصية الطفل، الأمر الذى يجعل الطفل يؤمن بأنه محبوب من الجميع بالرغم من عدم الرضا عن سلوكياته

وتصرفاته الخاطئة. كما ينبغى أن يدرك الآباء والأمهات أنه ليس هناك أى تعارض فى تصحيح أخطاء الطفل مع إشعاره دائماً بحبنا له، بمعنى أنه يمكن أن ننهر الطفل وننقده لسوء سلوكه، ثم نقدم له كلمات الحب، ونحن نقوله له : «يهمنا أن نصحح سلوكك لأننا نحبك»، . .«نحبك حتى لو أدت تصرفاتك إلى إغضابنا»، . . «نحبك حبا مستقلاً عن سلوكك». . وبذلك يحاول الطفل أن يعدل من سلوكه، عن اقتناع وليس عن رهبة.

الفصل السابع

اتجاه الرفض والنبذ

القسم الأول

ماهية اتجاه الرفض والنبذ فى معاملة الأطفال وأهم أسبابه

• ماهية الرفض والنبذ :

أشار «ماكورد» Mccord ورفاقه فى دراستهم لمجموعة من الصبيان المعتمدين على الآخرين بشكل مفرط إلى تميز علاقاتهم مع الأم بالقلق. ويعرب غالبية هؤلاء الصبية عن الشعور بالدونية والخوف الذى لا مبرر له، فهم يعانون من رفض ونبذ من قبل الأهل، ومن مقارنة مجحفة بينهم وبين إخوتهم أو أخواتهم. وهم دوماً فى الجانب السلبى، بينما يكون الأخ أو الأخت موضوع المقارنة فى الجانب الإيجابى. ولقد لاحظ هؤلاء الباحثون أن العلاقات العائلية لهؤلاء الأطفال تتسم بالمشاجرة والخلاف.

وتشير هذه الأبحاث وما أسفرت عنها من نتائج إلى أن ميل الطفل إلى الاعتماد المفرط على الاخرين، وضعف قدرته على الاستقلالية لاينتج عن محبة زائدة أو مبالغ فيها من قبل الأهل، وإنما يكون ذلك نتيجة لعلاقة مضطربة مع الأهل خصوصاً مع الأم : فالعامل الأهم الذى يحدد استقلالية الطفل وتطور قدرته فى الاعتماد على الذات يكمن فى طبيعة العلاقة القائمة بين الطفل والأم. فالطفل الذى يعانى من الحرمان، ومن قلة الحنان والمحبة، يكون شديد الاعتماد على الآخرين بخاصة على الأم. فهو يطلب الكثير كما لو أنه يريد بذلك أن يبرهن على مدى استجابة الأم، ومدى تفهمها له، وقبولها إياه، وبذلك يريد أن يجذب انتباهها واهتمامها، وغالباً ما يضيق صدرها به ويقل صبرها، وهكذا يستقر الاثنان فى حلقة مفرغة ، وفى علاقة قلقة مضطربة.

• الأسباب التى تدعو الطفل إلى الشعور بأنه مرفوض أو منبوذ :

١ - إهمال الطفل وعدم الاكتراث به، ويتمثل ذلك فى عدم السهر على راحته، وعدم إشباع حاجاته البيولوجية من طعام وشراب ونظافة.. أو الحاجات السيكولوجية من حب وأمن وانتماء وتقدير ذات .. إلخ.

٢ - انفصال الطفل عن والديه، فالطفل الصغير يتألم أشد الألم لانفصال أمه عنه، حتى إن كان لفترات قصيرة من الوقت، فإن هذه الفترات كافية لأن تشعره بالقلق والضيق، وقد يحدث فى بعض الحالات أن يؤدى بُعد الأم وتغيبها عن الطفل إلى نوع من الاستثارة الانفعالية، تكون أحياناً على شكل صراع أو ثورات غضب وعصبية.

٣ - التهديد المستمر بتوقيع العقاب البدنى المؤلم.

٤ - التهديد بالطرد من المنزل ، أو الحرمان من نزهة، أو إرساله إلى إحدى المدارس الخاصة أو الداخلية، أو تسليمه إلى رجل الشرطة (العسكرى) إذا هم الطفل بارتكاب خطأ ما.

٥ - كثرة التحذيرات ، فإذا ما طلب الطفل أن يخرج للعب مع رفاقه خارج المنزل هدده الأبوان بأن ذلك سوف يعرضه للحوادث، أو غير ذلك من التحذيرات المتعلقة بالطعام كأن يقال له إن تناول الطعام (الفلانى) سوف يصيبك بمرض خطير. إن هذه التهديدات والتحذيرات على مستوياتها المختلفة تثبت فى عقل الطفل، وترتبط بمثيرات معينة، وتصبح فيما بعد مصدراً للفزع والضيق وعدم الشعور بالأمن.

٦ - إذلال الأطفال بصور متعددة : كالنقد والسخرية، أو اللوم، أو المقارنة المجحفة بينهم وبين الآخرين فى أمور تقلل من شأنهم فى نظر أنفسهم، أو إطلاق أسماء أو ألقاب تهكمية عليهم.

٧ - أن يسود سلوك الأم الضجر والتذمر، وهى تقوم بإشباع حاجات الطفل.

٨ - عدم حماية الأطفال، وعدم الاهتمام بشوؤنهم ومصالحهم كأن يوضع سرير الطفل فى مكان معرض لتيار الهواء، أو إهمال الإجابة عن أسئلته، أو نسيان أعياد ميلاده، أو عدم التعقيب على تقارير المدرسة، أو عدم مديح الطفل إذا ما حصل على جائزة تدل على تفوقه.

القسم الثانى

الآثار السلبية للرفض والنبذ
على نفسية الأطفال

• الآثار السلبية للرفض والنبذ :

* الكراهية Hate من المشاعر الأليمة التى يعانى منها الطفل فى تنشئته بين أفراد أسرته، وتربيته وتعليمه فى مدرسته وبين زملائه من التلاميذ، وتنشأ الكراهية عندما يحس الطفل بأنه مكروه من أفراد أسرته أو منبوذ من زملائه لأى سبب من الأسباب، وإذا سيطرت هذه المشاعر أو الأحساس على الطفل انهارت معنوياته وتصدعت شخصيته وصار فريسة لعدد كبير من الآلام النفسية ثم اضطراب الشخصية، وقد ينتهى به الأمر إلى الإصابة بالعقد النفسية.

وقد تتولد الكراهية أيضاً فى نفس الطفل من عدم رغبة الوالدين أحدهما أو كليهما فى الإنجاب، فيفاجئان بوجوده، فيقابلانه بفتور وعدم اهتمام، مما يؤثر فى نفسية الطفل ويجعله يشعر بأنه مكروه من أهله غير مرغوب فيه، وقد يحدث الأمر أيضاً عندما يكون الوالدان يريدان ولداً فتأتى البنت أو العكس فيخيب أملهما ويقابلان المولود بشئ من الفتور وعدم الاهتمام.

* الطفلة أو الطفل فى حالات الرفض والنبذ يشعر بعدم الأمان. فيصاب باستياء بالغ من أبويه، ومن ثم تنشأ حلقة مفرغة بين الوالدين والطفل، فالطفل يبدى عدم تعاطفه أو عدم اهتمامه أو تأثره بوالديه، وهم بدورهم يبادلونه نفس المشاعر، ومن هنا يفقد الطفل ثقته بأسرته، كما تداهمه حالة من الغيرة الشديدة تجاه إخوته أو أخواته المفضلين عليه، بدنياً أو لفظياً، كما يحاول إفساد كل شئ، ولايحترم النظم السائدة من حوله، فيميل إلى التمرد والعصيان، وإلى اختراق كل الأساليب المتبعة فى المنزل، فهو متمرد ومشاكس وعدوانى.

* وقد يسلك بعض الآباء مع أبنائهم أنماطاً مختلفة من السلوك تدفعهم إلى الشعور بأنهم مرفوضين أو منبوذين وغير مرغوب فيهم، وكلما تكرر هذا السلوك - وخاصة فى المراحل الأولى من حياة الطفل - كلما أثر ذلك تأثيراً

مباشراً وبالغاً فى تكوينه النفسى، لأن الطفل فى هذه الفترة من فترات النمو يعتمد اعتماداً كلياً على والديه، إذ يطلب منهم العطف والحب والرعاية والحماية.

* هناك عدد من الآباء والأمهات ينبذون أطفالهم سواء بالقول أو الفعل، الأمر الذى يترتب عليه افتقادهم الإحساس بالأمن النفسى والطمأنينة، فتنمو لديهم روح العدوانية والرغبة فى الانتقام، وزيادة حساسيتهم فى المواقف المختلفة ليصبحوا عنيدين وأنانيين. وقد يؤدى هذا النبذ إلى انحرافهم أو جنوحهم إلى الاستكانة والاستسلام، فيصيروا جبناء فى تصرفاتهم، لايستطيعون التركيز الذهنى فيما يكلفون به من أعمال، مما يؤدى إلى تخلفهم عن أقرانهم فتظهر لديهم اضطرابات الشخصية فى المراحل التالية لنموهم.

* الطفل غير المرغوب فيه أو المنبوذ يكون دائم الملاحظة لوالديه، شديد المراجعة لهم، فهو يتتبع خروجهما وعودتها بتلهف شديد وقلق زائد.

كما يقوم مثل هذا الطفل بعدة محاولات ليكسب بها حب والديه، وذلك بسبب ما يشعر به من أنهما لا يبادلانه الحب، ويلاحظ أنه بقدر قلة حب الآباء والأمهات لأبنائهم، بقدر مايتعلق الأبناء بهم. وهناك ظاهرة تتعلق بنقص الحب والرعاية، فإذا عجز الطفل عن الحصول عن حب أمه مثلاً، فإنه فى بعض الأحيان يلجأ إلى سرقة شئ عزيز لديها ويحتفظ به بعيداً عنها، وفى العادة لايكون للشئ المسروق قيمة مادية تذكر، والطفل يضع الشئ المسروق فى مكان أمين، ويتفحصه بشوق واهتمام كلما مر بمواقف محبطة أو مؤلمة، ويجد فى الاحتفاظ به رمزاً لاستمرار العلاقة، ولهذا يحرص عليه جداً، وإذا فقده فإن علاقته بموضوع حبه واهتمامه تتهدد.

* يقوم الطفل بأنواع من السلوك يقصد بها لفت نظر والديه كالصراخ أو الضحك بصوت مرتفع، أو القيام بنشاط زائد، أو كثرة الشكوى والتذمر، أو

التخريب، أو إتلاف أدوات المنزل والأثاث، أو السرقة، والطفل يقوم بذلك السلوك إما ليلفت الأنظار وبالأخص نظر والديه، وإما لينتقم منهما. فإذا قام الطفل بإتلاف أدوات أو أثاث المنزل، فإنه يعرف جيداً أن والديه سوف يشتريان بدلاً منها، وفى هذا عقاب لهما!!

*وفى حالات أخرى يعرض الطفل المنبوذ نفسه للجروح أو الكدمات، ليلفت الأنظار إليه، وذلك حتى يعنى به الأبوان، وقد يتمادى الطفل فى تلك التصرفات فنراه يدعى المرض بصفة متكررة، أو يمتنع عن الطعام، أو قد يتبول لا إرادياً، وهى ظاهرة تنم عن اضطرابات نفسية.

* القيام بسلوكيات تتميز بالمقارنة والعدوان والثورة والعناد، وهؤلاء الأطفال الذين يشعرون بالنبذ أو الرفض يكونون فى الغالب مصدر شغب وتعب سواء فى البيت أو المدرسة، كما أنه ليس من السهل إخضاعهم للسلطة.

* يقوم هؤلاء الأطفال بسلوكيات تنم عن حقدهم على المجتمع وتعديهم على السلطة ، إن سلوكهم يكشف عما يعانونه من المرارة والحقد والغيرة وعدم الرضا.

القسم الثالث

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب الرفض والنبذ فى معاملة الأطفال

تؤكد الدراسات أن الحب يلعب دوراً كبيراً ومهماً فى نشأة الشخصية Per-sonality ، وفى تشكيل مفهوم الذات Selt Concept بحيث إن إحباط الحاجة إلى الحب يؤدى إلى تدهور الحالة النفسية والجسمية للفرد.

والحب الذى نعنيه.. هو قبول الطفل، ورضا المحيطين عنه، وتجاوبهم معه، والاعتزاز بكينونته وشخصيته، والنظر إليه بنوع من السماحة التى تغفر له أخطاءه، وتزكى حسناته ، بحيث يشعر الطفل بأنه محبوب أى مرغوب فيه، وأن له ظهراً يحميه ويسانده ويؤازره.

ولقد كشف علماء النفس عن أن الطفل ليس محتاجاً فقط لأن يحب ، بل هو محتاج أيضاً أن يُحب، ذلك الحب الذى يمثل عاطفة متبادلة بينه وبين أسرته وكل المقربين إليه، سواء فى محيط العائلة، أو المدرسة، أو النادى... إلخ.

وقد ثبت أن إحساس الطفل بأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ يحطم روحه المعنوية، ويجعله ينطوى على نفسه، فيزداد إحباطه وقنوطه، وبالتالى تسوء صحته النفسية، وهو الأمر الذى ننهى عنه ونحذر منه على طول الخط.

الحاجة إلى الحب هى أهم الحاجات النفسية والوجدانية التى يسعى الطفل إلى إشباعها. فهو يحتاج إلى الشعور بأنه محب ومحبوب ، والحب المتبادل بينه وبين أفراد أسرته حاجة ضرورية لصحته النفسية، لأنه يريد أن يشعر بأنه غير مرغوب فيه، وبالتالى ينتهى إلى جماعة أو بيئة تحبه وتمنحه العطف والحنان.

والحب للطفل هو الغذاء النفسى الذى تنمو وتنضج عليه شخصيته وتتفتح، وكما يتغذى جسمه على الطعام ، فإن نفسه تتغذى على الحب والقبول.

إن قوة الخلق، وسوية الشخصية ، والشجاعة، والأمانة، والصدق، والاتزان، والثقة بالنفس والاعتداد بها، والرغبة فى أن يكون الفرد إنساناً خيراً، إنما تبعث جميعها من شعور الطفل بدفء الجو الذى يعيش فيه، ومن إدراكه بأنه موضع الحب والثقة والاحترام، وبأن أعماله وإنجازاته تلقى من المساندة والتشجيع، ثم الثناء والتقدير، ما تستحقه، فإذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا على الثقة والأطمئنان، وأن يتجهوا إلى العمل البناء فى تعاون وتضحية وإيثار، وأن يجدوا السعادة فى البذل والعطاء، فلنمنحهم الحب أولاً وأخيراً. والحب الذى ننشده لأبنائنا هو حب الإيثار لا الغيرة، وحب العطاء لا الأخذ.

والطفل يكتسب العادات الانفعالية السليمة ، وبالتالى يأتى بالسلوك الاجتماعى، إذا ماتم استمرار إشباع حاجته إلى الحب الذى يشعر من خلالها أنه موضوع حب والديه وإخوته وأخواته وكل من يتعاملون معه. فالطفل إذا شعر أنه مرغوب فيه وغير منبوذ، وأنه موضع حبهم فإنه يستطيع أن يحقق من هذا الإشباع الكثير من أسباب الاتزان الانفعالى حيال مواقف الحياة المختلفة بالإضافة إلى أن إشباع الحاجة للحب تبعد الطفل عن الإحساس بالكراهية نحو غيره من الناس. وذلك يمكن أن يحقق له الهدوء النفسى، وتقبل ذاته، فينمو نمواً سليماً بعيداً عن مشاعر الخوف، والاضطراب ، والقلق.

الفصل الثامن

اتجاه التسلط

القسم الأول

ماهية اتجاه التسلط فى معاملة الأطفال وأهم أسبابه

• ماهية التسلط :

يتمثل اتجاه التسلط Attitude of Authoritarianism فى فرض الأم أو الأب لرأيه على الطفل، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية، أو منعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته التى يريدها حتى لو كانت مشروعة، أى أنهما يتبعان الأسلوب الصارم فى التنشئة.

وقد يستخدم أحد الوالدين أو كلاهما فى سبيل ذلك أساليب تتراوح ما بين الخشونة والنعومة، كأن يستخدما ألوان من التهديد أو الإلحاح أو الضرب أو الحرمان.. إلخ ولكن. النتيجة هى فرض الرأى سواء تم ذلك باستخدام العنف أو اللين، ويكون تسلط الأب بالأمر والنهى أو بالتهديد أو الضرب أحياناً.

أما الأم فقد تتسلط باللين والمحاباة والإلحاح وقد يتمثل ذلك فى أن تفرض على الطفل التعامل مع الأطفال الأغنياء مادياً دون الفقراء (إذا كانت الأسرة غنية مادياً)، أو ارتداء ملابس معينة، أو تفرض الأم على ابنها نوعية لعب معينة كلعبة الميكانو مثلاً، لأنها تريد لطفلها هذا أن يكون مهندساً فى المستقبل، أو تفرض عليه طريقة استذكار بعينها، وهى تفعل ذلك بشكل دائم حتى يسلم الطفل قيادته دوماً للآخرين. فعندما يكبر الطفل فقد يفرض الوالدان عليه دخول القسم العلمى بدلاً من القسم الأدبى أو العكس، أو الالتحاق بكلية لايرغبها الابن.. إلخ.

وهذا الأسلوب يستمر من الطفولة إلى مابعدها، وهو يلغى رغبات وميول الطفل منذ الصغر، كما يقف عقبة فى ممارسته لهواياته، ويحول دون تحقيق ذاته فلا يشبع حاجاته كما يحسها الطفل نفسه.

• أسباب التسلط :

قد يرجع استخدام هذا الاتجاه فى المعاملة إلى خبرات الآباء فى طفولتهم حيث يكون الضمير اللاشعورى لدى بعض الآباء قوياً متزمتاً نتيجة لامتصاصه معايير صارمة، ومثل هؤلاء الآباء غالباً ما يحاولون تطبيق هذه المعايير على أطفالهم ، وربما لأن الأب مدمن أو سكير، ومن هنا يكون غير راض عن نفسه، لذلك ينشد الكمال فى أبنائه بفرض تسلطه، وأحياناً قد نجد الصرامة من الأم نتيجة فقدها لأمها فى طفولتها، وتحمل مسؤولية إخوتها أو أخواتها الصغار، لذلك تتخذ لنفسها اتجاهات صارمة فى معاملة أبنائها.

وقد تكون الأسرة مؤمنة ببعض الأفكار التى تحاول بالتالى فرضها على أطفالها كأن يحمل الأطفال على ضبط سلوكهم والامتناع عن إبداء أى أنشطة لاتتماشى مع مايؤمنون به، أو أنه لابد أن يصب الأطفال منذ نعومة أظفارهم فى قوالب جاهزة، بحيث لايخرجون عن حدودها على الإطلاق، هذه القوالب بالقطع من إعداد وتنفيذ وإخراج الآباء والأمهات أنفسهم.

كما أن هؤلاء الآباء لايؤمنون بمبدأ التشجيع أو الإثابة بل يؤمنوا بمبدأ القمع والعقوبة، لأن عدم استخدام العقاب لا يؤدى إلى حدوث الكف المطلوب، فعن طريق هذه العقوبات يتسنى تنشئة الأطفال تنشئة صالحة، لأنها هى الضمان الوحيد فى نظر الآباء والأمهات لشحذ الهمم ، وتقوية الإرادة، وتجهيز الطاقات النفسية للتعلم وممارسة الحياة على نحو صحيح!!.

القسم الثانى

الآثار السلبية للتسلط على نفسية الأطفال وأهم الحلول المطروحة

• الآثار السلبية للتسلط :

هذا الاتجاه غالباً ما يساعد على تكوين شخصية خائفة دائماً من السلطة، شخصية خجولة، حساسة، تشعر بعدم الكفاءة والحيرة، غير واثقة فى نفسها فى أوقات كثيرة، خصوصاً عند مواجهة المواقف التى ينبغى فيها الاختيار.

شخصية ليس لها القدرة على التمتع بالحياة، تشعر بالخوف من الآخرين، وبعدم الثقة فى الآخرين.

والطفل حين يكبر غالباً ما يكون فى عمله دائم الإهمال إلا فى وجود السلطة أو الرقابة، ومثل هذه الشخصية غالباً ماتتلف أو تعتدى على ممتلكات الغير، ففى المدرسة تحطم المقاعد والأدراج، وتتلف محتويات المدرسة، ولا تواظب على الحضور إلا إذا ضغط عليها. وهى شخصيات غير مسؤولة فهى تعبث بالحدائق، وتكتب على جدران المتاحف والمعابد وترسم على محتوياتها بغرض تشويهها، وتعتدى بالتخريب على وسائل المواصلات، وتزاحم الركاب، وتثير الفوضى والبلبلة.. إلخ.

ومثل هذه الشخصية تصبح مصدر قلق المجتمع ، لأنها لم تتعود الاستمتاع بحريتها فى الطفولة ولم تشبع حاجاتها إلى الحرية والتمتع بثمارها. وهذه الشخصية غالباً ماترتكب أخطاؤها فى غيبة السلطة، أما أمامها فتكون شخصية تتسم بالخوف والزعر والهلع.

• أهم الحلول المطروحة :

التربية الديمقراطية تتيح للطفل بلاشك المناخ للنمو والازدهار، وعلى خلاف ذلك، فإن العنف والتسلط من شأنه أن يحقق عملية استلاب شاملة للإنسان.

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والتربوية أن النجاح والتفوق الدراسى كانا على الدوام من نصيب الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية تتميز بسيادة العلاقات الديمقراطية. وبينت الدراسات أيضاً أن الإبداع والابتكار مرهونان بدرجة الحرية التى تمنح للأطفال فى حركتهم وفى تلبية احتياجاتهم. فالحرية تمنح القدرة على التفكير النقدى الفاعل، وبالتالى فإن التربية التسلطية من شأنها تفريغ الإنسان من محتواه ، واستلاب جوهره الإنسانى، وقتل طاقة التفكير المبدع والخلاق لديه، وحرمانه من هامش الحرية الضرورى لتفتح شخصيته الإنسانية.

إذاً ينبغى أن يسود جو أسرى مشبع بهواء الحرية ونسيم الديمقراطية ، ذلك حينما يتمكن الأطفال من التعبير عن أنفسهم وأفكارهم وحاجاتهم بدون خوف أو تردد، ولعلى أذكر مقولة الأديب « مصطفى لطفى المنفلوطى» التى يقول فيها : «إن الحرية شمس يجب أن تشرق من كل نفس . . ومن عاش محروماً منها فقد عاش فى ظلام حالك. . ».

وعلى ذلك فإنه ينبغى لأطفالنا أن يشاركوا آباءهم وأمهاتهم فى اتخاذ القرارات التى تخصهم وتتعلق بحياتهم ومستقبلهم على أن يكون ذلك مرهوناً بمستوى تقدُمهم في النضج والنمو. كما لابد أن يعتاد الأطفال على حرية الاختيار، لأن الإنسان ينمو بيولوجياً. وخبراتياً بالاختيار الحر من بين خيارات كثيرة مطروحة أمامه. ليس أجمل من الحرية فى حياة الإنسان، يقول كاتبنا الكبير «توفيق الحكيم» : «الحرية هى الهواء الضرورى لسعة الصدر والعقل »، كما يقول عنها «فولتير» : «لاوجود لوطن حر إلا بالمواطنين الأحرار».

وإذا كانت هذه النظرة الإيجابية للحرية التى لا يختلف عليها أحد، إلا أننا نرى ضرورة أن يتم تقنين الحرية التى تعطى للأطفال والشباب على حد سواء، صحيح أن الحرية هى مبدأ لا يمكن له أن يتجزأ، ولكن ما ينبغى أن نقوله هو أن الحرية التى تمنح دون ضوابط تربوية وموضوعية قد تنقلب إلى نوع من أنواع التسيب، فليس من المعقول أن نمنح الطفل حريته فى مزاولة أنشطة ترويحية أو ترفيهية معينة على حساب إهماله فيما يجب أن ينجزه من واجبات تحصيلية أو مدرسية . وليس معنى أن نعطى الشباب حريته هى أن نتركه يسئ اختيار أصدقائه . من هذا المنطلق يقول الكاتب الايرلندى الشهير «جورج برناردشو» : «الحرية تستتبع المسؤولية». كما قالت : «مدام رولان » مقولتها الشهيرة حول هذا المعنى : «أيتها الحرية : كم من الجرائم ترتكب باسمك»!!

الفصل التاسع

اتجاه العقاب البدنى

القسم الأول

ماهية اتجاه العقاب البدنى في معاملة الأطفال وأهم أسبابه

• ماهية العقاب البدنى :

يعتقد بعض المؤيدين لسياسة العقاب البدنى على أنه من أنجع الوسائل وأنجحها كدافع وحافز لكثير من الأطفال ، للبحث عن الوسائل التى تكفل لهم رضى الكبار. وهم يرون أيضاً أنه لامانع أن يبدأ المربى أباً أم معلماً فى حمل الطفل على اتباع السلوك القويم، عن طريق العقاب البدنى إذا استدعى الأمر، حتى تكون النتيجة فى النهاية هو أن يقدم سلوكاً سوياً وسليماً يرضى عنه هؤلاء المربون.

وهناك من يؤمن بأن العقاب البدنى عن طريق الضرب يثير الخوف المفيد، الذى يساعد - من وجهة نظرهم - على أن يقوم الأطفال سلوكهم، وأن يفكروا ملياً قبل إقدامهم على أى سلوك يتوقعون معه عقاباً مبرحاً، فالخوف من العقاب هو كفيل بكف أو منع الأطفال عن الإتيان بالسلوك غير المرغوب فيه.

كما أن الضرب فى نظرهم يشعر الأطفال بضرورة الإحساس بالمسؤولية وتحملها . إذاً عدد كبير من الآباء يفكرون بشكل جدى فى العقاب، فيبحثون دائماً عن أنجع الوسائل المستخدمة فى العقاب، متى يستخدمونها؟ وما مدى تأثيرها؟ وهؤلاء الآباء المهتمون بهذا الأمر ليسوا ممن قست قلوبهم وغلظت، أو ممن يعوزهم التفكير الصائب، فلربما عاقبوا أبناءهم بالضرب، ثم أخذوا يعانون مرارة الندم لمبالغتهم أحياناً فى القسوة على أطفالهم.

• أسباب العقاب البدنى :

تتعدد الأسباب التى تؤدى إلى عقاب الطفل، فالانحرافات السلوكية والأخلاقية كالسرقة والكذب والعدوانية تجعل الآباء أو الأمهات يلجؤون إلى العنف والقسوة والضرب كنوع من العقاب.

وعندما يخفق الطفل مدرسياً كأن يتأخر عن طابور الصباح، أو عدم حضور الحصص الدراسية، أو عدم إحضار كتبه وأدواته المطلوبة، أو عدم تقديم الاحترام الواجب لمن يقومون بالتدريس له سواء معلمين أو معلمات، فإن الطفل يلقى العقاب البدنى الشديد على أمل أن يكف عما يقوم به من تجاوزات.

وعندما يعاند الطفل ويقاوم رغبة والدته فى ارتداء ملابس الخروج مثلاً ، أو قد يقاوم والديه فلا يتناول طعامه، عند تكرار هذه الأساليب من جانب الطفل يشتاط الآباء غيظاً وحنقاً، ومن ثم يقاومونه بأساليب عقابية صارمة، لكى تنفك نوبات العناد المتكررة هذه.

وقد يلجأ الطفل فى بعض الأحيان إلى العبث ببعض الممتلكات أو الأشياء الثمينة المحظور عليه لمسها أو الاقتراب منها، ثم يتحين الفرصة المواتية ليعطى نفسه الحق فى العبث بها، على اعتقاد منه بأنه لن يتلفها أو يوقع بها ضرراً ما، ثم يقع الطفل فى المحظور فيكسر إحدى هذه الأشياء، فنجد أن الأم تثور فتنهال عليه ضرباً مبرحاً.

وعندما يقترب الطفل من مصدر اللهب المشتعل ، أو لعبة الكرة فى الطريق العام، من أجل هذه السلوكيات التى يراها الآباء والأمهات مصدر خطر على حياة الطفل، ينال العقاب الرادع.

وقد يعاقب الآباء والأمهات أطفالهم لأنهم لم يكتسبوا التوجهات التربوية السليمة التى تكفل تربية أطفالهم بطرق صحيحة وسليمة، كذلك افتقادهم الإيمان بتلك المفاهيم التربوية الحديثة واستخفافهم بها، ومن ثم العجز نفسياً وفنياً عن تطبيقها وممارستها لأن «فاقد الشئ لايعطيه».

والعقاب المتكرر هو دائماً الدليل على إخفاق الوالدين فى معاملة الطفل، وكثيراً ما يكون مصدره تعاسة حياتهما، أو المتاعب التى يلقاها أحدهما أو

كلاهما فى العمل، أو الاحتكاك المستمر بينهما، وكثيراً ما يكون مرجعه إلى المحاولات المغالى فيها لفرض النظام.

وقد يعاقب الطفل لأن الآباء يخشون أن يفلت زمام أطفالهم من بين أيديهم، فلا يستطيعون أن يسوسوهم فيما بعد، وأنهم إن أطلقوا الحبل على الغارب، فليس أمامهم سوى أن يهبوا واقفين لهز الطفل هزة عنيفة قوامها العقاب البدنى الشديد.

وقد يلجأ الآباء والأمهات لعقاب الطفل خوفاً من الظهور بمظاهر الضعف وحبا فى ممارسة السلطة، وهذا الأسلوب يتضح بجلاء حين يقترف الطفل تصرفاً خاطئاً فى وجود الغرباء، فيحدث الكثير من المتناقضات، فالأمهات اللاتى يملن عادة إلى معاملة أطفالهن باللين يكشف عن غضب مغالى فيه حين يكون ذلك على مسمع ومرأى من الناس ، ومن هنا تكثر تحذيراتهن ونواهيهن وتعليماتهن : «لا تفعل» ، و«لا تقترب» ، «لا تتململ» و«لاتلمس» . . إلخ ، يحدث ذلك بكثرة ملحوظة فى الوقت الذى لايلتفت الطفل فيه إلى هذه النواهى والتحذيرات ، كما هو الحال عادة، لأنه يصدر علناً وعلى هذا النحو لهذه المناسبة فقط، لابوصفه جزءاً من التهذيب العادى للطفل، بل قد يلجأ الآباء إلى العقوبة القاسية فى مثل هذه الظروف، ويصحب ذلك نظرة غريزية، تتوقع شيئاً من استحسان الناس حين تقول الأم مثلاً : «أنا لست مثل سائر الأمهات الضعيفات أمام أولادها».

وقد يكون عقاب الأطفال نتيجة لانفعالات الوالدين الشديدة ، فعندما ماتقول الأم : «أنا أعاقب طفلى لأنه أخرجنى عن صوابى»، فإن الأم فى هذه الحالة تكون قد استثيرت . وعندما تقول أيضاً : «لقد صفعته على وجهه فأخذ يبكى. . ثم أحسست بشئ من الراحة»، فإن هذا القول يثير بالطبع الانزعاج والفزع، لأنه يكشف عن النظرة الحقيقية لعقاب الطفل، فقد تعانى

الأم من ضغوط نفسية هائلة، وفى الوقت نفسه تواجه طفلاً مشاكساً عنيداً، وعندما تهم بضربه فقد تكون انتصرت لسلطتها كأم، أو وجدت متنفساً لتفريغ إحساس الضيق والضغط النفسى، فتنتهى العقوبة بأن يذعن الطفل لرغبات أمه، رغماً عنه، ولكن النتيجة الحتمية هى أن العقاب لم يجد، بل سيترك أثراً سيئاً فى نفس الطفل، لأنه سيدرك أن أمه سريعة الغضب، وأنها معرضة لحالات نفسية لاتفسير لها، وهى تؤذيه حين تصفعه وتخيفه حين تغضب، وعليه فالطفل يتعلم فى المستقبل أن يكون أكثر حرصاً، وأكثر استعداداً للإذعان، وأقل جرأة على إثارها مادام صغيراً عاجزاً، ولكنه حين يكبر سيتعلم أيضاً كيف يقاومها ويعاندها.

وأحياناً يوقع العقاب البدنى بالضرب على الأطفال حين يعانى بعض الآباء أو الأمهات من بعض الانحرافات النفسية كالسادية مثلاً Sadism فيجد الواحد منهم لذة لا شعورية عن طريق إيلام الآخرين، كالأطفال ، حيث يستريحون بعد توقيع العقاب عليه، أيضاً حين يكون بعض الآباء أو الأمهات مصابين بما يعرف بالتناقض الوجدانى Ambivalence حيث العطف الشديد والقسوة الشديدة فى الوقت نفسه ، أو فى وقتين متقاربين.

القسم الثانى

الآثار السلبية للعقاب البدنى على نفسية الأطفال

• الآثار السلبية للعقاب البدنى :

العقاب البدنى بالضرب لايخلق باعثية السلوك، فعندما يعاقب الطفل تكون باعثية السلوك فى أيدى الآخرين وليست بيده، ومن ثم تكون النتائج زائفة غير حقيقية، والضرب لايثمر بالطبع اقتناعاً ، فلا اقتناع بتطبيق أى نوع من أنواع العقاب، بل قد يكون العكس، فكثير ممن كانوا يضربون بسبب حرص المربين على تفوقهم العلمى، فشلوا فى تحصيل العلم، ولم يتحمسوا له، ومن ثم كان الضرب عامل كفّ عن النجاح والتفوق.

والعقاب البدنى المؤلم يتضمن إنكار مبدأ التربية الذاتية Self-Education حيث يقوم الفرد فيها بتعديل سلوكه بنفسه، بحيث لايتلقى التربية من المربين فقط، بل إنه يشارك فيها، وعلى هذا فلا يجب أن ننسى أن الضمير يلعب دوراً واسعاً فى تعديل سلوك المرء وعتابه عما يصدر منه من أخطاء ، أو انحرافات عن السوية، أما استخدام القسوة فى العقاب فيطفىء فيهم القدرة على نقد سلوكهم، إذ يجعلهم يعتادون أن يتلقوا من الكبار قواعد السلوك المطلوبة، فلا يكون سلوكهم من وحى ضمائرهم.

والعقاب ليس ضرورياً أن يؤثر فى سلوك الطفل الخاطئ، كى يتعدل - كما يتصور الآباء - إذا قد يحدث العكس فيعاند الطفل، وقد يصبح عدوانياً، وقد ثبت أن كثرة تعاطى العقاب قد يولد فى الطفل المعاقب عادة التلقى فلا يرتدع، وقد تبين هذا فى حالات كثيرة فى الأطفال الجانحين، حيث لم يتعدل سلوكهم نتيجة للعقاب، بل إن بعض أنواع العقاب البدنى القاسى تولد فى المعاقب ميلاً للمحاكاة ، أى يتمثل المعاقب الضارب، ومن ثم يميل الطفل إلى إيذاء الآخرين من الأطفال، فيزداد العقاب الواقع عليه بفعل هذه الإيذاءات، التى يقوم بهذا الطفل تجاه الأطفال الآخرين، وهكذا يصير الطفل عدوانياً أكثر كلما زاد العدوان عليه من قبل المعاقب، وهناك

الكثير من الدراسات، التى أثبتت أن العقاب القاسى يولد فى الطفل المعاقب عدواناً مماثلاً ، لأن المحاكاة أو «الاقتداء » Modelling تلعب دوراً فى التعليم أكثر من العقاب، وهذا ما أشارت إليه أبحاث «جليوك» Glaeck عام ١٩٥٠م من القرن المنصرم.

والعقاب يعلم الطفل كيف يستخدم أساليب المناورة والمراوغة، فعندما نحاول القضاء على المظاهر السلوكية الخارجية التى لا تعجب الكبار، فالطفل يحاول جاهداً أن يحقق هذا المطلب، حتى يرضى الكبار عنه ، ولكنه فى حقيقة الأمر إنما يدرب نفسه على المداورة والمراوغة، فما أن يبتعد الأب أو الأم عن الطفل حتى يعود إلى ما كان عليه من مخالفات.

والذى لا شك فيه أن القسوة فى التربية تؤدى إلى خلق ضمير أرعن، وهى تولد كراهية الطفل للسلطة ولكل من يمثلها، وتجعله يقف من المجتمع فيما بعد موقفاً عدائياً، أو قديرى الخلاص فى تملق الكبار أو الخضوع لهم، ثم تميت فى نفسه الثقة بالنفس، وتقتل روح المبادأة، وتجعله يتحاشى القيام بأى عمل يدافع به عن نفسه.

ويؤدى زيادة استخدام العقاب البدنى إلى الجناح، واللجوء إلى العقاب يؤدى إلى الخوف، الذى ينشأ عادة من جراء تجارب سابقة غير سارة أو مترسبة فى حالة تحت شعورية، أو أنه يتولد من صدمات نفسية عنيفة. وفى الوقت نفسه، نجد أن انفعال الخوف يؤثر على وظائف الأعضاء التى يتحكم فيها الجهاز العصبى الذاتى، ويؤدى إلى الأمراض النفسية/الجسيمة، ويؤثر تأثيراً سيئاً فى التفكير فيعوقه، وفى الحركة فيجعلها مضطربة.

والعقاب البدنى بالقطع يؤدى إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه، كما أن الإفراط فى النقد والتوبيخ والبحث عن الأخطاء يكون له أثره البالغ فى إضعاف الاعتداد بالنفس والثقة بها.

والضرب كعقاب بدنى يؤدى إلى انكماش الطفل على نفسه والتقوقع بعيداً عن الناس، فهو يخاف مثلاً من الانطلاق مع أصحابه ومجاراتهم فى لعبهم ولهوهم الطفولى البرئ، خوفاً من عقاب والديه بحجة أن اللعب قد يعيقه عن إنجاز ما هو مطلوب منه من تحصيل واستذكار، على حين أن اللعب مع الآخرين يعمل على تفتيق المخيلة.

وقد يصاب الأطفال الذين يتعرضون للعقاب البدنى بعدة أمراض نفسية مثل الاكتئاب وهو يصيب الأطفال الذين يتعرضون لعقاب بدنى أو نفسى شديد، وقد وجد العلماء أن أهم أسبابه هو انقطاع العلاقة الوثيقة من الحب بين الطفل ووالديه.

والضرب شديد القسوة يستثير الأخيلة العدوانية والانتقامية لدى الطفل، فالطفل الذى يضرب يتقمص شخصية الضارب سواء أباً أم معلماً. . انظر إلى الطفل الذى يلعب مع أصدقائه لعبة «المدرسة» وهو يتقمص شخصية المعلم، ممسكاً بالعصا ويلق بعبارات التهديد والوعيد! وهؤلاء الأطفال - الذى يتسم سلوكهم بالعدوانية - وكيف يضربون من يصغرونهم سناً، أو من يستشعرون فيهم الضعف، حيث يتخيلون أن هذا الصغير هو المعلم أو الأب الذى يقوم بعملية العقاب البدنى ، فينهالون عليه بالضرب!، وهذا مانسيمه «بتبادل الأدوار».

ومن الآثار السيئة التى يسببها الضرب ويلحق الضرر بشخصية الطفل هى الاتكالية وفقد روح المبادرة، فالصغار يتحولون إلى دمى يحركها الآباء والمربون كما يشاءون، فتتلاشى ذوات الصغار، فهم لايشاهدون إلا بعيون الكبار، ولا يسمعون إلا بآذانهم ، ولا ينطقون إلا عن طريق ألسنتهم، وهكذا يتنازلون عن حقهم فى الحياة التى تروقهم.

والعقاب بالضرب يعطل عمل جهاز نفسى من أخطر الأجهزة ألا وهو

المخيلة، التى هى خليقة بتصنيع المدركات الحسية والذكريات فى صيغ جديدة غير مسبوقة كما أن العقاب بالضرب يضيق نطاق المخيلة، بحيث لاتحقق أهدافها، لأن أحد شروطها هو أن يكون صاحبها متمتعاً بأكبر قدر من الحرية، وأن يكون فى حالة طمأنينة وهدوء، ولكن مادام العقاب قائماً فلا حرية على الإطلاق، ومن ثم لا يستطيع الطفل أن يوجه ذهنه إلى آفاق جديدة.

والخوف من العقاب يعطل الذاكرة، فالطفل الذى يتوقع ما يصيبه من ألم متواكب مع الضرب لايتسنى له أن يحفظ مايطلب إليه حفظه، سواء أكان حفظاً استظهارياً أم حفظاً معنوياً.

وفى حالة عقاب الطفل عقاباً شديداً يتراءى له فى أثناء النوم الأحلام المزعجة والكوابيس المرعبة، وقد يفيق من نومه منزعجاً وقد لايكون استيقاظه كاملاً.

وهناك أيضاً الأحلام الرمزية التى تنشط أثناء النوم، فيحل الرمز محل الوقاع، فيرى الطفل فى أحلامه وحوشاً مفترسة تلعب الدور المؤذى والمؤلم الذى يلعبه المعاقب، ولكن يحل بدل الضرب بالعصا أو باليد انقضاض الحيوانات المتوحشة على الشخص النائم لتنال منه.

القسم الثالث

الحلول المطروحة للقضاء على أسلوب العقاب البدنى فى معاملة الأطفال

* العقاب مهما كان نوعه يعد ضرورة مؤسفة فى حياة الطفل، ولكن الذى لاشك فيه أنه كلما كانت معاملة الآباء أكثر تعقلاً وحكمة قلَّت حاجتهم للعقاب . وقد أظهرت نتائج التجارب أن الثواب أقوى من العقاب، كما أن المدح أقوى أثراً من الذم، وأن الجمع بين الثواب والعقاب أفضل - فى كثير من الأحوال - من استخدام كل منهما على حدة، فيستخدم العقاب لكف السلوك غير السوى، حتى يصبح سوياً فيثاب الفرد عليه، واتضح كذلك أن أثر الثواب إيجابى فى حين أن أثر العقاب سلبى، وأن أثر الجزاء - ثواباً كان أم عقاباً - يبلغ أقصى مداه حين يعقب السلوك مباشرة ، بينما يضعف أثره كلما قلت الفترة بينه وبين السلوك.

ويلاحظ فى هذا الصدد أنه كلما نقص اللجوء إلى العقاب، قلت الحاجة إلى الشدة فى الوصول إلى النتائج المطلوبة أو السلوك المرغوب، فعندما يكون العقاب نادر الحدوث نجد أن التوبيخ البسيط يحدث أثراً أكبر من العقاب الشديد، وكلما كان العقاب مألوفاً أى كثير الحدوث كان لابد من زيادة شدته حتى نصل إلى النتيجة المرجوة، وهذا ما يفسر أن الآباء يشكون من أن أبناءهم قد اعتاد والضرب المبرح، ولم تجد معهم وسائل العقاب الأخرى.

* العقاب المعتدل قد يدعو الأطفال - فى كثير من الأحيان - إلى اتخاذ الحيطة والحذر وتجنب الوقوع فى الأخطاء نفسها، أما العقاب الذى يجرح كبرياء الأطفال ويهين كرامتهم كتوبيخ أو تشهير علنى، فهو نوع من العقاب، تزيد أضراره على فوائده ، لأنه يسئ لصحة الأطفال النفسية.

* كشفت التجارب أن الأطفال المنبسطين يضاعفون جهدهم عقب اللوم، فى حين يضطرب أداء المنطويين بعده. كما ظهر أن الطفل بطئ التعلم يحفزه الثناء أكثر من النقد، بينما النقد واللوم أجدى مع الموهوبين منه مع ذوى التعليم البطئ. كماثبت أن العقوبة البسيطة عن الطفل شديد الحساسية، يكون لها الأثر نفسه، الذى تحدثه عقوبة أشد فى أطفال آخرين.

* الهدف الرئيس الذى ينبغى أن يضعه الآباء نصب أعينهم ، عندما يرغبون فى تحقيق مصلحة أطفالهم ، هو ألا يرغموهم على اتباع أساليب سلوكية معينة عن طريق العقاب، ولكن ينبغى عليهم أن يساعدوهم على أن يقرروا لأنفسهم ما ينبغى ومالاينبغى أن يفعلوه ، وأن يسلكوا وفقاً لذلك، وهى خطوة مهمة نحو الأمام، وهى الخاصة التى يطلق عليها علماء النفس «تنظيم الذات» أو «السلوك بوحى الضمير».

* اعتاد أطفالنا على سماع التحذيرات والتهديدات من الآباء ، وأن يعاقبوا عند خروجهم عن السلوك المرجو منهم، ويبقى سؤال مهم : ماتأثير هذه التحذيرات والتهديدات؟ لم يفلح الآباء أو المربين فى تحقيق مايرجونه باتباع أسلوب العنف واللوم والتأنيب،ولكى نمنع طفلاً عن سلوك مالابد أن نرشده إلى السلوك البديل، أما العقاب بشتى أنواعه فمفعوله مؤقت، نعم ، هو يشكل ضغطاً على الطفل، ولكنه ضغط مؤقت سرعان مايزول، يقول عالم النفس الألمانى «رودلف كوهن» Rudalf cohen : إن عقاب الطفل أشبه بحالة السعال التى قد تفاجئ الإنسان.. إنه يتعب منها، ولكن سرعان مايتلاشى تأثيرها بمجرد زوالها.

* إذا كانت علاقة الأم مع الطفل علاقة سليمة بوجه عام، وإذا كان مسوغ العقاب واضحاً ، وإذا كان العقاب نفسه مناسباً لهذا الطفل بالذات دون الآخر مثلاً : فإن الأثر يكون مفيداً وناجحاً ، لأن الطفل يدرك أنه قد جر على نفسه ما يستوجب العقاب، فيشعر بالتأديب والتقويم أكثر مما يشعر بالحنق والاستياء. ومن جهة أخرى.. فإن الطفل سرعان ما يسلك سلوكاً حسناً من هذه الناحية، التى عوقب عليها لفترة طويلة.

* العقاب وحده - فى الغالب - لن يحول إنساناً سيئ السلوك إلى إنسان آخر حسن السلوك، دمث الأخلاق، فالتهذيب السليم يقوم أساساً على الحب والاحترام المتبادل بين الطفل ووالديه ، فيجب تعزيزه فى مرحلة الطفولة عن

طريق التعلم والحزم وتذكرة الطفل بمواجباته، وما العقاب إلا وسيلة واحدة من وسائل الحزم والتذكرة.

* يقع على عاتق الأم أن تجنب طفلها المتاعب بأن توضح له دائماً نوع السلوك الذى تطلبه منه، وبأن تتدخل تدخلاً حازماً منذ البداية عندما يبدأ فى الانحراف عن السلوك السوى، بدلاً من أن تترك له الحبل على الغارب حتى يفلت منها الزمام، ثم يتحتم عليها بعد ذلك أن تحدد ما إذا كان عليها أن تعاقب الطفل ، وكيف تعاقبه.

* على الوالدين أن يدركا أن كلمة «لا» إذا كان لابد أن تقال فى موقف ما، كلمس الطفل للأشياء الساخنة مثلاً، فيجب أن تقال بالحزم والقوة نفسها كلما تكرر الموقف، وإلا فإن الطفل سيفقد الثقة فى والديه، ويحس أنه لايستطيع الاعتماد عليهما بعد ذلك.

ويراعى أيضاً ألا تقل كلمة «لا» إلا حينما يجب أن تقال فعلاً، وبهذا يمكن للطفل أن يتعلم كيف يكيف نفسه عند القيام بأموره، لأن هذا التدريب لازم له مدى الحياة فكم من أناس مايزالون - رغم كبرهم - يحسون بالندم الشديد، لأن آباءهم لم يقولوا لهم، وهم صغاراً كلمة «لا».

* من الخطأ أن تؤجل الأم العقاب لحين عودة الأب ليقوم هو بهذه المهمة، فيبقى الطفل قلقاً طوال اليوم فى انتظار ما سيناله من عقاب، فينظر إلى أبيه نظرة ملؤها الخوف والتوتر والوجس، ولذلك ينبغى على الأب أن يرفض الاشتراك فى هذا الأسلوب اللاتربوى، ولكن عليه من جانب آخر أن يشارك فى العقاب إذا كان ضرورياً وملحاً، وإن كان الخطأ يستوجب ذلك.

ويكون من الخطأ الفادح أن يدع أحد الوالدين العقاب كله للآخر، حتى يكتسب حب الطفل، لأن هذا الأسلوب يهدد صحة الطفل النفسية، على الرغم مما يبدو حبا أو عطفاً أو إشفاقاً.

* يجب ألا يعاقب الطفل على سلوك ما فى إحدى المرات، ثم نتجاهل

السلوك نفسه، أو نمتدحه فى مرة أخرى، لأن ذلك سيمنع الطفل من تعلم السلوك والعادات والأساليب الصحيحة أو السوية، حيث إن الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية Socialization يربط بين سلوكه ونتائج هذا السلوك ، فالسلوك مرفوض وغير مسموح به، فإذا عوقب الطفل على السلوك مرة، وامتدح مرة أخرى وقع الطفل فى حيرة بالنسبة لهذا السلوك، وربما عمَّمت هذه الحيرة بإزاء ألوان أخرى من السلوك مما يسبب اضطراباً فى عملية التنشئة الاجتماعية.

* قد يكون العقاب عند بعض الآباء أو الأمهات مرادفاً للضرب، والحقيقة أن العقاب كدرجات السلم، أو كالهرم له قاعدة وقمة، وليس من المعقول أن نصل لقمة الهرم دون أن نتدرج خطوة خطوة، وهكذا. . فإن العقاب يتكون فى الغالب من تسع درجات كالتالى :

٩ - الضرب الموجع.

٨ - الضرب الخفيف.

٧ - العزل القصير.

٦ - التوبيخ والتهديد.

٥ - الحرمان من الأشياء المحببة.

٤ - المخاصمة الطويلة.

٣ - العبوس والتقطيب.

٢ - الإعراض المؤقت ، وإعلان عدم الرضا.

١ - الكف عن التشجيع.

ويلاحظ أنه ينبغى ألا تتخطى ذلك التدرج لسببين مهمين ، هما :

١ - حتى لاتتكرر العقوبة الواحدة فتفقد قيمتها.

٢ - خطر التعود على العقوبة البدنية فلايتأثر الجسم بها.

وعموماً .. فالعقاب مجرد خيط سلبى، نحاول به أن نمنع الطفل من عمل شئ غير سوى أو سيئ.

* ينبغى أن يكون العقاب بسيطاً يقصد منه الإصلاح والتقويم وليس الانتقام وإيقاع الأذى. وقد أثبتت البحوث التربوية والنفسية أن العقاب الإصلاحى إذا صدر من الأب الحنون والمتفهم للطفل، يكون له أفضل الأثر ويستجيب له الطفل، ولايكون له رد فعل سيئ على نفسية الطفل، بل يفهمه على أنه رغبة من الأب الذى يحبه فى تعديل سلوكه إلى الأحسن..

* إذا قام الطفل بسلوك ما غير لائق يستوجب أن نتوقف أمامه بشئ من الحزم، فيمكن للوالدين استخدام أسلوب العزل بعيداً لبعض الوقت Time out - وهو يعنى أن يتم عزل الطفل لفترة زمنية قصيرة (فى حجرة أو ركن منها) عن النشاطات الاجتماعية، التى يمارسها والتى تعتبر معززات بالنسبة له.

فإذا كان الطفل الذى يبلغ من العمر ثلاث سنوات فأكثر مصدراً للقلق أو لإيذاء الآخرين يتم إخباره بأنه سيعزل بعيداً لمدة دقيقتين، ثم يأخذ بعيداً إلى الحجرة ليمكث فيها لمدة دقيقتين، مع ضبط الوقت حتى إذا ما انقضت الدقيقتين وجب إخراجه من الحجرة.

وعند استخدام هذا الأسلوب مع الأطفال من سن ثلاث سنوات إلى ست سنوات، ينبغى مراعاة الآتى :

* ألا تزيد مدة العزل عن دقيقتين.

* تكرار الأسلوب مع الطفل فى كل مرة يكون سلوكه فيها غير لائق، مع تحاشى الجدل معه.

* عدم التحدث مع الطفل خلال الدقيقتين.

* إذا ما كان الطفل غير منضبط سلوكياً عند انقضاء الدقيقة الثانية، فليتم ضبط الساعة على دقيقة أخرى إضافية مع إخباره بأنه سيتم زيادة دقيقة أخرى.

* إذا ما أصدر الطفل سلوكاً حسناً بعد فترة عزله، فيتم تعزيزه.

ويعتبر هذا الأسلوب بديلاً مناسباً عن أسلوب العقاب البدنى.

* قبل توقيع العقاب ، لابد من بذل كل الجهود الممكنة لفهم دوافع الطفل، ومعرفة السبب فى إقدامه على هذا العمل، فمن السهل أن ننسى أن الطفل الصغير لا يستطيع أن يعرف الآثار التى ستترتب على عمله هذا لقلة خبرته، ولذا ينبغى أن يكون العقاب على المخالفة الأولى أمراً نادراً.

* إذا عوقب الطفل عقاباً بدنياً - وهو أمر وارد فى بعض الأحيان وإن كنا لانقره - فيجب أن يكون فى أدنى الحدود الممكنة، ولايجوز استخدام أى شئ فى هذا العقاب غير اليد، وسنجد أن الطفل الذى يعامل معاملة سليمة لايحتاج إلى ضربه أبداً، وليس من المستحب أن نجرح مشاعره، أو نجعله يشعر بالخجل، بل ينبغى - كلما أمكن - أن ندفع الطفل إلى تصحيح تصرفه الخاطئ ، فإذا تعمد أحد الأطفال مثلاً تمزيق كتاب لأخته ينبغى أن يشترى لها كتاباً بآخر من مصروفه الشخصى، فذلك درس يجب أن يتعلمه.

* بعد توقيع العقاب على الطفل ينبغى أن ننسى ذلك، فلا يجوز تذكير الطفل باستمرار بما فعل ، بل ينبغى أن نظهر له الحب حتى يعى أنه لم يفقد عطف والديه عليه، ويكون دائماً من الخطأ تكرار الحديث عن أخطائه وبالأخص أمام الغرباء أو الأقران، كما لا يجوز أن يذهب إلى فراشه شاعراً بالذنب، بل يجب أن يتجه إلى فراشه واثقاً أنه يتمتع بحب والديه، فلا يجوز أن يؤدى العقاب إلى الخوف أبداً.

الفصل العاشر

اتجاه القسوة

القسم الأول

ماهية اتجاه القسوة فى معاملة الأطفال وأهم أسبابه

• ماهية القسوة:

اتجاه القسوة Attitude of Cruelty يتمثل فى استخدام كافة الأساليب التى تسبب للطفل الفزع والخوف وعدم الإحساس بالأمان كعقابه وتأنيبه وتسفيهه، وكل ما يؤدى إلى إثارة الألم الجسمى والمعنوى كأسلوب أساسى فى عملية تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعياً. ويتضح هذا الاتجاه أو الأسلوب عادة فى الأسرة التى تفهم الرجولة على أنها الخشونة والتجهم والعبوس، أو عدم التبسط مع الطفل خاصة الذكور منهم. وغالباً ماتفهم هذه الأسر الرجولة أيضاً على أنها أوامر ونواهى وعقاب . . إلخ.

• أسباب القسوة:

يمكن ملاحظة غياب العلاقة العاطفية أو ضعفها بين الطفل والأم عند الأطفال الذين يعاملون بقسوة وعنف. لقد كانت الفرضية السائدة لتفسير قسوة الأم نحو الطفل هى الولادة المعقدة التى تستدعى فصل الطفل عن الأم، إلا أن الأبحاث الحديثة لم تؤكد هذه الفرضية. فالانفصال فى الأيام الأولى ليس السبب الأساسى فى اضطراب العلاقة بينهما، والعلاقة بين الأمرين ليست علاقة سببية بسيطة، فبالرغم من أهمية الأيام الأولى التى تلى الولادة فى تطور علاقة الأم بالطفل، إلا أن ذلك لايكفى لتحديد طبيعة هذه العلاقة فى مراحل لاحقة ، فقد يكون الانفصال متداخلاً مع عوامل أخرى كالقلق، وعدم نضج الأهل،والأزمات الحادة فى حياة الأسرة، فالتعلق ليس وليد اللحظات التى تلى الولادة، فهو يتطور تدريجياً بين الطرفين ، وتبدأ الروابط بينهما بالاستقرار خلال الأشهر الأولى التى تلى الولادة. وهذا ما يدعو إلى النظر للتعلق بين الطفل وأمه بمجمله وبتطوره فى مختلف مراحل حياة الطفل.

وبالرغم من انفصال الأم عن الطفل فى حالة الولادة المبكرة (قبل الأوان) لأسباب طبية، تتمكن الأم فى شروط مناسبة بعد اجتماعها بالطفل أن تقوم بدورها على الوجه الأكمل، وأن تجعل روابط التعلق بينهما على درجة من القوة والتماسك كما هو الحال بالنسبة للأم التى تلد فى الوقت المناسب.

ويميل الكثير من المشتغلين فى الشؤون الاجتماعية إلى القول بأن معاملة الطفل بقسوة غالباً تكون نتيجة حالة مرضية عند الأهل خاصة عند الأم، وكذلك نتيجة لشروط الوسط العائلى الذى يعيش بكنفه الطفل. وقد يلعب دوراً كبيراً فى تطور علاقته السيئة. فبالرغم من التأثير الكبير الذى تمارسه الأم فى صياغة سلوك طفلها وفى تطور التعلق بينها وبينه، فهو بدوره يؤثر فى صياغة سلوكها . ويمكن ملاحظة الصعوبة أحياناً بالنسبة للأم ليس فقط فى تربية الطفل بل أيضاً فى محبته. فالطفل «المشكل» أو الطفل «الصعب» يساهم فى إحباط سلوك الأمومة، ويدفع الأم إلى عدم تقبله وعدم محبته ويكون سلوكه مصدراً للتوتر والاضطراب مما يضع الأم فى حالة من الغموض لعدم قدرتها على الاستجابة المناسبة لمتطلباته ويشعرها بالفشل والاخفاق فى القيام بدورها.

• مظاهر من أساليب القسوة :

إذا تعثر الطفل الصغير فى سيره وهو يشرب مثلاً ووقع منه الكوب فإنه يضرب ويصفع على وجهه. وإذا نجح فى المدرسة وحصل على درجات لايرضى عنها الأب فإنه يعاقب ويهان لعدم نيله الدرجات النهائية أو الدرجات التى يراها الأب مناسبة للاطمئنان على مستقبل ابنه دون مراعاة قدرات وإمكانات هذا الطفل. وإذا كبر الطفل وأصبح ذا قدرة على الاعتراض بسبب معاملته معاملة قاسية فإن الأم تنبرى فى عقابه والأب أيضاً يشاركها فى

ذلك خوفاً من أن يفلت زمام طفله. وحينما تترك الأم طفلها ليقوم بأعمال أكبر من مستوى عمره وينوء كاهله بتحملها كأن تتركه يقوم بغسل وتنظيف ملابسه بنفسه، فإذا لم يتمكن من ذلك فإنها تعاقبه بشدة وقسوة. وإذا أرسله والده ليبتاع له شيئاً معيناً وفشل الطفل فى شراء ما يريده الأب فإنه ينال تعنيفاً وزجراً ثم عقاباً بدنياً مؤلماً لأنه فى نظر الأب يعتبر طفلاً خائباً. . وهكذا.

القسم الثانى

الآثار السلبية للقسوة
على نفسية الأطفال
وأهم الحلول المطروحة

• الاثار السلبية للقسوة :

يترتب على هذا الاتجاه شخصية متمردة تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعويض عما تعرضت أو تتعرض له من ضروب القسوة. وعلى هذا فإن هذه الشخصية ينتج عنها السلوك العدوانى الذى يتجه نحو الغير، مثال ذلك : إتلاف حاجيات الآخرين، والعبث بممتلكات الدولة، دون أى إحساس بالذنب أو التأنيب. وهذا الشخص لا يشعر بانتمائه لأسرته ولاحبهم له. ولابثقته فيهم، وبالتالى ينفس عن كل هذه الأحاسيس بالتخريب فى كل مالا يمتلكه ولا يحسن به، فقد يلجأ إلى تعذيب الحيوانات والطيور، فهذه قطة يربطها، من رقبتها ويجذبها إلى أن تختنق ، وهذا عصفور فى قفص يشعل الورق ويقذف به نحوه ليحترق، وهذا ضرير يطلب مساعدته لعبور الطريق فيأخذ بيده إلى وسط العربات ويتركه ليلقى حتفه دون أى شعور بألم أو مرارة أو تأنيب ضمير لنتائج أفعاله الشريرة. إن مثل هذه الشخصية لم تجد الحب بل وجدت القسوة من أقرب الناس إليها فأصبحت لاتعرف الرحمة. وهذا الإنسان ليس لديه بالقطع أية حساسية اجتماعية . كما أنه لايشعر بإنسانية البشر الذين لم يرحموا إنسانيته فى طفولته، وإذا قلت له مخاطباً مشاعره : إرحم الناس، فإنه سرعان ما يقول فى ألم مختلط بالقسوة : وأنا من رحمنى !!

وهذا الإنسان غالباً ما يسعده أن يرى الناس من حوله غير سعداء ومعذبين لأن رؤية السعادة والفرحة التى حرمها فى طفولته تعذبه وتقلقه.

إن القسوة فى التعامل مع الطفل تعرقل نموه السوى وتؤدى إلى عكس ما ينتظر منها والقسوة بالقطع مدانه علمياً وأخلاقياً.

• أهم الحلول المطروحة:

* إن مسألة انضباط الطفل وتعليمه أن يسلك وفق قواعد تحدد ما هو مقبول وما هو غير مقبول مسألة مهمة بالنسبة للأهل، خاصة بالنسبة للأم، والطفل يظهر الاستجابات المناسبة نحو الأشخاص الذين يحبهم. وتؤثر طبيعة علاقة الأم بالطفل فى مدى تقيد بالقواعد والقوانين التى تحددها له، فالاهتمام بالطفل ومحبته يعزز الثقة المتبادلة بين الأطفال والأهل. وموافقة الأهل ورضاهم يعزز ظهور سلوك ماعند الطفل، بينما يمنع ظهوره رفض الأهل واستنكارهم لهذا السلوك. إن الضبط والدقة فى ردود أفعال الأهل واختيار الوقت المناسب لذلك يلعب دوراً مهماً فى ضبط الطفل وتعليمه كيفية التصرف بطريقة مقبولة اجتماعياً.

* ننوه بأن الغضب الذى نوجهه للطفل إنما يفقده الثقة بنفسه وبأمنه واطمئنانه، فإذا حدث مثلاً أن أسقط الطفل كوباً من الماء وهو يهم بتناوله، فالأفضل للآباء والأمهات أن يقدروا هذا الأمر تقديراً صحيحاً على أساس أنه خطأ غير مقصود من الطفل، إذ من الخطأ البالغ أن نمنعه من المساعدة أو الاعتماد على النفس مستقبلاً، كما أننا نخطى أشد الخطأ إذا بالغنا فى القلق تجاهه. كما أن النصح المستمر بالحذر والانتباه لايجدى شيئاً، فالطفل يتعود تجاهل هذه التحذيرات المستمرة، ومن الخطأ أيضاً أن نحمل الطفل شديد الحساسية مسؤولية لايكون قد تهيأ لحملها ، لأن إخفاقه يؤدى إلى فقدان الثقة بنفسه، وبالتالى فقدان أمنه واطمئنانه.

* من أكثر الحاجات النفسية التى يحتاج إليها الأبناء هى الحاجة إلى أن يحميهم الأب - وهو المسؤول عن الضبط بالأسرة - من أنفسهم، ومن الأهواء التى يمكن أن تعصف بهم ، وتطيح بطمأنينتهم. بيد أن الحزم الذى يجب أن يتمتع به الأب، ليس معناه مصادرة حرية الأبناء فى تسيير شؤون

حياتهم، وليس معناه أن تسير حركة سلوكهم بتوجيه من الخارج، وأن ينتظروا فى كل صغيرة وكبيرة مشورة الأب. إن أباً من هذا النوع يجب ألا يوصف بالحزم، بل بالقسوة، فالأب القاسى هو الذى يعمد إلى مصادرة حرية أبنائه، وهو الذى لايترك لهم حيزاً من حياتهم يسلكن فيه، وهو الذى يصادر حرية الأبناء فى التصرف وفى تحمل المسؤولية.

والواقع أن هناك فروقاً جوهرية بين الحزم والقسوة نذكر منها :

١ - الحزم يكون متبصراً بظروف الموقف ومقوماته وبحالة الأبناء النفسية، بينما تكون القسوة عمياء لاتأخذ الظروف الموضوعية أو الظروف النفسية فى الاعتبار.

٢ - الحزم صدى لمصلحة الأبناء بينما تكون القسوة صدى للأحقاد المعتملة فى نفسية الأب، فالأب الحازم لايصدر فى حزمه إلا عن معرفة أكيدة بأن حزمه موصل إلى الطريق السليم فى تحقيق الحياة السوية للأبناء أما الأب القاسى فإنه لايستطيع أن يميز بين ما يفيد الأبناء وبين ما يضرهم وإنما يصدر فى قسوته انفعالات غير متبصرة العواقب.

٣ - الحزم يستهدف مساعدة الأبناء على التحكم فى أنفسهم بأنفسهم، بينما تستهدف القسوة سلب إرادتهم وجعلهم عاجزين عن التحكم فى أنفسهم، وإنما يكون كبح جماحهم من الخارج من جانب الأب. فالأب الحازم يهتم بأن يكون حزمه وسيلة معاونة على ترشيد الأبناء ومساندتهم على تحقيق الفطام النفسى والاجتماعى فى أقرب وقت ممكن، فالحزم إذاً وظيفى ولايعدو أن يكون وسيلة ، بينما القسوة هدف فى حد ذاتها.

٤ - إن للحزم أهدافاً إيجابية واضحة المعالم، بينما القسوة سلبية وأهدافها سلبية أيضاً فالأب الحازم يرغب فى تحقيق أشياء بعينها من وراء حزمه مع أولاده، وحتى إذا طلب الأب الحازم من ابنه أو ابنته الامتناع عن نوع معين

من التصرفات، فإن امتناعهما ينتهى بهما إلى بناء جانب من شخصيتهما. أما الأب القاسى، فإنه بقسوته يعمل ممِلى هدم جوانب جوهرية من شخصيات أبنائه وبناته.

٥ - الحزم يكون مشفوعاً بالحب الصادق والمتبصر من جانب الأب، بينما تكون القسوة مشفوعة بمجموعة من الانفعالات والأحقاد.

٦ - الحزم يعرف الحدود التى يصل إليها ، والحدود التى يقف عندها ، أما القسوة فإنها لا تعرف لنفسها حدوداً. فالأب الحازم لا يستخدم حزمه إلا بقدر، إذ أنه يريد أن يذهب بأبنائه إلى شاطئ النجاة وتحقيق صحة نفسية سوية لهم.

٧ - الحزم يساعد الأبناء على الاستقلال التدريجى، بينما لا تحقق القسوة إلا العبودية وفقدان الإحساس بالمسؤولية وامتناع تبلور الشخصية.

٨ - الحزم يعرف أكثر من طريقة لتعديل السلوك، بينما لاتعرف القسوة طريقاً لتحقيق ذلك إلا القهر وقمع ما ينم على الخروج عن الخط المرسوم من جانب الأب.

٩ - الحزم يساعد الأبناء على تحقيق قدر أكبر من التكيف للحياة، بينما تجعل القسوة الأبناء غرباء عن المجتمع بلا أدنى تكيف مع الحياة الاجتماعية.

١٠ - الحزم ينال استحسان الناس سواء بالأسرة أم خارجها ، بينما تنال القسوة السخط والاحتقار من جميع معارف الأب المتصف بالقسوة. وطبيعى أن يحظى الأب الحازم بإعجاب وحب أبنائه وتقديرهم ، بينما يسخط أبناء الأب القاسى من شدته وقسوته عليهم.

الفصل الحادى عشر

اتجاه إثارة الألم النفسى

القسم الأول

ماهية اتجاه إثارة الألم
النفسى وأهم الأمثلة

• ماهية إثارة الألم النفسى :

اتجاه إثارة الألم النفسى Attitude of Rising Psyschological Pain يتمثل فى جميع الأساليب التى تعتمد على إثارة الألم النفسى، وقد يكون ذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكاً غير مرغوب فيه، أو كلما عبر عن رغبة محرمة، كما قد يكون ذلك أيضاً عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه أيا كان المستوى الذى يصل إليه فى سلوكه أو أدائه. فبعض الآباء والأمهات يبحثون عن أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات نقديه هدامة لسلوكه ، مما يفقد الطفل ثتته بذاته، ويجعله متردداً فى أى عمل يقدم عليه خوفاً من حرمانه من رضا الكبار وحبهم، مع علم الكبار بأن فترة الطفولة هى فترة التعليم وبالتالى هى فترة المحاولة والخطأ التى لا يجب أن ينتقد فيها الطفل، إلا إذا تكررت الأخطاء، وحتى فى هذه الحالة يجب أن يحدث التوجيه برفق وحنان، وليس فى صورة تأنيب نفسى عنيف يفقد الطفل ثقته فى نفسه وفى قدراته، ويشعره بالخجل.

• أمثلة من أسلوب إثارة الألم النفسى :

الأب الذى يؤنب أطفاله باستمرار، وفى كل مناسبة، على الأخطاء أو الهفوات التى يرتكبونها عن قصد أو غير قصد، هذا التأنيب المبالغ فيه والذى يصل مداه إلى أعماق الطفل فيجرح مشاعره أو يدمى أحاسيسه.

كذلك الأهل الذين ينهالون على الأطفال تجريحاً ومعايرة، فالطفل البدين يلقى تقريعاً، والطفل النحيف يلقى استخفافاً، والطفل القصير يلقى استهجاناً. وهاهم الآباء والأمهات الذين لايحلوا لهم إلا أن يطلقوا ألقاباً تهكمية على أطفالهم تثير فى نفس سامعيها من الأهل والأصدقاء الضحك

والتندر، وتثير فى نفوس أطفالهم الآلام النفسية والأوجاع المعنوية، فهذا أب يقول لطفله متهكماً: « يا أبكم» إذا كان قليل الكلام، أو « يا أرعن» إذا كان متعجل الخطئ، أو «يا مكير» إذا كان قصير القامة، أو «يا أهبل » أو «ياعبيط» إذا كان طويل القامة أو طيب القلب، أو «يا فاشل» إذا كان متعثراً بعض الشئ فى تحصيله الدراسى.

وها هو طفل فى عمر الزهور ينال تقريعاً مؤلماً لأنه لا يملك وجهاً متناسق التقاطيع، مليح القسمات، فيصفونه بأنه «بهى الطلعة» ، أو الطفلة الصغيرة التى لم تهبها الطبيعة جسداً متناسقاً رشيقاً ، فيصفونها «ست الحسن والجمال»، هذه العبارات أو الألقاب التى تحمل فى ظاهرها «الثناء» ، وتحمل فى باطنها الحقيقة المرة من «هجاء»، و«جفاء».

وهناك طفلة تعيش مع زوج أمها فى عائلة ربيبة، تلقى تأنيباً مستمراً على ماتأتيه من سلوك قد لايتفق والمعايير التى يقرها زوج الأم، بينما كانت معتادة أن تأتى به فى وجود أبيها وأمها عندما كانا يعيشان معها فى ظل أسرة متماسكة. وربما تلقى نفس التأنيب من أمها التى تحاول إرضاء زوجها الجديد!

وطفلة أخرى إذا ما حضرت زميلاتها الصغار إليها فى المنزل، تصر زوجة أبيها على أن تجرحها بكلمات التوبيخ والسخرية، وإذا ما أخطأت الطفلة أى خطأ ولو كان بسيطاً ، نتيجة لأن زوجة أبيها قد جعلتها تقوم بعمل فوق طاقتها عيرتها أمام صديقاتها، وراحت تنهال سبًا على أمها التى فشلت فى تربيتها!!

إنها الأنياب التى تنهش صحة أطفالنا النفسية، لنحصد فى النهاية طفولة محطمة ومشوهة!!

القسم الثانى

الآثار السلبية لاتجاه إثارة الألم النفسى على الأطفال وأهم الحلول المطروحة

• أهم الآثار السلبية لإثارة الألم النفسى :

غالباً ما يترتب على هذا الاتجاه نتاج شخصيات انسحابية منطوية غير واثقة من نفسها، توجه عدوانها نحو ذاتها. ففى المدرسة مثلاً إذا سألتها المعلمة سؤالاً معيناً فإنها تخاف من الإجابة عليه رغم معرفتها الإجابة الصحيحة خوفاً من وقوعها فى الخطأ، وبالتالى تقابل بالسخرية والاستهزاء ، لأنها قد تعودت عدم الأمان مع الكبار وعدم الثقة فى قدراتها.

وهى غالباً ما تتوقع أن الأنظار تترصدها وتطاردها لأن بها شيئاً غير عادى سواء فى ملبسها أو مظهرها أو هيئتها أو سلوكها . .إلخ ، فهى تشك فى الآخرين من حولها، وترتاب فى البيئة المحيطة بها.

وعندما تكبر غالباً ما نجدها بعد أن تنجز أعمالها فإنها تقوم بعرضها على زملائها وزميلاتها قبل أن تعرض هذه الأعمال على رئيسها، لأنها لاتبغى الوقوع فى أية أخطاء، فالشك مايزال يساورها منذ كانت طفلة صغيرة حيث لم تمنح الثقة قط.

وهى شخصية تتوتر وترتبك عندما يخاطبها رئيسها فى العمل ، أو أى شخص كبير لاتعرفه، وإذا حاولت التغلب على انطوائيتها وانسحابيتها فإنها قد تتعرض للأخطاء، وقد تتفجر فى بكاء عميق من جراء ذلك.

وقلما نجد هذه الشخصية تفتخر وتتباهى بما تنجزه من أعمال، بل غالباً ما تتباهى بالآخرين من أقربائها أو أصدقائها الذين تتمنى أن يكون لها قدراتهم، حيث أن أسلوب تنشئتها حرمها من استغلال وتوظيف قدراتها وإمكاناتها الخاصة بها. ولذلك قد نجدها تتباهى بأخوتها أو زوجها . . إلخ المهم ليس بذاتها.

هذا ويؤثر العقاب المعنوى/ النفسى بالاستهزاء والسخرية والتهكم والتقريع

فى ترسيب العقد النفسية فى وجدان الطفل، والعقد النفسية complex هى فكرة أو مجموعة من الفكر المركبة والمترابطة ، تسرى فيها شحنة عاطفية، وقد تعرضت للكبت الجزئى أو الكلى، فغدت مصدراً للتنازع والتصارع مع أفكار تحظى بالقبول تقريباً من جانب المرء. وهى المبعث على تصرفات لاواعية تصدر عن الشخص، أو هى اتجاه انفعالى لاشعورى لايبرح يؤثر فى التفكير والسلوك، والعقد النفسية تجد لها منفذاً تعبر عن نفسها من خلال عملية الإسقاط prjection.

وهناك أمراض نفسية عديدة تصيب الأطفال الذين يتعرضون لإثارة الألم النفسى، كالقلق Anxiety الذى يعتبر عدم ارتياح نفسى وجسمى، ويتميز بخوف منتشر وشعور انعدام الأمن، وترى العالمة «كاين هورنى» أنَّ الطفل الذي يشعر بالقسوة أو التأنيب أو مشاعر من الكراهية تحيط به، يفقد قدرته على أن يتوجه للآخرين . . إنه يخاف من فقدان الحب فيشعر بالقلق. وتؤكد «هورنى» إن تعرض الطفل للاعتداءات الدائمة من والديه، وافتقاره لجو التفاهم داخل البيت يصيبه بالقلق الشديد، فبدلاً من أن يشعر بالأمان الذى يحتاج إليه، يشعر بخيبة الأمل وبعدم الأمان.

وقد يصاب الطفل بالهستيريا Hysteria وهى اضطراب نفسى المنشأ وللمرض أعراض نفسية وجسمية منها : الشعور الدائم بالتوتر ، والمتفجرات الانفعالية من بكاء وصراخ. وتحدث الهستيريا نتيجة إحباط الطفل وإحساسه بخيبة الأمل والغيرة والحرمان وإثارة الألم النفسى.

كذلك الإصابة بالوسواس القهرى obsessive - compulsive ، حيث يؤكد العلماء أن ظهور هذا المرض يرتبط بشكل عام بالحرمان من الحب، ومن العاطفة، ومن التقبل خاصة فى السنوات المبكرة من العمر، كما تتضح قيمة التأثيرات الوالدية فى تكوين الأعراض القهرية لدى الطفل.

• أهم الحلول المقترحة:

* نحن نحذر من اتجاهات بعض الآباء والأمهات التى توجه نحو تأنيب أبنائهم على كل خطأ يرتكبونه، وإبراز نواحى قصورهم أمام زملائهم، فإن هذا يثبط همتهم، ويجعلهم غير قادرين على التفوق. فالطفل الذى يوصم دائماً بالفشل يتوارى ويخبو تدريجياً ، ولا يستطيع أن يقف ليشارك فى رأى أو يتحمل مسؤولية ، ولذلك فلابد من توجيه سليم يحفظ لكل طفل احترامه والاعتراف به.

* لابد من إشباع الحاجات النفسية للأطفال كالأمن، وهى حاجة نفسية ضرورية، كذلك إحساس الطفل بالتواد، أو إحساسه بأنه محبوب من الآخرين، وأن لديه القدرة على الحب، كذلك الإحساس بأن لديه القدرة على الإنجاز ويتمثل فى نجاحاته فى العمل . كما أن الطفل فى حاجة إلى الشعور بالتقدير وإلى الحرية وإلى الانتماء ، فإذا أحس الطفل بأن كل هذه الحاجات مشبعة لديه، فإن هذا يعد بمثابة أحد المؤشرات المهمة لتوافقه، ويحدث العكس إذا ما أحس بأن حاجاته غير مشبعة، وبالتالى محبطة.

* الحب الذى يمنحه الأبوان لطفلهما يعد فى حياة الطفل غذاء ضرورياً فى نموه النفسى، وهذا الغذاء لايقل أهمية عن غذائه الجسدى، وإن إشباع حاجاته الطفولية الأولى يساعده على التقدم إلى مراحل النمو المستقبلية، وعلى العكس فإن الحرمان من الإشباع ينمى لدى الطفل شعوراً بعدم الأمن، مما يساعد على نمو الشعور العدائى للعالم من حوله، بل ويستجيب استجابات مرضية تتخذ صوراً متعددة، إما بالانسحاب عن العالم والسلبية، وإما بالعنف والعدوان.

ولا يخفى أن نسبة كبيرة من الأطفال الجامحين ينتمون إلى أسر يشعرون فيها بالإهمال وبعدم الرغبة فى وجودهم ، وتجريحهم ، فالأطفال بحاجة إلى

أن يشعروا بالأمن الذى ينتج عنه الشعور بالانتماء والقبول والحب، فإذا كانت هذه النواحى معدومة أو غير كافية، فإنه يكون من الصعب أن يصبح الطفل ناضجاً، حسن التكيف من الناحية الوجدانية.

* لابد أن تلتف قلوب أفراد الأسرة حول الطفل - وبخاصة الأب والأم - تقدم له الحب غير المشروط، والعطف ، والمودة، قلوب تتعلق به ولا تستغنى عنه وتسعى لإسعاده، لايحرمونه من إقامة علاقات مفيدة مع أقرانه، يشجعونه على الحرية والانطلاق والمرح.

* قد يولد طفل مصاب بتشوه ما، أو عاهة معينة ، عندما ينبغى تقبله بكل ثبات وشجاعة ، مع تقديم ما يحتاجه من حب ورعاية، ولنتيقن أن هناك ما يسمى بإثراء القدرة النفسية، أو إثراء الشجاعة الإنسانية ، فأحياناً نرى أن الأب أو الأم قد يستبدلان عجز طفلهما المعاق فى الإتيان بسلوك ما ، أو عجزه عن عمل ما، بأن يستنهضا قواه الداخلية للقيام بهذا السلوك أو أداء هذا العمل، بل قد تمتد مساعدتهما إلى أبعد من ذلك ، فقد يمدانه بقوة نفسية هائلة، لا على احتمال العجز أو تعويضه بقدرة تعويضية لمجرد التوافق والمسايرة والاندماج فى الجماعة ، بل ليتجاوز ذلك كله، فيحيلان العجز إلى قدرة على البناء والارتقاء، ويجعلان العائق سلما للترقى والعلو. عندما نقول إن الأجهزة النفسية قد تكاملت ، لأنه قد يعترى بعض العمليات النفسية نوع من الذبول أو الضمور، عندئذ تتكامل الأجهزة النفسية أو العمليات النفسية القوية فى أخذ وظائف تلك التى أصابها العطب أو التى توقفت.

الفصل الثانى عشر

اتجاه التذبذب

القسم الأول

ماهية اتجاه التذبذب
فى معاملة الأطفال
وأهم الأمثلة

• ماهية التذبذب :

يتمثل اتجاه التذبذب Attitude of Hesition فى عدم استقرار الأب أو الأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، وهذا يعنى أن سلوكاً معيناً يثاب عليه الطفل مرة ثم يعاقب عليه مرة أخرى. ويجاب طلبه مرة ويحرم منه مرة دون سبب معقول.

كذلك قد يتضمن هذا الاتجاه حيرة الأم نفسها إزاء بعض ما يمكن أن يصدر عن الطفل من سلوك بحيث لاتدرى متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه.

كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين كل من الأب والأم فى تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعياً.

• أمثلة من أسلوب التذبذب :

هناك بالطبع أمثلة كثيرة لأساليب المعاملة الوالدية للأبناء تعبر عن هذا الاتجاه، منها على سبيل المثال : أن الطفل عندما يبدأ فى تعلم الكلام ويسب أباه أو أمه فإنهما لا ينبهانه إلى ذلك ، وأن هذا السلوك إنما هو سلوكاً خاطئاً، بل قد يضحكان إيحاء بأن هذا السلوك هو سلوكاً طيباً. ولكن إذا كرر الطفل هذا فى وجود أشخاص غرباء ، فإن الأبوين كلاهما أو أحدهما غالباً ما ينهر الطفل ويهم بمعاقبته، وهنا نجد الطفل يقع فى حيرة شديدة من أمره لأنه لا يعرف على وجه اليقين السبب فى ضحكهما مرة ومعاقبته مرة أخرى على نفس السلوك!!

مثال آخر : الأم فى حالة انهماكها فى عمل ما بالمنزل تترك طفلها بل قد تأمره بأن يخرج ويلعب مع أبناء الجيران الذين نهته عن اللعب معهم من قبل، فالأم تمتدح سلوك الطفل فى موقف وتذم نفس هذا السلوك فى موقف

آخر بحيث لايستطيع الطفل التمييز لم يمتدح على هذا السلوك مرة ويعاقب على نفس السلوك مرة أخرى.

وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف الأب والأم فى معاملة الطفل، مثلا: الأم التى تعامل طفلها بحب وحنان باعتبارها مصدر الحب والحنان كما توصف دائماً فى أدبنا وثقافتنا، وكأن الأب لايجب أن يكون كذلك أى مصدراً للحب والحنان، فالأب يقسو ويكون عنيفاً ومصدراً للعقاب والردع فى معالمة الطفل، ونحن كثيراً ما نسمع الأزواج يقولون لزوجاتهم فى هذا الشأن : أنا أكسر وأنت تصلحين، لأن مفهوم الرجولة عند الغالبية من الجنسين هو القسوة والشدة، دون أى التفات للآثار السيئة لمثل هذا الاختلاف فى المعاملة من الأم والأب على شخصية الطفل.

القسم الثانى

الآثار السلبية للتذبذب
على نفسية الأطفال
وأهم الحلول المطروحة

• الآثار السلبية للتذبذب:

التذبذب فى المعاملة يجعل الطفل فى حالة قلق وحيرة وتهتز ثقته بوالديه وقد تدفعه إلى الكذب والنفاق.

وغالباً ما يترتب على هذا الاتجاه شخصية متقلبة ازدواجية منقسمة على نفسها، وهى موجودة فى حياتنا اليومية، ونصادفها كثيراً، حيث إن الطفل الذى عانى من التذبذب فى معاملته يكبر وغالباً ما يصبح مذبذاً، متقلباً، مزدوج الشخصية هو الآخر فى معاملته مع الناس، فمثلاً عندما يتزوج تكون معاملته لزوجته متقلبة، ومتذبذبة، فنجده يعاملها برفق وحنان مرة، وأخرى ينقلب فى معاملتها على النقيض دون وجود أى أسباب أو مبررات لهذا التذبذب.

وقد يكون مع أسرته فى غاية البخل والشح والتدقيق فى حساباته، ودائم التكشير، ولكنه مع أصدقائه شخص آخر كريم وسخى ومتسامح، ضاحك وباسم.

وهذا الأب قد يسمح لأولاده بسلوك وتصرفات معينة ثم فى مرات أخرى يعاقبهم ويؤنبهم ويمنعهم عما سمح لهم به من قبل دون مبررات لتناقض سلوكه معهم. وهو مع رئيسه فى العمل متملق ناعم فى حين أنه مع مرؤسيه قاسى وخشن. وقد يكون مع أولاده يفضل جنساً على جنس وغالباً ما يكون هذا التفضيل فى جانب الجنس الذى منحه الحب والحنان فى طفولته (الأب أو الأم) ثم هو على النقيض من ذلك مع أبنائه من الجنس الذى حرمه الحب والحنان. . إلخ وهكذا يظل التذبذب والازدواجية سمة مميزة لهذه الشخصية.

• أهم الحلول المطروحة:

* لابد أن يتعاون كل من الأب والأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، وهذا يعنى أن يكون هناك أسلوب معين يثاب من أجله الطفل، وسلوك آخر يعاقب عليه . كما يتضمن هذا التعاون عدم التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم فى تنشئة الطفل، كأن يلبى أحدهما طلبات معينة والآخر يرفضها، الأب يعاقب عند إقدامه على سلوك ما ، والأم تثيبه على السلوك نفسه.

إن الازدواجية فى التربية أو التذبذب فى المعاملة قد تخلق طفلاً متقلب المزاج، ذا شخصية منقسمة على نفسها. ولا يخفى على أحد أن الطفل إذا أدرك وجود اختلاف بشأن قواعد التربية المطبقة عليه بين والده ووالدته، فقد يحفزه ذلك على محاولة الانحياز لأحدهما دون الآخر، واللعب على وتر هذا الاختلاف أو التذبذب لتحقيق رغبته. وعموماً .. فإن الأطفال فى مجملهم يتميزون بهذه البراعة لدرجة قد تدهش الآباء وتفوق تصور الكبار، لذلك. .فلا غرو أن نؤكد على أهمية تعاون الأب مع زوجته تعاوناً تاماً غير منقوص ، لتسير حياة الطفل فى سلام وأمان.

* من المسلم به أن نمو الطفل يأخذ فى التحسين إذا كانت تربية الآباء للأبناء تقوم على الثبات سواء فى اتجاهاتهم نحوه، أو فى الأشياء التى يتوقعون منه أن ينجزها. نعم، هناك لكل فرد منا نواح مزاجية معينة، تتدخل أحياناً فى توجيه سلوكياته أو اتجاهاته، ولكن الوالدين الحكيمين هما اللذان لا يسمحان لهذه النواحى المزاجية بالتأثير فى اتجاهاتهما أو مشاعرهما تجاه الأطفال. فليس من المفروض أن يتساءل الطفل عما إذا كانت أعصاب أبيه هادئة أو متوترة، أو إذا كانت أمه ستعامله معاملة تفيض رقة وعذوبة ، أو أنها ستعامله بقسوة وجفاء.

كما يحتاج الأطفال إلى الثبات أيضاً، حين يتوقع منهم الآباء اتباع سلوك معين، فكل الأطفال - بلا استثناء - أمامهم أشياء كثيرة عليهم أن يتعلموها، ففى مراحل نموهم المبكرة نجدهم لا يعرفون ما الصواب أو الخطأ ، كما أنهم لايفهمون معنى أن يكون السلوك مقبولاً أو غير مقبول.

وبالطبع ، فإن مثل هذه الأشياء سوف يتعلمونها أثناء عملية النمو التى تتسم بالارتقائية والتتابعية، عن طريق الوالدين، فكل ما يثنى عليه الوالدن هو بنظرهم الصواب ، وعلى ذلك فهم يتقبولنه دون مناقشة، وكل ما يعترض عليه الوالدان يعتقدون أنه خطأ، وعلى ذلك فإذا كانت سلوكيات الوالدين وتوجيهاتهما مرتبكة أو غير ثابتة، فإنه من المحتمل أن يجد الأطفال صعوبة فى معرفة ما ينبغى منهم أن يفعلوه على وجه الدقة.

نقطة أخرى جديرة بالملاحظة ونحن بصدد هذه الجزئية ، هو أن قبول هذه السلوكيات أو رفضها إنما يتوقف بدرجة كبيرة على نوع العلاقة السائدة بين الطفل ووالديه، فإذا شعر الطفل أنه محبوب ومقبول ، فإنه من الأرجح أن يتقبل توجيهات والديه، وأن يتعلم السلوكيات التى يحاولان تعليمه إياها، أما إذا كانت العلاقة السائدة يشوبها القلق والتوتر، فإن الطفل قد يرفض مثل هذه التوجيهات أو السلوكيات، حتى وإن قبلها فإنه قد يتقبلها بدافع الخوف، ولكنه لا يحاول أن يجعلها جزءاً من كيانه الذاتى.

وعموماً ، فإن الطفل الذى يشعر بالدفء نحو والديه، يكون أكثر قدرة على مقاومة أنماط السلوك غير المرغوب فيها والتى قد يقابلها فى البيئة مستقبلاً. على العكس من الطفل الذى لم تشبع حاجته للحب بطريقة كافية، بحيث يشعر أنه خارج دائرة اهتمام الأسرة، فيتحول فى معظم الحالات نحو الآخرين للحصول على الرضا الذى يرنو إليه عن طريق الاهتمام.

وعندما يقوم الوالدان بتعليم أبنائهما أنماط السلوك المرغوب فيها، فإنهم يرون أنه من الضرورى وضع قواعد وحدود لها . وهذه القواعد لابد أن تتميز بمراعاة أعمار الأطفال، والظروف الخاصة للأسرة. ولعل أهم شئ فى ذلك، هو الثبات فى تطبيق هذه القواعد، فإذا لم يمنح الطفل مثلاً فرصة اللعب فى الشارع اليوم، وجب ألا يعطى هذه الفرصة فى اليوم التالى، لأن عدم الثبات فى وضع الضوابط أوالقواعد يؤدى لانزعاج الطفل وحيرته.

إن القواعد التى توضع يجب أن تكون موضع الاعتبار فى بادئ الأمر، فإذا صار الطفل واعياً بدرجة كافية أمكن له أن يساعد فى وضعها، لأنه - بطبيعة الحال - يفهم أسبابها ومقاصدها فهماً جيداً، كما يجب ألا توضع هذه القواعد لمواقف قد تتغير كثيراً بحيث لا يمكن تنفيذها.

كما يراعى أيضاً أنه كلما كبر الطفل كان من الواجب تغيير هذه الواعد، حتى يمكن إرضاء الحاجات والمواقف الجديدة المتطورة بتطور نموه، فقد يكون فناء المدرسة ملائماً للعب بالنسبة لطفل فى الثانية من عمره، ولكن طفل الرابعة يكون قلقاً من اللعب فى هذا الفناء ، لأنه يريد اللعب بالدراجة ذات العجلات الثلاث، مثلاً ، كما يجب أن توضع القواعد والحدود بحيث تلائم نضج الطفل ، وألا يضغط على الطفل لكى يطبق مثل هذه القواعد. إن قدراً ملائماً من الثبات والمرونة فى وضع الضوابط والحدود يعطى الأطفال شعوراً بالأمن ، هم فى أمس الحاجة إليه.

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية :

١ - أحمد ضبيع : الأب بين الحضور والغياب، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام ، سبتمبر ١٩٩٦م، العدد : ٤٥٤ .

٢ - أرنلد جزل : الطفل من الخامسة إلى العاشرة ، الجزءان الأول والثانى، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة : أحمد عبدالسلام الكردانى، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦م، ١٩٥٧م.

٣ - أ. ف . بتروفسكى ، م. ج. ياروشفسكى : معجم علم النفس المعاصر، ط١، ترجمة : حمدى عبدالجواد، عبدالسلام رضوان، مراجعة : د. عاطف أحمد ، القاهرة : دار العالم الجديد ، ١٩٩٦م.

٤ - جمال محمد سعد الخطيب : العلاقات الأسرية وأثرها على الأبناء ، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام ، فبراير ١٩٩٦م ، العدد : ٤٤٧ .

٥ - حافظ الجمالى، سامى الدورى : علم النفس ونتائجه التربوية ، دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة ، ١٩٤٩م.

٦ - خليل فاضل : انقلاب المحبة ، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، يناير ٢٠٠٢م، العدد : ٥١٨ .

٧ - دخيل بن عبدالله الدخيل الله : الأمومة والحرمان، مجلة الخفجى، السعودية : شركة الزيت العربية ، يونيو ١٩٩٥م.

٨ - رشيدة أو عقه : المسؤولية التربوية للأم، مجلة منار الإسلام ، دولة الإمارات العربية المتحدة : وزارة الأوقاف ، يوليو ٢٠٠٠م.

٩ - سيد أحمد عثمان : الإثراء النفسى - دراسة فى الطفولة ونمو الإنسان، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٤م.

١٠ - شيرين المنيرى : الآباء يهاجرون والأبناء يتأرون، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، مارس ١٩٩٥م، العدد : ٤٣٦ .

١١ - صلاح بيومى : التنشئة والشخصية بين الواقع والمستقبل ، القاهرة دار المعارف ، ٢٠٠٢، سلسلة كتاب اقرأ، العدد : ٦٨٠ .

١٢ - طلعت ذكرى مينا : كيف يفهم الآباء والمعلمون سلوك الأبناء القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٩م.

١٣ - عباس محمود عوض : مدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠م.

١٤ - علاء غنام : أجنحة صغيرة تتكسر، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام ، يناير ٢٠٠٢م، العدد : ٥١٨.

١٥ - على محمود إسلام الفار : معجم علمى الاجتماع ، ط ٢ ، القاهرة: دار المعارف ، ٢٠٠١م.

١٦ - فايز نايف قنطار : الأمومة - نمو العلاقة بين الطفل والأم ، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر ١٩٩٢م، سلسلة عالم المعرفة ، العدد : ١٦٦م.

١٧ - فايز نايف قنطار : الأم أول وأفضل مربية، مجلة العربية، الكويت : وزارة الإعلام ، أبريل ٢٠٠٠م ، العدد : ٤٩٧.

١٨ - فرج عبدالقادر طه وآخرون : موسوعة علم النفس والتحليل النفسى، ط١ ، الكويت : دار سعاد الصباح ١٩٩٣م.

١٩ - فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو - من الطفولة إلى الشيخوخة، ط٤ ، القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٧٥م.

٢٠ - فيليس هوسلر : الطفل ، ترجمة : رمزى يسى، مراجعة : أبوالفتوح رضوان، القاهرة : دار الهلال ، د. ت.

٢١ - كريستين نصار : الأم والطفل مسيرة حياة ، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، مارس ٢٠٠٢م، العدد : ٥٢٠.

٢٢ - كليرفهيم : المدرسة والمجتمع والصحة النفسية لأبنائنا ، القاهرة : دار الهلال ، ديسمبر ١٩٨٣م، كتاب الهلال، العدد : ٣٩٦.

٢٣ - كليرفهيم : الأسرة والصحة النفسية لأبنائنا ، القاهرة : مكتبة المحبة، ١٩٨٨م.

٢٤ - لوسى يعقوب : الطفل والحياة ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م.

٢٥ - ماجدة موريس إبراهيم : خبرات تربوية لاتتأثر بالزمن، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، أبريل ٢٠٠١م ، العدد : ٥٠٩.

٢٦ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ١ ، القاهرة : مطبعة مصر، ١٩٦٠م.

٢٧ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الكبير، جـ١ ، القاهرة : دار الكتب، ١٩٧٠م.

٢٨ - محمد شعلان : الاضطرابات النفسية عند الأطفال ، ج٢ ، القاهرة : الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٧٩م.

٢٩ - محمد عماد الدين إسماعيل : دليل الوالدين إلى تنشئة الأطفال، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م.

٣٠ - محمد مصطفى مسلمانى : الأم رمز الحياة فى اللغة والشعر والدينات، مجلة الخفجى، السعودية : شركة الزيت العربية : ذو القعدة ١٤٢٤ هـ.

٣١ - محمد يوسف التاجى : أطفالنا ومضار المغالاة فى التدليل ، مجلة الخفجى، السعودية : شركة الزيت العربية، يوليو ١٩٩٥م.

٣٢ - مطاوع بركات : العنف بين الزوجين ، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، أبريل ١٩٩٦م، العدد : ٤٤٩.

٣٣ - محى الدين أحمد حسين : التنشئة الأسرية والأبناء الصغار، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

٣٤ - نجمة موسى : العائلات الربيبة والأوقات العصيبة ، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، مايو ٢٠٠٢م العدد : ٥٢٢.

٣٥ - هدى محمد قناوى : الطفل تنشئته وحاجاته ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

٣٦ - وفيق صفوت مختار : مشكلات الأطفال السلوكية - الأسباب وطرق العلاج، ط١ القاهرة : دار العلم والثقافة ، ١٩٩٩م.

٣٧ - وفيق صفوت مختار : أبناؤنا وصحتهم النفسية، ط١، القاهرة : دار العلم والثقافة ، ٢٠٠١م،

٣٨ - وفيق صفوت مختار : المدرسة والمجتمع والتوافق النفسى للطفل، ط١، القاهرة دار العلم والثقافة ، ٢٠٠٣م.

٣٩ - وفيق صفوت مختار : الأب والصحة النفسية لأطفاله، مجلة العربى، الكويت : وزارة الإعلام، سبتمبر ٢٠٠١م ، العدد : ٥١٤.

٤٠ - يوسف ميخائيل أسعد : رعاية المراهقين ، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م.

٤١ - يوسف ميخائيل أسعد : المشكلات الزوجية، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٩م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Beals, A & Hojer, H, An Introduction to Anthropology. The Mocmillan commpany, New york, 1956.

2 - Brace & world, Inc. New york and Burlinggame, 1963.

3 - Children's fund by the free piess of glencoe, New york, 1963.

4 - Georges sicault (Ed.), The needs of children A survey Needs of children In The developping countries (Published for the united Nations).

5 - Maciver, R.M & page, c.H. society . An Introductory Amalysis . London Macmillan co. LTD . 1950.

6 - Mccord. J. Mccord. w and Thurber E, some effects of paternal absence on male children. Joural of abnormal and social Psychology. 1962.

7 - Sears. R, Maccoby. E, and Levin. H, Pattern of child rearing Evanston, III: Row Peterson . 1957.

8 - Timashaff, N.s. sociological theory Its Nature and Growth. Random House New york, Fourth PPrinting, 1965.

9 - Warner, W.L. and Lunt, P.s, the social Life of A Modern community. New Haven, Yale university press. Ninth printing, 1955.

10 - Warner, W.L. and Associates, social class In America. A Manual of procedure For The Measurement of social status (Gloucestr, Mass. Peter smith, 1957.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الباب الثانى : الطفل والاتجاهات الوالدية

المؤلــف

• وفيق صفوت مختار

كاتب فى مجال العلوم النفسية والتربوية.

• حاصل على ليسانس الآداب والتربية - جامعة أسيوط.

وحاصل على دبلوم الدراسات العليا فى التربية وعلم النفس - جامعة أسيوط.

• من أهم مؤلفاته:

١- مشكلات الأطفال السلوكية - الأسباب وطرق العلاج، ط١، القاهرة: دار العلم والثقافة، ١٩٩٩م.

٢- أبناؤنا وصحتهم النفسية، ط١، القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠١م.

٣- المدرسة والمجتمع - والتوافق النفسى للطفل، ط١، القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٣م.

• مؤلفات تحت الطبع:

١- الأسرة وأساليب تربية الطفل.

٢- سيكولوجية الطفولة.

٣- مشكلة تعاطى المواد النفسية المخدرة.

٤- سيكولوجية الأطفال ضعاف العقول.

٥- سيكولوجية الأطفال الموهوبين.

• للمؤلف العديد من الدراسات التربوية والنفسية المنشورة فى الدوريات والمجلات العربية.

١- **مجلات:** الفيصل، الخفجى، القافلة، المجلة العربية، بالمملكة العربية السعودية.

٢- **مجلات:** العربى، الكويت، الوعى الإسلامى، بدولة الكويت.

٣- **مجلة:** منار الإسلام، بدولة الإمارات.

٤- **مجلة:** البحرين الثقافية، بمملكة البحرين.

- كتب المؤلف فى أدب التراجم للأطفال والشباب عن: بيرم التونسى، محمود سعيد، جمال السجينى، صبرى راغب، زكى طليمات، إبراهيم طوقان، أحمد محرم، رفاعة الطهطاوى، نبوية موسى. وقد نشرت هذه الأعمال فى:

١- **مجلة:** هو وهى، القاهرة.

٢- **مجلة:** قطر الندى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

- أجرى المؤلف عدة حوارات أدبية وثقافية مع: **الكاتب** يوسف ميخائيل أسعد، **الدكتور** مصطفى رجب، **الفنان التشكيلى** أحمد رأفت، **الأدباء**: سكينة فؤاد، محمد جبريل، يوسف الشارونى، إدوار الخراط، خيرى شلبى، محمد البساطى، **والشعراء**: فاروق شوشة، فاروق جويدة، محمد إبراهيم أبو سنة، أحمد سويلم، بدر توفيق، ماجد يوسف، جمال القصاص، أمجد ريان، أحمد زرزور. وقد نشرت هذه الحوارات فى:

١- **مجلة:** هو وهى، القاهرة.

٢- **مجلة:** الشعر، القاهرة.

٣- **مجلة:** المنهل، السعودية.

٤- **مجلة:** الحرس الوطنى، السعودية.

٥- **مجلة:** الكويت، الكويت.

٦- **المجلة العربية**، السعودية.

- فاز المؤلف بجائزة "**عبد الله المبارك الصباح**" فى الإبداع العلمى على مستوى الوطن العربى عن نتاجه المتميز: المخدرات وأثرها المدمر.
- تلقى المؤلف خطاب شكر وتقدير من السيدة/ سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية. ديوان رئاسة الجمهورية فى: ١٢/٣/٢٠٠٢م.
- أجرى مع المؤلف حواراً نشر بجريدة "أخبار سوهاج" العدد: ٤٧، فى أكتوبر ٢٠٠٣م، ص٥، عن الأوضاع الثقافية بسوهاج- أجرى الحوار الأستاذ / زين عبد الحكم.
- عن مؤلف: "**مشكلات الأطفال السلوكية**" قام الأستاذ/ محمود رمضان الطهطاوى، بإعداد دراسة وافية نُشرت على صفحات مجلة: الوعى الإسلامى الكويتية، العدد: ٤١١، فى: فبراير / مارس ٢٠٠٠م.
- عرضت الصحافية/ سعدية شعيب مقتطفات من مؤلفات الكاتب بجريدة الأهرام، القاهرة، باب: المرأة والطفل، فى أكثر من مناسبة.
- نُشرعن مؤلفات الكاتب فى: جريدة المساء الأسبوعية، باب قضايا أدبية، إشراف: الروائى الكبير/ محمد جبريل، وكذلك فى جريدة الأهرام، باب: غذاء العقول، إشراف: الصحافية/ ماجدة الجندى.
- قام تليفزيون جنوب الصعيد. القناة السابعة، بتسجيل عدة لقاءات مع المؤلف فى أكثر من مناسبة، وذلك فى البرامج التالية: أوراق ملونة، الطفل والمجتمع.

رقم الإيـــداع : ١٨٣٦١ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى :
977 - 5829 - 51 - 8

مطابع آمـــــــون

٤ ش الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦

هذا الكتاب

«الأسرة وأساليب تربية الطفل» هو الكتاب الذى اختار المؤلف أن يقدمه للمكتبة العربية، وقد اتسم فى مجموعه بالأسلوب الميسر، والمضمون العميق، والمادة العلمية الرصينة.

وإذا أردنا أن نستجلى معالم المادة العلمية التى استقاها الكاتب لوجدنا أنه راح يمسك بتلابيب العلاقات الأسرية المثالية والسوية، والتى تضمن لنا فى النهاية إنتاج شخصيات تستطيع أن تتوافق مع المجتمع على نحو سوى.. الأمومة هى أول خيوط تلك العلاقة، من حيث مكانتها فى الدين والأدب، وإعدادها لقبول هذا الدور الحيوى، وطبيعة تعلقه أو انفصاله عنها، ودورها الحقيقى فى التربية الطفولية على مختلف الأصعدة.

أما الخيط الثانى فهو خيط الأبوة، ومكانته فى الأدب، والجدوى الحقيقية لتواجده داخل كيان الأسرة، ومسؤولياته فى تربية أطفاله، وماذا يحدث لهذا الكيان الأسرى حينما يهم الأب بالرحيل لسنوات طويلة.

والأسرة إذا بقيت صلبة وقوية كان هذا إيذاناً بظهور أجيال جديدة سوية وناجحة، أما إذا اعتراها الوهن أو الضعف فلا عزاء لنا فى انحراف الأبناء وتشتتهم وضياعهم.

ولقد حاول المؤلف رصد أسباب الخلافات الزوجيه، والنتائج التى تترتب عليها، وماذا يحدث للطفل بعد الطلاق؟، ويقدم مقترحاته الواقعية للحيلولة دون تفاقم المشكلات الزوجية، وهذا هو الخيط الثالث الذى استخدمه الكاتب فى الجزء الأول من كتابه.

والجزء الثانى من الكتاب خصصه المؤلف لمدراسة أهم الاتجاهات «السلبية» التى قد يأتى بها الآباء أو الأمهات سواء عن قصد أم بغير قصد، ولكنها تنعكس بالتردى على الأطفال، الاتجاهات السلبية التى رصدها الكاتب هى: التدليل، فرط الحماية، التساهل والإهمال، التفرقة، المحاباة، النقد والسخرية، الرفض والنبذ، العقاب البدنى، القسوة، إثارة الألم النفسى، التذبذب... وقد تناول المؤلف كل اتجاه من هذه الاتجاهات موضحاً أسبابها، ومظاهرها، والآثار السلبية، وأهم الحلول المطروحة.

إنه كتاب ثرى المنفعة، عظيم القيمة، بذل فيه المؤلف جهداً كبيراً كى يظهر بهذه الصورة التى جمعت بين الدقة والوضوح والتنظيم المنطقى السليم، واتباع خطوات التفكير العلمى فى حل المشكلات، والاستعانة بكم لا بأس به من المصادر التوثيقية التى راحت تخدم فكرة الكتاب، وتثرى مادته العلمية، وإن ظهرت بصمة الكاتب الخاصة فى كل ما كتبه، وفى كل ما أراد أن يطرحه من قضايا ومشكلات.

الناشر

دار العلم والثقافة

٦١ شارع الشيخ محمد النادى - المنطقة السادسة - مدينة نصر

تليفون: ٢٧٥٨٢٥٢ فاكس: ٢٧٥٨٢٥١